إصدارات مكتبة الروضة العبّاسيّة **(1)**

العبّاس (عليه السلام)

تأليف
السيّد عبد الرزّاق الموسوي المُقرّم

تحقيق
سماحة الشيخ محمّد الحسّون

فهرس المطالب

- مقدّمة التحقيق
- المقدّمة
- سلسلة الآباء
- الأعمام
- طالب
- عقيل
- السفر إلى الشام
- الحديدة
- إفتراء
- الخلف عن عقيل
- الطيار
- إخوته
- ابن الحنفية
- الأطوف
- أخواته
- العقيلة
- أم البنين
- الزواج
- الولادة
- صفاته
- كنيته
- اللقب
- السقا
- نشأته

اليقين

- الأصحاب
- الأمان
- المواساة
- عثرة التاريخ
- حديث الصادق
- العبّاس في نظر الأئمة
- العصمة
- الكرامات
- اللواء
- موقفه قبل الطفّ
- موقفه في الطفّ
- الشهادة
- المشهد المطهّر
- ملاحظة
- الحائر
- نهر العلقمي
- مشهد الرأس
- مشهد الكفين
- الزيارة
- صلاة الزيارة
- تقبيل القبر
- أولاده وأحفاده
- الحوزة
- عمارة المشهد
- عمارة مرقد العبّاس
- السدانة

حامي الجوار

- المديح والرثاء
- فهرس المصادر

مقدّمة التحقيق

بعد سقوط النظام البعثي في العراق، سعى مركز الأبحاث العقائديّة . الذي أُنشئ بمبارکة ودعم سماحة المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلميّة آية اللّه العظمى السيدّ علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف، وبإشراف الأخ الكريم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيدّ جواد الشهرستاني . إلى إعادة الروح في مكتبات العتبات المقدسّة في العراق، والتي قضى عليها وأبادها النظام البعثي الجائر.

فكان أوّلها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف، ومكتبة الروضة الحسينيّة ومكتبة الروضة العباسّية في كربلاء المقدّسة، إذ قام المركز بتجهيز هذه المكتبات بكلّ ما تحتاج إليها من: كتب، وأجهزة كومبيوتر، ومقاعد، ومناضد، وقفصات لحفظ الكتب، وسجّاد، وغيرها.

ولم يكتفِ المركز بذلك، بل ظلّ طيلة هذه السنوات يدعم هذه المكتبات بما تحتاجه وحسب الإمكانات المتوفرّة لديه.

ومن أجل دعم الحركة العلميّة في هذه المكتبات قام المركز بإحياء مجموعة من الكتب وطبعها بالتعاون مع المسؤولين فيها، منها هذا الكتاب الماثل بين أيدينا، والذي قمنا بتحقيقه وطبعه في فترة قصيرة جدّاً ليحمل الرقم الأوّل من إصدارات مكتبة الروضة العبّاسية، ويتزّع في افتتاح هذه المكتبة المباركة في أوائل شعبان سنة 1427 هـ.

ونحاول في هذه المقدّمة البسيطة إلقاء ضوء على حياة المؤلفّ السيدّ المقرمّ وكتابه هذا.

المؤلّف

هو السيّد عبد الرزاق بن محمدّ بن عباس بن حسن بن قاسم بن حسون المقرمّ الموسوي الدغاري النجفي، أصل أسرُته من مدينة الحسكة، وقد هاجر جدّه الأعلى قاسم بن حسون إلى مدينة النجف الأشرف.

ولد في مدينة النجف الأشرف سنة 1316 هـ = 1898 م، وترعرع في أحضان جدّه الذي تولىّ تربيته وتعليمه، وما أن بلغ سنّ الرشد حتىّ شرع في دراسته علوم آل محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في مدينة باب علمه النجف الأشرف، وحضر عند كبار علماء عصره مثل:

العلاّمة الشيخ محمدّ جواد البلاغي (ت 1352 هـ).

والميرزا حسين النائيني (ت 1355 هـ).

والشيخ محمدّ حسين الأصفهاني (1361 هـ).

والشيخ ضياء الدين العراقي (1361 هـ).

والسيّد أبو الحسن الأصفهاني (1365 هـ).

والسيّد أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ).

وذكر الشيخ محمّد حسين حرز الدين، حفيد الشيخ محمّد حرز الدين (ت 1365 هـ) في تعليقه على كتاب جدّه " معارف الرجال ": أنّ السيّد المقرّم كان من المجازين في الرواية من الشيخ

أقا بزرك الطهراني (ت 1389 هـ)[1].

كان (رحمه الله) يعقد مجالس عزاء الإمام الحسين (عليه السلام) في داره ويقرأ التعزية بنفسه، ويحضر مجلسه هذا كبار العلماء والفضلاء، وفي مقدّمتهم المرجع الديني السيّد أبو القاسم الخوئي (رحمه الله).

ذكره الشيخ محمّد هادي الأميني (ت 1421 هـ) قائلاً: " عالم متتبّع، ومجتهد محقّق، متضلّع في الفقه المقارن والتأريخ الإسلامي، مؤلّف مكثر، له كتب "[2].

ومدحه وأطراه السيّد محمّد الحروي إذ قال: " عالم كامل، ومجتهد متتبّع، مؤرخ، محقق،... كان على جانب كبير من الورع والتقوى والتفاني في حبّ أهل البيت الطاهرين (عليهم السلام) والتمسك بحبل مودتهم، خشنا في ذات الله، لا تأخذه فيه لومة لائم، بعيداً عن التكلّف والتصنّع والرياء، وكانت له خزانة كتب قيمة، كما كانت داره ندوة الأفاضل والعلماء ومجمع الخطباء والمؤمنين، يتجنّب التدخّل في قضايا خارجة عن نطاق عقيدته ودينه، ولم تستهوه الحياة وزخارفها. كان يقرأ مقتل الإمام السبط الشهيد (عليه السلام) كلّ يوم عاشوراء في حسينية النجفيين في كربلاء المقدّسة منذ طلوع الشمس إلى الظهر مع البكاء والعويل "[3].

وقد عُرف السيّد المقرّم بكثرة تآليفه القيمة، والتي أكثرها في حياة أهل البيت (عليهم السلام)، منها ما هو مطبوع، ومنها لازال خطيّاً لم ير النور لحد الآن، نذكرها مرتبةً حسب الحروف الألفبائية:

(1) معارف الرجال 2: 188 " الهامش ".

(2) معجم رجال الفكر والأدب: 1231.

(3) مع علماء النجف الأشرف 2: 231.

(1) الإمام زين العابدين (عليه السلام)، طبع في النجف الأشرف سنة 1374 هـ.

(2) الإمام الجواد (عليه السلام)، طبع سنة 1371 هـ.

(3) الإمام الرضا (عليه السلام)، طبع بدون تأريخ.

(4) أُجوزة " الأنوار القدسيّة " في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام).

(5) تعليقة في الفقه المقارن على المحاضرات في الفقه الجعفري.

(6) تنزيه المختار الثقفي، طبع سنة 1356 هـ.

(7) ثامن شوّال، في حوادث هدم القبور بالبقيع وأحوال الوهابية.

(8) الحسن المجتبى (عليه السلام).

(9) زيد الشهيد، طبع سنة 1371 هـ.

(10) زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام).

(11) سرّ الإيمان في الشهادة الثالثة في الأذان، طبع سنة 1374 هـ.

(12) السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام)، طبع سنة 1378 هـ.

(13) الشهيد مسلم بن عقيل، طبع سنة 1369 هـ.

(14) الصدّيقة الزهراء (عليها السلام)، طبع في النجف سنة 1370 هـ.

(15) عاشوراء في الإسلام.

(16) العبّاس [بن علي (عليه السلام)].

(17) علي الأكبر ابن الإمام الحسين (عليه السلام)، طبع سنة 1367 هـ.

(18) عمّار بن ياسر.

(19) قداسة ميثم التمّار.

(20) قمر بني هاشم، طبع سنة 1369 هـ.

(21) الكشكول في ما جرى على آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

(22) الكنى والألقاب، مخطوط.

(23) ليلة عاشوراء عند الحسين (عليه السلام).

(24) مقتل الحسين (عليه السلام) وحديث كربلاء، وهو أشهر كتبه، طبع عدّة مرات، وتُرجم إلى اللغة الانكليزية.

(25) المقداد الكندي.

(26) نقد التأريخ.

(27) يوم الأربعين، طبع سنة 1377 هـ.

وقد توفّي السيّد المقوّم في مدينة النجف الأشرف في السابع عشر من محرم الحرام سنة 1391 هـ الموافق 1971 م، بعد عمر قضاه في خدمة الدين الإسلامي الحنيف ومذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فرحمه اللّه تعالى، وأسكنه مع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

هذا الكتاب

حينما أعلمنا مسؤول مكتبة الروضة الحسينية والروضة العبّاسية الأخ العزيز سماحة حجّة الإسلام الشيخ علي الفتلاوي، بقرب افتتاح مكتبة الروضة العبّاسية، بعد تهيئة مستلزماتها، فكرّت بطبع كتاب عن العباّس (عليه السلام) يكون باكورة أعمال هذه المكتبة المباركة.

وقد استشرتُ الكثير من الفضلاء وخطباء المنبر الحسيني في هذا الموضوع، فأكثرهم أشاروا عليَّ بطبع هذا الكتاب بعد تحقيقه وضبط نصّه، وفعلاً شرعنا بتحقيقه واخراجه في فترة قصيرة.

وقد واجهنا في تحقيقه بعض المصاعب; لأنّ المؤلّف لم ينقل نصوصه من نفس المصادر، بل اعتمد على محفوظاته، لذلك شاهدنا اختلافاً بين نصوص الكتاب ومصادرها، فحاولنا قدر الإمكان تصحيحها وجعلها مطابقة للمصادر.

إضافة لذلك فإنّا شاهدنا أنّ هذا الكتاب طبع عدّة مرات وبأسماء متعددة هي: " العباسّ (عليه السلام) "، " العباسّ بن علي (عليه السلام) "، " العبّاس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) "، " حياة العباّس بن علي (عليه السلام) "، " قمر بني هاشم (عليه السلام) ".

وبعد التتبّع ظهر لنا أنّ الأسماء الأربعة الأُولى كلهاّ مسميات لكتاب واحد، وضعها الناشرون لها; لعدم بيان المؤلف اسم كتابه هذا، لا في أوّله،ولا في آخره.

أمّا الكتاب الأخير " قمر بني هاشم " فهو كتاب آخر، أي أنّ للسيدّ المقرّم كتابين عن العباسّ (عليه السلام)، ألف أوّلا كتابَ " قمر بني هاشم "، ثمّ ألفّ كتابه الآخر " العباّس (عليه السلام) "، إذ أضاف في كتابه الأخير بعض الفصول لم تكن موجودة في كتابه الأوّل، وغيرّ بعض عناوينه، لذلك فالكتاب الأخير أكبر من الأوّل، وبينهما عموم وخصوص مطلق.

وقد ذكر المتتبّع آقا بزرك الطهراني هذين الكتابين مشيراً إلى عدد صفحاتهما، فقال:

" حياة العبّاس بن علي "، طبع في 240 صفحة[1].

" قمر بني هاشم "، طبع في 176 صفحة[2].

وقد وقفنا على الطبعة الأُولى للكتاب الأول " قمر بني هاشم " الذي قامت بطبعه سنة 1369 هـ المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف، وطبعته في قم أيضاً سنة 1414 هـ بالتصوير على الطبعة الأولى.

أمّا الكتاب الثاني فقد طبع عدّة طبعات، شاهدنا منها طبعة دار الأضواء في بيروت باسم " العباّس بن علي "، وطبعة مكتبة الشريف الرضي في قم المقدّسة، وهي بدون تأريخ وباسم " العباّس (عليه السلام) "، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في تحقيق ونشر هذا الكتاب.

فقد قمنا بتصحيح الكتاب قدر المستطاع، واستخراج ما يحتاج إلى تخريج من: آيات قرآنيّة كريمة، وأحاديث شريفة، وأقوال العلماء المختلفة، كلّ ذلك من المصادر الرئيسيّة لها المتوفرّة لدينا.

شكر وتقدير

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكل الاخوة والأخوات الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب بحلتهّ القشيبة هذه، ونخص بالذكر الأخ العزيز المحقّق الأُستاذ الشيخ لؤي المنصوري الذي

(1) الذريعة 7: 121/641.

(2) الذريعة 17: 167/883.

أخذ على عاتقه عملية الاستخراجات كاملة، والعمّ الأُستاذ الفاضل عبد الحسين الحسوّن وزوجته الفاضلة أم عُلاء الحسون اللذان قاما بمقابلة الكتاب وتصحيح أخطائه المطبعيّة، والأخ محمّد الجبوري والأخ نجاح خزعل والاخُت سرور الموسوي الذين قاموا بصفّ حروف هذا الكتاب في فترة وجيزة جداً، فلله درهم جميعا وعليه أجرهم.

سيّدي ومولاي يا أبا الفضل، يا حامي الحمى، ويا باب الحوائج، ويا ساقي العطاشا، إنّا قمنا بإحياء هذا الكتاب المتعلقّ بك، رجاءً منّا أن تحمينا وأهلنا من كل مكروه، وتقضي حوائجنا، وتسقينا وتشفع لنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، اللهم اجعله في ميزان أعمالنا، إنّك أنت الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبينّا ومقتدانا محمدّ وآله الطيبين الطاهرين، آمين رب العالمين.

محمّد الحسوّن

يوم مولد الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) 1427هـ

site.aqaed.com/Mohammad

muhammad@aqaed.com

بسم اللّه الرحمن الرحيم

حمداً لك اللهمّ، وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه المعصومين، ورضىً بقضائك وتقديرك بأوليائك الذين تحملوا المشاق في إحياء شرعك الأقدس، فقابلوا الأخطار بكلّ طلاقة وبشاشة حتىّ كرعوا حياض المنون، وانتهلت من دمائهم الزاكية بيض الصفاح، وأمسوا بجوارك متلفّعين بالبرود القانية....

فسلاماً على أرواحهم الطاهرة، وأشلائهم المقطّعة في سبيل مرضاتك يارب العالمين.

مقدّمة

إنّ للنسب مكانةً كبرى في شتّى النواحي، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق، فإن الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهتراً ماجناً، إذا عرف أنّ له سلفاً مجيداً، وأن من ينتمي إليهم أناسٌ مبجلون. كما هو الشأن في جل البشر، إن لم نقل كلهم . لا يروقه أن يرتكب ما يشوّه سمعتهم، وإنّما يكون جلّ مسعاه أن يكون خلقاً صالحاً لهم، يجدد ذكرياتهم، ويخلد ذكرهم الجميل بالتلفّع بمكارم الأخلاق.

ولقد جعل اللّه تعالى أبناء آدم (عليه السلام) شعوباً وقبائل ليتعارفوا[1] ، فتشتبك الأواصر، وتتواصل الأرحام، ويحمى الجوار بالتساند والمؤازرة، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم، فيسود بذلك السلام والوئام، ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره: {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ}[2] .

فإذن يكون في مشتبك الأواصر مناخ العزّ ومأوى الهيبة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن: "وأكرم عشيرتك، فإنّهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها

(1) (خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات: 13.

(2) هود: 91.

تصول، ولا يستغني الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنّه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطةً من ورائه، وألمّهم لشعثه، وأعظمهم عليه إن تولت به نزلة أو حلّت به مصيبة، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة "[1] .

ولقد جاء في الشريعة المقدّسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصّة أو عامة، كالمواريث والأخماس وصلة الأرحام وديةّ قتل الخطأ... إلى غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغرب والسنام من بين العلوم الفاضلة، وأكسبته الأهمية الكبرى.

وجعلت منصّة النسّابة في المحل الأسمى عند الديني والاجتماعي والأخلاقي[2] ، وهو أحد العلماء الذين لكلٍّ منهم اختصاص في فن من الفنون يرجع إليه في فنه ويستفتى، كما يراجع غيره من العلماء فيما اختصّ به من الفنون.

ولقد كان عقيل بن أبي طالب (عليه السلام) . على شرف أصله وقداسة

(1) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده 3: 57، من وصيّة له لابنه الحسن (عليهما السلام).

(2) ورد عن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه دخل المسجد، فإذا جماعة قد طافوا برجل، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " ما هذا "؟

فقيل: علاّمة. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " وما العلاّمة "؟

فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها.

فقال النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه ".

ثمّ قال النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم): " إنمّا العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل ".

انظر: الكافي 1: 32 ، ح ، وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار: 37 ، الفصول المهمة في أصول الأئمة للعاملي: 679.

منبته ومجده الهاشمي الأثيل . نسّابة عصوه، يعرف أنساب العرب وقبائلها، ويميزّ بين منابت المجدوّالخطر، ومناخ السوأة والخزاية، وينوّه بواسع علمه بما تتحلّى به الفضائل والعمائر من المآثر، وما ترتديه البطون والأفخاذ من شية العار.

فكان يُخشى ويُرجى من هاتين الناحيتين، ويراجع للوقوف على لوازم الكفاية عند المصاهرة، تحرياً للحصول على الدعةّ في العشرة بين الزوجين، وكرائم الأخلاق المكتسبة من إرضاع الحرائر الكريمات، وعروق الأخوال الأكرم، والشريعة المطهرّة تقول في نصّها على ذلك: " اختاروا لنطفكم، فإنّ الخال أحد الضجيعين "[1] ، كما حذرت عن خلافه: " إياكم وخضراء الدمن "، وفسرّه صاحب الشريعة بأنهّا " المرأة الحسناء في منبت السوء "[2] .

فكان عقيل . كما وصفه الصفدي . أحد الذين يتحاكّم إليهم، ويوقف عند قولهم في علم النسبً ; لكونه العليم به وبأيامّ العرب، وكانت تُبسط له طنفسة تُطرح في مسجد رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، يصليّ عليها، ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وأيّام العرب وأخبارهم مع ما له من السرعة في الجواب والمراجعة في القول[3] .

(1) الكافي 5: 332، باب اختيار الزوجة، ح2.

(2) الكافي 5: 332 ، باب اختيار الزوجة، ح4.

(3) نصّ عبارة الصفدي عن ابن عقيل هكذا: " وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم، ولكنهّ كان يعدّ مساوئهم، وكانت له طنفسة تُطرح في مسجد رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يصليّ عليها، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب، وكان أسرع الناس جواباً، وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك، وكان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب أربعة: عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزهري، وأبا جهم بن حذيفة العدوي، وخويطب بن عبد العزي العامري، وعقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش.

راجع عبارة الصفدي في الوافي بالوفيات 20: 63 ، وأُسد الغابة 3: 423 ، والاستيعاب 3: 178.

ومن هنا قال له أمير المؤمنين (عليه السلام): " أُنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ; لأتزوّجها، فتلد لي غلاماً فارساً ".

فقال له: تزوّج بأمُ البنينّ الكلابية، فإنه ليّس في العرب أشجع من آبائها[1] .

هكذا جاء الحديث، ولكن لا يفوت القارئ أنّا نعتقد في حملة أعباء الإمامة شمول علمهم كلّ ما نرأ اللهّ . سبحانه . ورأ وما

جاءت به الأُمم من فضائل ومخازي وأوصاف وعادات في كلّ حال، وللوهنة على هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر.

إذن، فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين، المتدفّق بأحوال قبائل العرب، وبمعرفة الشجعان منهم حتّى يحتاج إلى نظر عقيل؟!

وهل يخفى علم ذلك على من كان يعلم الذّكر والأُنثى من النملّ كما في حديث أبي ذر الغفاري: دخلت أنا وأمير المؤمنين (عليه السلام) وادياً فيه نمل كثير، فقلت: سبحان اللّه محصيه!

فقال (عليه السلام): " لا تقلّ ذلك، وقل: سبحان اللّه بارِيه، فواللّه إنيّ لأحصيه وأعرف الذكرّ منه والأنثى "[2].

ويقول (عليه السلام): " إنّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم.. لا يشذّ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل، وانيّ لأعرفهم حين ما أنظر

---

(1) عمدة الطالب لابن عنبة: 357.

(2) مدينة المعاجز 2: 160.

إليهم..ولأعرف عدوّي من صديقي "[1].

"وإنّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم "[2].

فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرّف القبائل والبطون من عقيل، مهما بلغ من العلم والمعرفة إلى ذُرَى عالية.

نعم،

وكم سائل عن أمره وهو عالم ....

فإنّه جرى صلوات اللّه عليه مجرى العادة في أمثاله، وكم لهم من ضوائب في أعمالهم (عليهم السلام) لحكم ومصالح لعلناّ ندرك بعضها، والبعض الآخر منها مطوي لدِيهّم مع أمثالها من غوامض أسرارهم.

فهذا الرسول الأعظم، وهو المسدَّد بالفيض الأقدسّ والإرادة الإلهية ; المستغني عن الاستعانة بأيرّأي، ّيمشي وراء العادة، فيشاور أصحابه إذا أراد المضيّ في أمر، ولعلّ النكتة فيه . مضافا إلى ذلك . تعريف خطأ الاستبداد وانٍ بلغ الرجل أعلى مراتب العقل، فكانت الصحابة تبصر من أشعة حكمه فوائد الاستشارة كالاستخارة، وتمضي على قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " من أُعجب برأيه ضلّ،

---

(1) مدينة المعاجز 2 : 195 . والنص كالتالي: " إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق اللّه آدم بألفي عام، لا يشذّ منها شاذّ، ولا يدخل فيها داخل، وإني لأعرفهم حين ما أنظر إليهم ; لأنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لما تفل في عيني وكنتُ أرمد قال: اللهمّ أذهب عنه الحرّ والبرد، وأبصر صديقه من عدوه، فلم يُصبني رمد ولا حر ولا برد، وإني لاعرف صديقي من عدوي ".

(2) الاختصاص: 217.

ومن استغنى بعقله زلّ "[1] ، و" لا يندم من استشار، ولا خاب من استخار "[2].

ولمّا خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة طالباً عير أبي سفيان، بلغه في (ذفران)[3] أنّ قريشاً خرجت على كلّ صعب وذلول، شاور أصحابه فقال: " ما تقولون، العير أحبّ إليكم أم النفير "؟

فقال بعضهم: العير، وقال (رجلان): يا رسول اللّه إنّها قريش وخيلاؤها، ما ذلّت منذ عزّت، وما آمنت منذ كفرت، فساءه كلامهما، وتغيّر وجهه، فقام المقداد بن الأسود الكندي وقال: امض يا رسول اللّه لما أمرك به اللّه، ونحن معك، فواللّه لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى بن عمران: { فَاذْهَبَ أَنتَ وَرَبك فَقَاتِلَا إِنَاَ هِاهنا قَّاعدَونُ }[4]، ولكنّ نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ما دام منّا عين تطرف، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن خلفك، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (بلاد الحبشة)، لجالدنا معك من دونه حتّى تبلغه فضحك رسول اللّه وأشرق وجهه وسرّ بكلامه[5].

---

(1) في تفسير القرطبي 4: 251 ورد هكذا: " ما ندم من استشار ولا خاب من استخار "، وأمّا في مصادرنا فوردت هكذا: عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: " ما حار من استخار، ولا ندم من استشار ". وسائل الشيعة 8: 265 ح8، الأمالي للطوسي: 136، كشف الغمة 3: 173.

(2) نهج السعادة 7: 275، الفائدة السادسة.

(3) قال في لسان العرب 1: 157 " ذفران: موضع عند بدر ".

(4) المائدة: 24.

(5) أُسد الغابة 4: 410 ، تاريخ الطبري 2: 140 ، تاريخ الإسلام للذهبي 2: 52 ، والوارد في آخر الرواية: " فقال له رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) خيراً ودعا له.. ".

ولمّا نزل في بدر بأقرب ماء هناك قال له الحبّاب بن المنذر: أرأيت يا رسول اللّه هذا المنزل، منزلاً أنزلك اللّه به أم هو الرأي والمكيدة والحرب؟

فقال: " هو الرأي والحرب ".

فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنى منزل من القوم فينزل على الماء، ثُمّ يعمل حوضاً يملأه ماء يشرب منه المسلمون ولا يشرب منه أعداؤهم، فأخذ برأيه وارتحل حتّى أتى الماء ونزل عليه[1].

ولمّا قصده الأحزاب أراد أن يصالح عيينة بن حصين والحارث بن عوف على ثلث أثمار المدينة، ليرجعا بمن معهما من غطفان، فشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن زرارة، فأشاروا عليه ألا يعطيهم شيئاً، فعمل بمشورتهم، وكان الفتح له[2]، كلّ ذلك إيذاناً وتنبيها بما هو اللازم من التريث والأخذ بحقائق الأمور.

وسار الأئمة من آله على هذا النهج، فكان الإمام الرضا (عليه السلام) يذكر أباه موسى بن جعفر ويقول: " كان عقله لا

يوزن به العقول، وربما شاور بعض عبيده فيشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به، فقيل له: أتشاور مثل هذا؟ فقال (عليه السلام): ربما فتح على لسانه "[3].

ولمّا كتب إليه علي بن يقطين بما عزم عليه موسى الهادي من الفتك به وأنّه سمعه يقول: قتلني اللهّ إن لم أقتل موسى بن جعفر،

(1) أُسد الغابة 1: 365 ، تاريخ الطبري 2: 144 ، تاريخ الإسلام للذهبي 2: 53 ، الثقات لابن حبّان 1: 162 ، إمتاع الاسماع للمقريزي 9: 243.

(2) تاريخ الإسلام 3: 348 ، امتاع الإسماع للمقوزي 1: 239.

(3) المحاسن للبرقي 2: 602 بلفظ: "وربما شاور الأسود من سودانه ".

فلمّا ورد الكتاب عليه شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم على الكتاب وقال لهم: " ما تشيرون عليّ؟ " قالوا: نشير عليك . أصلحك اللّه . أن تباعد شخصك من هذا الجبّار، فلم يتباعد عن مشورتهم، ولكنّه أوقفهم على غامض أسرار اللهّ من هلاك الطاغي، فكان كما قال[1].

وكان الأئمة (عليهم السلام) .وهم العالمون بما كان وما يكون . يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخّر القضاء من مراجعة الطبيب، أو الشخوص نحو المهيمن جلّ شأنه، أو الشكوى إلى جدهّم النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما سُقي الإمام الحسن (عليه السلام) العسل المسموم وأعتلّ تداوى بالحليب، فعوفي، وحين عادت إليه العلةّ أخذ يسرا مِن تربة النّبي ومزجها بالماء فشربه وعوفي[2].

وقال الإمام الهادي (عليه السلام) لأبي هاشم الجعفري حين مرض بسامراء: " ابعثوا رجلاً إلى (الحائر) يدعو اللهّ لي بالشفاء من العلّة ".

فقال علي بن بلال: ما يصنع بالحير، أليس هو الحير؟! فلم يدرِ أبو هاشم ما يجيبه حتّى دخل علي الهادي (عليه السلام) وحكى له قوله، فقال (عليه السلام): " ألا قلت له: إنّ رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطوف بالبيت، ويقبلّ الحجر، وحرمة النّبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت. وأمره اللهّ تعالى أن يقف بعرفات، وانمّا هي مواطن يحب

(1) بحار الأنوار 48: 151.

(2) الكامل للبهائي: 453.

اللّه أن يذّكر فيها، وأنا أحبّ أن يدعّى لي حيث يحب الله أنّ يدعىّ فيها[1].

والغرض من هذا كلّه التعريف بأنّه لم يجب في التكوينات إلا جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية، وأنه لا غناء عنها لأيّ أحد، وأنّ الأئمة من أهل البيت وانِ أمكنهم إعمال ما أقدرهم عليه اللهّ سبحانه من التصرفات حسبما يريدون،

لكنّهم في جميع أدوارهم مقتدى الأُمّة ومسيروهم إلى ما يراد منهم من أمر الدينّ والدنيا، فعلى نهجهم يسير الناس، وبأفعالهم يتأسى البشر، وبإرشادهم ترفع حُجب الأوهام.

وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة.

---

(1) الكافي 4: 567، 568، ح3، كامل الزيارات: 459، ح [697] 1، وسائل الشيعة 14: 538 ح (19775)3، ونص الرواية كالتالي: " عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري قال: بعث إليّ أبو الحسن (عليه السلام) في مرضه، وإلى محمّد بن حمزة، فسبقني إليه محمّد بن حمزة وأخبرني محمّد مازال يقول: " ابعثوا إلى الحير، ابعثوا إلى الحير!

فقلت لمحمّد ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحير، ثمّ دخلت عليه وقلت له: جعلت فداك: أنا أذهب إلى الحير؟ فقال: " انظروا في ذاك "، ثمّ قال لي: " إنّ محمدًا ليس له سر مّن زيد بن علي، وأنا أكره أن يسمع ذلك ".

قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال: ما كان يصنع [بـ] الحير وهو الحير.

فقدمت العسكر، فدخلت عليه فقال لي: " إجلس " حين أردت القيام، فلمّا رأيته أنس بي، ذكرت له قول علي بن بلال.

فقال لي: " ألا قلت له: إنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطوف بالبيت ويقبلّ الحجر، وحرمة النبيّ والمؤمن أعظم من حرمة البيت. وأمره اللّه عزّ وجلّ أن يقف بعرفة، وانما هي مواطن يحب اللّه أنّ يذكرُ فيها، فأنا أحب أن يدعى [اللّه] لي حيث يحب اللّه أن يدعى فيها.. ".

على أنّ التأمل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه، فإنه قال لعقيل: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، فهو (عليه السلام) في مقام الطلب من أخيه أن يخطب امرأةً تصلح له، لا أنه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه، لكونه عالماً بأنساب العرب، وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسية.

سلسلة الآباء

هو العبّاس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إلى هنا يقف الباحث عن الإتيان بباقي الآباء الأكارم الى آدم، بعد ما يقرأ قول النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " إذا بلغ نسبي إلى عدنان فامسكوا "[1].

وكأنّه نظر الى غرابة تلكم الأسماء، وتعاصيها على نطق العامة، فكان التصحيف إليها أسرع شيء، فيعود وهناً في ساحة جلالتهم، وخفةً في مقدارهم، وقد ولدوا الرّسول الأعظم والوصي المقدمّ صلىّ الله ّعليهم أجمعين.

وكيف كان فالمُهمّ الذي يجب الهتاف به هو كون كلُ وّاحد من هؤلاء الأنجاب غير مدنسّ بشيء من رجس الجاهلية، ولا موصوماً بعبادة وثن، وهو الذي يرتضيه علماء الحقّ، لكونهم صديقّين بين أنبياء وأوصياء.

(1) مناقب آل أبي طالب 1: 134، كشف الغمة 1: 15.

وقد نزّههم اللّه تعالى في خطابه لنبيهّ الأقدس: {وَتَقَلبَكَ فَي اِلساجديَّن }[1] ، فإنّه أثبت لهم جميعاً . بلفظ الجمع المحلىّ باللام . السّجود الحقّ الذي يرتضيه لهم.

وإنّ ما يؤثر عنهم من أشياء مستغربة لا بدّ أن يكون من الشريعة المشروعة لهم، أو يكون له معنى تظهره الرواية والتنقيب.

وليس آزر . الذي كان ينحت الأصنام وكاهن نمرود . أبا إبراهيم الخليل[2] ، الذي نزل من ظهره، لأنّ أباه اسمه تارخ، وآزر:

(1) الشعراء: 219.

(2) اختلفوا في أنّ الذي قيل له: (عرق الثرى) إبراهيم أم إسماعيل، فالذي عليه السهيلي في الروض الآنف 1: 8، أنّه إبراهيم، وعلّله: بأنّ الثرى لا تأكله النار، وابراهيم لا تأكله النار.

ويظهر من الصادق (عليه السلام): لما تخطّى النار وقال: " أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الرحمن، الإشارة إليه [الكافي 1: 473 في نوادر المعجزات لابن جرير: 154].

ونصّ عليه في البحار 35: 41في باب نسب أبي طالب قال: وإبراهيم (عرق الثرى).

وفي 44: 104 عند قول الإمام الحسن (عليه السلام): " انا وهو ابن ابن أعراق الثرى "، قال:رأيت في بعض الكتب أنّ عرق الثرى إبراهيم، لكثرة ولده في البادية.

ولعلّ عبد اللّه بن أيوب الخويبي الشاعر في مرثية الإمام الرضا يشير إليه كما في البحار 49: 325 في باب مراثيه.

يابن الذَبيحِ ويَابنَ أعراقِ الثرّى طَابَت أرومَتَه وطَابَ عُرُوقها

ولكن في نصّ الطوي 2: 28 ، والبداية والنهاية 2: 245 ، والبحار 15: 105 عن أم سلمة: أنّ عرق الثرى إسماعيل.

وقد جاء ذكر الثرى في شعر امرئ القيس والفرزدق، ولم يعلم منه المراد، قال امرؤ القيس على ما في أمالي المرتضى 1: 119

فبعض اللوم عاذلتي فأنّي ستغنيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

وقال الفرزدق كما في كامل ابن الأثير 3: 469

أنا ابن الجبال الشمّ في عدد الحصى وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه

وفي أخبار الزمان: 80 عدنان بن عرق الثرى.

[وأيضاً تجده في: أُسد الغابة لابن الأثير 1: 379 ، حياة الإمام الحسن للقرشي: 130].

إمّا أن يكون عمّه، كما يرتئيه جماعة من المؤرّخين، واطلاق الأب على العم شائع على المجاز، وجاء به الكتاب المجيد: { أَمْ كُنتُمْ شُهدَاءَ إِذْ حضرَ يَعقوبَ المَوْتُ إِذ قَالَ لبَنيهِ مَا تَعبدُونَ مِن بعدِي قَالُوا نَعبدُ إِلـهكَ وَإِلـهَ آبَائكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ } [1] فأطلق على إسماعيل لفظ الأب، ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمّه، كما أُطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جدّه.

وإمّا أن يكون آزر جدّ إبراهيم لامُه كما يراه المنقبونّ، والجد للأم أُبّ في الحقيقة، ويؤيد أنّه غيرّ أبيه قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزرَ } [2].

فميّزه باسمه، ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوّة عن التسمية بآزر.

وصرّح الرسول بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فقال: " لمّا أراد اللّه أن يخلقنا، صورنا عمود نور في صلب آدم، فكان ذلك النور يلمع في جبينه، ثمّ انتقل إلى وصيّه شيث، وفيما أوصاه به ألا يضع هذا النور إلا في أرحام المطهّرات من النساء،

(1) البقرة: 133.

(2) الأنعام: 74.

ولم تزل هذه الوصيّة معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر، فولدنا الأخيار من الرجال والخيرات المطهرات المهذبات من النساء، حتّى انتهينا الى صلب عبد المطلب، فجعله نصفين: نصف في عبد اللّه فصار إلى آمنة، ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد ".

أمّا " عدنان " فقد أوضح في خطبه في ظهور النبّي وأنهّ من ذريتهّ وأوصى باتباعه.

وكان ابنه " معد " صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ممّن حاد عن التوحيد، ولم يحارب أحداً إلارّجح عليه بالنصر والظفر، ولكونه على دين التوحيد ودين إبراهيم الخليل أمر اللّه أرميا أن يحمله معه على البراق كيلا تصيبه نقمة بخت نصر، وقال سبحانه لارميا: إنّي سأخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل، فحمله الى أرض الشام الى أن هدأت الفتن بموت بختنصّر [1].

وكان السبب في التسمية بـ " نزار " أنّ أباه لمّا نظر إلى نور النبوّة يشع من جبهته سره ذلك، فأطعم الناس لأجله وقال: إنه نزر في حقّه [2].

وورد النهي عن سبّ ربيعة ومضر ; لأنهّما مؤمنان، ومن كلام مضر: من يزرع شراّ يحصد ندامة.

و" إلياس بن مضر " كبير قومه وسيّد عشيرته، وكان لا يقضى أمر دونه، وهو أوّل من هدى البدن إلى البيت الحرام، وأوّل من

(1) السيرة الحلبية 1: 20.

(2) الروض الآنف 1: 8.

ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح، وكان مؤمناً موحّداً، ورد النهي عن سبه [1].

وقد أدرك مدركة بن إلياس كلّ عز وفخر كان لآبائه، وكان فيه نور النبّي محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

و" كنانة " شيخ عظيم القدر حسن المنظر، كانت العرب تحجّ إليه لعلمه وفضله، وكان يقول: قد آن خروج نبيّ من مكة يدعى أحمد، يدعو إلى اللّه وإلى البرّ والاحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تردادوا رشداً وغوا إلّى عزكمّ، ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحقّ. ومماّ يؤثر عنه: "ربّ صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها، فاحذر الصور واطلب الخبر "، وكان يأنف أن يأكل وحده.

وولده " النضر " (قريش عند الفقهاء) فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي، وإنّما أولاده مثل مالك وفهر، فمن ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلده فليس بقرشي [2].

وأمّا " فهر " فقد حارب حسّان بن عبد كلال حين جاء من اليمن في حمير لأخذ أحجار الكعبة ليبني بها بيتا ًباليمن يزوره الناس، فانتصر فهر وأسر حسّان وانهزمت حمير، وبقي حسّان في الأسر ثلاث سنين، ثم ّفدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن، فهابت العرب فهراً وأعظموه وعلا أمره، خصوصاً مع ما يشاهدون في جبهته من نور النبوة.

(1) الروض الآنف 1: 8.

(2) السيرة الحلبية 1: 61.

ويؤثر عنه قوله لولده غالب: " قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك "، وكان موحّداً[1].

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النّبي، ويُعلم قريشا أنه ّمن ولده، ويأمرهم باتباعه ويقول: " اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا وتفهّموا تفهموا، ليل داج ونهار ساج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين، كل ّذلك إلى بلاء، فصلوا أرحامكم، وأصلحوا أموالكم، فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتاً نشر الدار أمامكم؟ والظنّ خلاف ما تقولون، زينوّا حرمكم وعظموّه وتمسّكوا به ولا تفارقوه، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبيّ كريم، ثم ّقال:

نهارٌ وليلٌ واختلاف حوادث ... سواءٌ علينا حلوها ومريرها

يؤوبان بالأَحداثِ حتىّ تؤوبا ... وبالنعمِ الضافي علينا ستورُها

على غفلة يأتِي النبّي محمدّ ... فيُخبر أخبارا ً صدوقا ً خبيرها

ثمّ قال:

يَاليتني شاهِدِ فحَواء دعوته ... حتّى العشوةِ تبغي الحق ّخذُلانا[2]

ولجلالته وشرفه في قومه أرخوا بموته ثمّ أرخوا بعام الفيل، ثمّ بموت عبد المطلب، وهو أوّل من سمىّ يوم الجمعة ; لاجتماع قريش فيه، وكان اسمه في الجاهلية العروبة، ولما جاء الإسلام أمضاه[3].

(1) السيرة الحلبية 1: 26.

(2) السيرة الحلبية 1: 25 ، السيرة النبوية لابن كثير 1: 167.

(3) السيرة الحلبية 3: 169.

و" كلاب بن مرّة " الجد الثالث لآمنة أمّ النبيّ والرابع لأبيه عبد الله، كان معروفا بالشّجاعة، ونور النبي لائح في جبهته.

ولا تسل عن سيّد الحرم " قصي " فلقد جمع قومه من منازلهم وأسكنهم أرض مكة، وأمرهم بالبناء حول البيت ; لتهابهم العرب، فبنوا حول جوانبه الأربعة، وجعلوا لهم أبواباً تخصهم، فباب لبني شيبة، وباب لبني جمح، وباب لبني مخزوم، وباب لبني سهم. وتركوا قدر الطواف بالبيت، وبنى قصي دار الندوة للمشاورة والتفاهم فيما يعرض عليهم من المهمات، وتيمّنت قريش برأيه وسمّي مجمعاً.

وعند مجيء الحاج قال لقريش: " هذا أوان الحجّ، وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام، فليخرج كلّ انسان منكم من ماله خرجاً ". ففعلوا وجمع مالاً كثيراً، ولما جاء الحاج نحر لهم على كل طريق من طرق مكة جزوراً، غير ما نحره بمكة، وأوقد النار بالمزدلفة ليراها الناس [1].

وصنع للناس طعاماً أيام منى، وجرى عليه الحال حتّى جاء الإسلام، فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام منى كل عام من آثار قصي [2].

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي، وسلّمت له أمر الحرم وسدانة البيت الحرام، بعد أن كانت عند حليل وعند قصي ابنته وهي أمّ أولاده.

---

(1) السيرة الحلبية 1: 21.

(2) تاريخ الطبري 2: 185.

تولّى قصي سدانة البيت: إمّا بوصاية من حليل عند الموت إليه، أو أنّها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة، فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة، أو أنّ أبا غبشان الخزاعي كان وصيّ حليل على هذه السدانة، فعاوضه عليها قصي بأثواب وأنواد من الإبل.

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت، ويتفق مع العقل الحاكم بنزاهة جدّ الرسول الأقدس خاتم الأنبياء عما تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمر المحرم في جميع الأديان.

أيجوز لجدّ الرسول أن يجعل للخمر قيمة. وثمنها سحت. وهو المانع عنها، المحذّر قومه منها؟! فإنّه قال لولده وقومه: " اجتنبوا الخمر، فإنّها لا تصلح الأبدان، وتفسد الأذهان "، فكيف يعاوض بها؟! بل لا يتحيّل إلى مطلوبه بالخمر وهو القائل: " من استحسن قبيحاً نزل إلى قبحه، ومن أكرم لئيماً أشركه في لؤمه، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحقّ الحرمان، والحسود هو العدو الخفي " [1].

وقد جمع أطراف المجد والشرف " عبد مناف " بن قصي، ولبهائه وجمال منظره قيل له: " قمر البطحاء "، وكان سمحاً جواداً لا يعدم أحداً من ماله حتّى في أيام أبيه، فقيل له: " الفياض ".

ويسمّى مناف ; لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتّى ضربت له الركبان من أطراف الأرض [2]، وكان اسمه عبداً، ثمّ

أُضيف إلى

(1) السيرة الحلبية 1: 21.

(2) إثبات الوصيه: 75.

مناف فقيل له: " عبد مناف "وهذا هو الصحيح المأثور.

وأمّا ما أثبته ابن دحلان في السيرة النبوية من أن أُمّة اخدمته صنما اسمه مناف، بعيد عن الصواب ; إذ لا شك فيّ نزاهة آباء النّبي وأُمهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفيّة الرسول الأعظم، فليس بصحيح ما يقال: من أنّ في آباء النبّي وأُمهاته من يعبد الصنم، أو يخضع له ; لشهادة ما تقدمّ من الأحاديث عليه، واليه أشار البوصيري:

لم تَزل في ضمَائرِ الكونَ تختارَ ُ لَكَ الأمُهات وَالآباء [1]

على أنّه لم يكن من الأصنام اسمه " مناف "، وانمّا الموجود " مناة " بالتاء المثناة من فوق، ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام: 32 : " لا أدري أين كان هذا الصنم؟ ولمن كان؟ ومن نصبه " [2].

ومنه نعرف الغلط في قول الازرقي والزبير: أنّ أُمه أخدمته مناة (بالتاء المثناة من فوق) فسمي عبد مناة، ولكن رأي قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوّله عبد مناف.

وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش [3]، ولسيادته كان عنده قوس إسماعيل ولواء نزار.

ومن وصيّته ما وجد مكتوباً في بعض الأحجار: أوصى قريشا بتقوى الله جّل جّلاله وصلة الرحم [4].

(1) السيرة الحلبية 1: 71.

(2) معجم البلدان للحموي 5: 203 والعبارة التي فيه: "ولا أدري أين كان؟ولا من كان نصبه ".

(3) سبل الهدى والرشاد 1: 272.

(4) السياسة الشرعية لابن تيمية 1: 57.

وحوى ابنه هاشم على سيرته حتّى فاق قريشاً وسائر العرب، واذعنوا له، وكان يطّعم الحاجّ، كما كان يصنع أبوه.

وأصابت قريشاً سنة مُجدبِة، فخرج هاشم الى الشام واشترى الدقيق والكعك، فهشم الخبز، ونحر الجزر، وأطعم الناس حتىّ أشبعهم. وكانت مائدته منصوبةً لا ترفع في السرّاء والضرّاء، وكان يحمل ابن السبيل، ويؤمن الخائف، واذا أهل هّلال ذّي الحجّة قام في صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها وخطب الناس فقال:

" يا معشر قريش ; إنّكم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها نسباً، وانكمّ جيران بيت الله، آكرمكم الله ولايته، وخصّكم بجواره دون بني إسماعيل، وانّه يأتيكم زوار اللهّ يعظموّن بيته، فهم أضيافه، وحق مّن أكرم أضياف الله أنّتم ; فأكرموا ضيفه وزواره، فإنّهم يأتونه غواً من كل بّلد، على ضوامر كالقداح، فورب هّذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه، وأنا مخرج من طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل. وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله . لكرامة زوار بيت اللّه وتقويتهم . إلاّ طيباً، لم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ غصباً ".

فكانوا يجتهدون في ذلك، ويخرجون من أموالهم، ويضعونه في دار الندوة [1] .

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 211، السيرة الحلبية 1: 9، سبل الهدى والرشاد 1: 270.

وكان هاشم يطعم الحاجّ بمكة ومنى وعرفة وجمع [1] .

وهو أوّل من سنّ لقريش الرحلتين ;رحلة إلى اليمن ورحلة إلى الشام، وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتصمون به [2] ; وذلك إنّ تجار قريش لم تعد تجارتهم نفس مكة وضواحيها، وانّما تقدمّ عليهم الأعاجم بالسلع، فيشترونها، حتىّ رحل هاشم إلى الشام ونزل على قيصر، فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئته وكرمه المنهمر، فلم يحجبه، وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة، وكتب أماناً بينهم، فارتفقت منزلة هاشم بين الناس، فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام، وجعل له معهم ربحاً، وساق لهم إبلاً مع إبله، وكفاهم مؤونة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، فكان المقيم رابحاً، والمسافر محفوظاً، فأخصبت قريش بذلك، وأتاها الخير من البلاد العالية والسافلة ببركة هاشم، وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد [3] .

وكان يقول في خطبته: " أيُّها الناس نحن آل إبراهيم، وذريّة إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة، وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب، ومعدن المجد، ولكُلّ في كل خلف يجب عليه نصرته واجابة دعوته، إلا مّا دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم.

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 211، تاريخ الطبري 2: 12.

(2) تاريخ الطوي 2: 12 ، الكامل في التاريخ 2: 16.

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 210.

يا بني قصي، أنتم كغصني شجرة أيّهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يصان إلاّ بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه،

ومن أمحكه اللجاج وأخرجه إلى البغي.

أيّها الناس، الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام هول، والدهر غيرٌ، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم، وحاموا الخليط يرغب في جوركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنّها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيّة فإنّها تضع الشرف، وتهدم المجد، وإنّ نهنهة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به "[1].

ولنور النبوّة الحالّ في جبهته كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء، ولم يمرّ بحجر ولا شجر إلا نادّاه: أبشر يا هاشم، سيظهر من ذريّتك أكرم خلق اللّه محُمدّ خاتم النبيينّ.

وأوصاه أبوه ـ عبد مناف ـ بما أوصاه به أبوه قصي: أن لا يضع نور النبوّة إلاّ في الأرحام الطاهرات من النساء، وأخذ عليه العهد بذلك، فقبل.

وقد تقدّم أنّها موروثة من آدم (عليه السلام)، ومن هنا رغب الأشراف من الأكاسرة والقياصرة في مصاهرة هاشم وهو يأبى، حتّى إذا رأى

---

(1) جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت 1: 73، نقلاً عن آباء الأنبياء كلهم مؤمنون، مركز المصطفى.

في المنام قائلاً يقول: عليك بسلمى بنت عمرو بن لبيد بن حداث ابن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني النجار، فإنّها طاهرة مطهّرة الأذيال، ليس لها مشبه من النساء، فادفع المهر الجزيل، فإنّك ترزق منها ولدا يكون منه النبيّ، فمشى هاشم وأخوه المطلب وبنو عمّه إلى المدينة ومعهم لواء نزار وعليهم أفخر الثياب والدروع.

ولمّا اجتمع القوم خطب المطلب بن عبد مناف فقال: " نحن وفد بيت اللّه الحرام، والمشاعر العظام، وإلينا سعت الأقدام، وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا، وما خصّنا به اللّه من النور الساطع والضياء اللامع، ونحن بنو لؤي بن غالب، قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف، ثُمّ إلى أخينا هاشم، وهو معنا من آدم (عليه السلام)، وقد ساقه اللّه إليكم، وأقدمه عليكم، فنحن لكريمتكم خاطبون، وفيكم راغبون ".

فأجابه عمرو ـ أبو سلمى ـ بالقبول والإنعام، وساقوا المهر كما أرادوا.

ولمّا تزوّج منها هاشم، ودخل بها، وحملت بعبد المطلب انتقل إليها النور، ومازالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأوعها ذلك، إلاّ أنّ هاشما عرفها أمر النبيّ[1].

فلمّا ولدت عبد المطلب كان يدعى (شيبة الحمد) ; لكثرة حمد الناس له، لكونه مفزع قريش في النوائب، وملجأهم في الأُمور، فكان شريف قومه وسيّدهم كمالا ورفعة، غير مدافع عن ذلك، وهو من حلماء قريش وحكمائها.

---

(1) بحار الأنوار 15: 40.

وقد سنّ أشياءً أمضاها له الإسلام: حرمّ نساء الآباء على الأبناء، ووجد كنزا أخرج خمسه وتصدق به، وسن في القتل مائة من الإبل، ولم يكن للطواف عدد عند قريش. فسنّه سبعة أشواط، وقطع يد السارق، وحرمّ الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يستقسم بالأزلام، ولا يؤكل ما ذبح على النصب [1].

ومما يؤثر عنه: " الظلوم لن يخرج من الدنيا حتّى ينتقم منه، وإنّ وراء هذا الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وإذا لم تصب الظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في الآخرة " [2].

وقيل له: الفيّاض ; لكثرة جوده ونائله، حتّى إنّ مائدته يأكل منها الراكب، ثم تُرفع إلى جبل أبي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش [3].

ولغرّه المنيع وشرفه الباذخ كان يفرش له بفناء الكعبة، ولم يفرش لأيّ أحد غيره، ولا يجالسه على بساط الأبهّة إلا نبّي العظمة [4]، وإذا أراد أحد أعمامه أن ينحيه صاح به عبد المطلب وقال: " إنّ له لشأناً وملكاً عظيما " [5].

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصيّاً من الأوصياء وقرناً للكتب السماوية، ولقد أخبر أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: " كان أبي

(1) الخصال: 313، الدر النظيم: 798.

(2) الغدير 7: 353 ، عقيدة أبي طالب للرفاعي: 72.

(3) السيرة الحلبية 1: 6.

(4) تاريخ اليعقوبي 2: 12.

(5) المصدر السابق.

يقرأ الكتب جميعاً " وقال: " إنّ من صلبي نبياً، لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به " [1].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): "واللّه ما عبَد أبي ولا جديّ عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنما، وإنما كانوا يعبدون اللّه، ويصلّون إلى البيت على دين إبراهيم، متمسكين به " [2].

وكان أبو طالب سيّد البطحاء شبيهاً بأبيه شيبة الحمد، عالما بما جاء به الأنبياء، وأخبرت به أممهم من حوادث وملاحم ; لأنّه وصيّ من الأوصياء، وأمين على وصايا الأنبياء حتىّ سلمهّا إلى النبيّ [3].

قال دوست بن منصور: قلت لأبي الحسن الأوّل: أكان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) محجوجا بأبي طالب؟

قال: " لا، ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " قلت: دفعها إليه على أنّه محجوج به؟

قال (عليه السلام): " لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه ".

قلت: فما كان حال أبي طالب؟

قال: " أقرّ بالنبّي وبما جاء به حتىّ مات "[4].

(1) بحار الأنوار 35: 147.

(2) كمال الدين وتمام النعمة: 175، بحار الأنوار 15: 144 وغيرها من المصادر.

(3) بحار الأنوار 35: 74.

(4) الكافي 1: 445، ح18.

وقال المجلسي: " أجمعت الشيعة على أنّ أبا طالب لم يعبد صنماً قط،وأنه كان من أوصياء إبراهيم الخليل (عليه السلام)"[1].

وحكى الطبرسي إجماع أهل البيت على ذلك،ووافقه ابن بطريق في كتاب المستدرك.

وقال الصدوق: " كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم بشأنّ النبّي، وكانا يكتمان ذلك عن الجهال والكفرة "[2].

وممّا يشهد على أنّه كان على دين التوحيد وملةّ إبراهيم، أن قريشا لمًا أبصرت العجائب ليلةولادة أمّير المؤمنين، خصوصاً لما أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن بهم ما شاهدوه لرتجّ الجبل، وتساقطت الأصنام، فزعوا إلى أبي طالب ; لأنّه مفزع اللاجيء،وعصمة المستجير، وسألوه عن ذلك، فرفع يديه مبتهلاً إلى المولىّ جل شّأنه قائلا: " إلهي أسألك بالمحمّدية المحمودة،والعلويةّ العالية،والفاطمية البيضاء إلا تفضّلت على تهامة بالرأفة والرحمة، فسّكن ما حل بهم،وعرفت قريش هذه الأسماء قبل ظهورها، فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهمات،وهي لا تعرف حقيقتها "[3].

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول وخصّه به دون بنيه وقال:

(1) بحار الأنوار 35: 138، والعبارة فيها تقديم وتأخير.

(2) كمال الدين وتمام النعمة: 171 ، الخرائج والجرائح 3 : 1074 ، وفي آخر الحديث: " عن الجهّال،وأهل الكفر والضلال ".

(3) روضة الواعظين: 78، مناقب آل أبي طالب 2: 22، الدر النظيم: 231.

وصيّت من كنيتّه بطالبّ عبدَ مناف وهو ذو تجلرّب

بابنِ الحبيبّ أكرم اِلأقلربّ بابن الّذي قدَ ْغاب َغير آئب

فقال أبو طالب:

لا تُوصني بلازم وواجب إنّي سمعتُ أعجب َالعجائب ِ

من كُلّ حبر عالم وكاتب بأنّ بحمدّ اللهّ قول الواهب ِ[1]

فقال عبد المطلب: " أُنظر يا أبا طالب أن تكون حافظا ًلهذا الوحيد الذّي لم يشَمرائحة أبيه، وّلم يذق شفقة أمه، ُأنظر أُن يكون من جسّدك بمقوّلة كبدك، فإنيّ قد تركت بني كلهمُ وّخصصتك به، لأنك مّن أم أبيهُ، وأعّلم فإن استطّعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه واللهّ سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي، هل قبلت وصيتّي "؟

قال: " نعم، قد قبلتُ، واللهّ على ذلك ِشاهد ".

فقال عبد المطلب: " الآن خفف عليَّ الموت "، ولم يزل يقبله ويقول: " اشهد أنّي لم أر أحدا ًفي ولدي أطيب ريحا ًمنك ولا أحسن وجهاً "[2].

وفوح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف، وراح يدّخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبيّ الرحمة، فقام بأمره، وحماه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرّب وقريش، وكان يؤثره على أهلهّ ونفسه، وكيف لا يؤثره وهو يشاهد من ابن أخيهّ ولمّا يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبة ًورجاحة، أكثر ضحكه الابتسام، ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع.

(1) مناقب آل أبي طالب 1: 34، بحار الأنوار 35: 85، الدر النظيم: 211.

(2) كمال الدين وتمام النعمة: 172 ،وعنه المجلسي في بحار الأنوار 15: 143.

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً إلاّ قال: " بسم اللهّ الأحد "، واذا فرغ من الطعام حمد ِاللهّ وأثنى عليه، وان رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلى عنان السماء[1].

وكان يوماً معه بذي المجاز، فعطش أبو طالب ولم يجد الماء، فجاء النبّي إلى صخرة هناك وركلها برجله، فنبع من تحتها الماء العذب[2]. وزاد على ذلك توفر الطعام القليل في بيته حتّى إنّه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبّي منه شيئا[3].

وهذا وحدّه كاف في الإذعان بأن أبا طالب كان على يقين من نبوة ابن أخيه محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

أضف إلى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوّجه من خديجة: "وهو واللّه بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل "[4].

وفي وصيته لقريش: " إنّي أوصيكم بمحمدّ خيرا، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصاكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان "[5].

ولمّا جاء العباس بن عبد المطلبّ يخوه بتألبّ قريش على معاداة الرسول قال له: " إن أبّي أخبرني أن الرّسول على حق، ولا

(1) انظر مناقب آل أبي طالب 1: 36 ـ 37، وعنه المجلسي في بحار الأنوار 15: 235.

(2) السيرة الحلبية 1: 191.

(3) المصدر السابق 1: 189.

(4) السيرة الحلبية 1: 226 ، إمتاع الاسماع للمقريزي 6: 29، تفسير البحر المحيط 3: 110.

(5) السيرة الحلبية 2: 49، الغدير 7: 366 . وقد ذكر المصادر الموردة للحديث.

يخوّه ما عليه قريش من معاداة له، وإنّ أبي كان يقرأ الكتب جميعا، وقال: إن مّن صلبيّ نبيا لوّددت أني أدركته فآمنت به، فمن أدركه فليؤمن به "[1].

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب، مع أنّه كان يقرؤها مثله، يدلنّا على تفننّه في تنسيق القياس واقامة البرهان على صحة النبوّة، وأنّ الواجب اعتناق شريعته الحقةّ.

أمّا هو نفسه فعلى يقين من أنّ رسالة ابن أخيه خاتمة الرسل، وهو أفضل من تقدمّه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة، ولم تجهل لديه صفات النّبي المبعوث.

وعلى هذا الأساس أخبر بعض أهلّ العلم من الأحبار حينمّا أسرّ إليه بأن ابن أخيه محمد الروح الطيبة، والنبي المطهر على لسان التوراة والانجيل، فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشوا الخبر، ثمّ قال له: " إنّ أبي أخبرني أنهّ النبيّ المبعوث، وأمر أنّ أستر ذلك لئلا يغوى به الأعادي ".

ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لما أظهر الإسلام.

فصَبرْ أبا يعَلى على دين أحمد وكُن مظهراً للدين وفقتّ صابرا

(1) الفتوح لابن أعثم الكوفي 2: 557، الغدير 7: 348 . وقد ذكر المصادر الموردة للحديث ثمّ قال: " قال الأميني: أترى أنّ أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به، وينشط رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا التنشيط لأوّل يومه، ويأمره بإرشاد أمره والإشادة بذكر اللّه،

وحطْ من أتى بالدين من عندِ ربِّه بصدق وحقّ لا تكن حمز كاذباً

فقد سرّني إذ قلت إنّك مؤمن فكنْ لرسولِ اللهّ فِي الله نّاصِرا

ونادِ قُريشا بًالذي قد َأتْيته جهاراً وقُل ّما كان أحمد َ ساحِراً[1]

وقال رادًا على قويش:

أَلَمَ ْتعلَمْوْاَ أنا وجّدنا محمدا ً نبيّاً كموسى خط َّفي أولّ الكتب[2]

وقال:

وأَمسى ابنُ عبد ِاللهّ فينا مُصدقًا على سخط من قَومنا غيرَ معتّب[3]

وقال:

أمينٌ محبّ في العباد ِمسومّ بخاتمِ ربٍّ قاهر للخواتم ِ

يرى الناسَ رُهانا ًعليه وهيبة وما جاهل في فعلهِ مثل عالمِ

نبيّ أتاه الوحي من عند ِربهٍّ فمَن قال لا يقْع بها سنّ نادم[4]

(1) مناقب آل أبي طالب 1: 56، كنز الفوائد للكراجكي: 79، الغدير 7: 357، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 76.

(2) مناقب آل أبي طالب 1: 57 ، كنز الفوائد للكراجكي: 79 ، البداية والنهاية لابن كثير 3: 108 ، السيرة النبوية لابن

هشام 1: 235.

(3) مناقب آل أبي طالب 1: 58 ، سيرة ابن إسحاق: 145، الدر النظيم للعاملي: 216.

(4) كنز الفوائد للكراجكي: 79 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 73.

وممّا خاطب به النجاشي:

تَعلم خيارُ الناس أِن مّحمدا ً وزيرٌ لموسى والمسيّح بن مريّم

أتى بالهدى مثلَ الذي أتيا بهِ فكُلّ بأمر اللهّ يهديّ ويعصَم ُ

وإنّكم تتلونه في كتابكم بِصدقِ حديث لا حديثَ المُتوجم

فلا تجعلوا للّهِ نداً وأسلموا فإنّ طريق الحقّ ليس بمظلمِ

وقال:

اذهب بُنيّ فما عليك غَضَاضة ً اذهب وقرّ بذاك منِك عيونا ً

واللّه لن يصَلوا إليك بَجمعهمِ حتّى أُوسد فَي التوابّ دفينا ً

ودعوتني وعلمتُ أنكَ ناصحي ولقد صدقتَ وكُنت قَبلَ أُمينا ً

وذكرتَ ديناً لا محالة أنهّ من خير أديانِ البريّة دينا (1)

وبعد هذه المصارحة هل يخالج أحداً الريبُ في إيمان أبي طالب؟

(1) مناقب آل أبي طالب 1: 301 ، بحار الأنوار 35: 87 ، الغدير 7: 334 ، فتح الباري 7: 148 ، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي 1: 435، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري 2: 12 ، تفسير الثعلبي 4: 141 ، تفسير البغوي 2: 91 ، زاد المسير لابن القيم 2: 17 ، تاريخ الإسلام للذهبي 1: 150 ، البداية والنهاية لابن كثير 3: 56، السيرة الحلبية 1: 462 ، وغيرها من المصادر الكثيرة التي نقلت هذا الشعر بتمامه أو بعض المقاطع منه.

وهل يجوز على من يقول: " إنّا وجدنا محمدًا كموسى نبيا " إلا الاعتراف بنبوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين؟

وهل يكون إقرار بالنبوّة أبلغ من قوله: " فأمسى ابن عبد اللّه فينا مصدقا "؟

وهل فرق بين أن يقول المسلم: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وبين أن يقول:

وإن كانَ أحمد قدْ جاءهَم بصدق ولم يتهم بالكذبِّ [1]

أو يعترف الرجل بأنّ محمدًا كموسى وعيسى جاء بالهدى والرشاد مثل ما أتيا به ثم يُحكم عليه بالكفر؟!

وهل هناك جملة يعبّر بها عن الإسلام أصرح من قول المسلم:

وذكرت ديناً لا محالة أنّه من خيرِ أديان البريّة دينا؟

كلاّ! ولو لم يعرف أبو طالب من ابن أخيه الصدق فيما أخبر به لما قال له بمحضر قريش ليريهم من فضله وهو به خبير وجنانه طامن: " يابن أخي اللّه أرسلك "؟

قال: " نعم ".

قال: " إنّ للأنبياء معجزة وخرق عادة فأرنا آية "؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " يا عم ادع تلك الشجرة وقل لها: يقول لك محمّد بن عبد اللّه: أقبلي بإذن اللّه "! فدعاها أبو طالب فأقبلت حتّى سجدت بين يديه، ثمّ أمرها بالانصراف فانصرفت، فقال أبو

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 62، سيرة ابن إسحاق: 144.

طالب: " أشهد أنّك صادق "، ثمّ قال لابنه علي (عليه السلام): " يا بني ألزمه " [1].

وقال يوماً لعلي: " ما هذا الذي أنت عليه "؟

قال: " يا أبة آمنت باللّه ورسوله، وصدقت بما جاء به، ودخلت معه واتبعته ". فقال أبو طالب: " أما أنهّ لا يدعك إلا إلّى خير فالزمه " [2].

وهل يجد الباحث بعد هذا كُلّه ملتحدا عن الجزم بأن شّيخ الأبطح كان معتنقا للدّين الحنيف، ويكافح طواغيت قريش حتى بالإتمام مع النبّي في صلابة، وإن أهمله فريق من المؤرخّين رعاية لما هم عليه من حب الوقيعة في أبي طالب ورميه بالقذائف، حنقاً على ولده (الإمام) الذي لم يتسن لهم أي غمزة فيه، فتحاملوا على أمهُ وأبيه، إيذاء له، واكثرا لنظائر من يرومون إكبار

وإجلاله ممّن سبق منهم الكفر، وحيث لم يسعهم الحظّ من كرامة النبيّ أو الوصي عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات، وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقهم اثباته!!

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتّاب عند ذكرى أسوى بدر فقال: " وكان من الأسوى عمّ النبيّ، وعقيل ابن عمه (أخو علي)[3] ".

(1) بحار الأنوار 35: 115، الغدير 7: 396.

(2) مناقب آل أبي طالب 1: 301 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 13: 200، تفسير الثعلبي 5: 85 ، تاريخ الطبري 2: 58 ، السيرة الحلبية 1: 436، سبل الهدى والسلام للصالحي الشامي 2: 301.

(3) تاريخ الأُمّة العربية: 84، مطبعة الحكومة، بغداد، 1939م.

فإنّه لو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنّه ابن عمّ النبيّ كفاية، كما اكتفى في تعريف العباسّ بأنه عمّ النّبي، ولم يحتج أن يكتب بين قوسين (أخو علي)، وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين، وإلى أيّ شيء يرمز بها الكاتب، ولكن فاته الغرض وهيهات الذي أراد ففشل.

ثُمّ جاء فريق آخر من المؤرّخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة، وأن مّا جاءوا به حقائق راهنة، فاقتصر على مرويّاتهم مما دبّ ودرج، وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة، ومن هنا أهملت حقائق ورويت أباطيل.

فعزوا إلى أبي طالب قوله: " إنّي لا أحبّ أن تعلوني أستي "![1]

(1) مسند أحمد 1: 99 ، مجمع الزوائد للهيثمي 9: 102 وقال: " رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن "، مسند أبي داود الطيالسي: 26، السيرة الحلبية 1: 436.

والجدير بالذكر أنّ الحديث ورد عن طريق يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن حبّة العرني، عن علي وعليه فالكلام يقع في مقامين:

الأوّل: في سند الحديث والثاني: في متن الحديث.

أمّا سند الحديث فلا يحتاج إلى كثير مؤونة ; لأنّ يحيى بن سلمة بن كهيل ضعيف، قال الذهبي في ميزان الاعتدال 4: 381/9527: " يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه:

قال أبو حاتم وغيره: منكر الحديث.

وقال النسائي: متروك.

وقال عباس عن يحيى: ليس بشيء، لا يكتب حديثه.

وقال محمّد بن إبراهيم بن أبي العنس: أخبرني يحيى بن سلمة قال: كان سفيان الثوري يجيء إلى أبي وهو غلام عليه أقبية

يسمع منه، فكان أبي يعيّرني به ويقول: أنُظر إلى هذا الغلام يجيء من بني ثوررغبة في الحديث،وأنت هاهنا لا ترغب فيه... ".

وارجع إلى غرره تجد ترجمته كما ذكرنا.

وأمّا الناحية الثانية المتعلقة بمتن الحديث، فنقول: إنّ صاحب السيرة الحلبية 1: 436 قال بعد أن ذكر الحديث: "وهذا ـ كما لا يخفى ـ ينبغي أن يكون صدر منه قبل ما تقدّم من قوله لابنه جعفر: صل جناح ابن عمك، وصل على يساره، لمارأى النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلّي وعلي على يمينه.. ".

فاذن لا بدّ من تخطّي هذا الأمر واثبات أنّ هذا القول صدر بعد ما أوصى جعفر بالصلاة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنى له إثبات ذلك، مع ما عرفته من حال السند.

أضف إلى ذلك أنّه قال: "وذكر أنّ أبا طالب قال لعلي: أي بني ما هذا الذي أنت عليه؟

فقال: يا أبتِ آمنت باللّه ورسوله، وصدقّت ما جاء به، ودخلت معه واتبعته! فقال: إما إنه لم يدعك إلا إلّى خير فالزمه ".

وعليه فيكون الحديث المتقدّم باطلاً ; لأنّ المعروف خلافه.

يضاف إلى ذلك تناقض آخر ; إذ ذكروا أنّ أبا طالب مات مشركاً، لا لأجل هذه المقوله: " إنيّ لا أحب أن تعلوني أستُي "، بل لأجل ما ذكروا من قول أبي طالب: " إنّي لا أعلم أنّ ما يقوله ابن أخي لحق، ولولا أنيّ أخاف أن تعيرنيّ نساء قريش لاتبعته ".

فيكون عدم الاتباع لأجل هذا، لا ما تقدّم.

فاذن الحديث ضعيف سنداً، ومن الجهة الأخرى فيه مشاكل مقنية تأبى قبوله أو التصديق به، فيكون من مختلقات العثمانيين.

ثُمّ رووا عنه أنهّ قال لرسول الله: " ما هذا الدينّ "؟

قال رسول اللّه: " دين اللّه، ودين ملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني اللهّ به إلى العباد، وأنت أحق مّن دعوته إلى الهدى وأحقّ من أجابني ".

فقال أبو طالب: " إنّي لا استطيع أن أفُارق ديني ودين آبائي، واللهّ لا يخلص إليك من قريش شيء تكرهه ما حييت " [1].

(1) تاريخ الطبري 2: 58، الكامل في التاريخ 2: 58.

فحسبوا من هذا الكلام أنّ أبا طالب ممّن يعبد الأوثان، كيف! وهو على التوحيد أدلّ!

وجوابه: هذا من أنفس التورية وأبلغ المحاورة، فإنّ مراده من قوله لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) عقيب قوله: " أنت أحق من دعوته ": " إنّي لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي " الاعتراف بإيمانه، وأنهّ باق على الملةّ البيضاء، وحنيفية إبراهيم الخليل الذي هو دين الحقّ والهدى، وهو دينه ودين آبائه، ثُمّ أراد أبو طالب في تطمين النبيّ بالمدافعة عنه مهما كان

باقياً في الدنيا.

نعم، من لا خوة له بأساليب الكلام وخواصّ التورية يحسب أنّ أبا طالب أراد بقوله: " إنيّ لا أفلُق ديني... إلى آخره " الخضوع للأصنام، فصفق طرباً، واختال مرحاً.

وجاء الآخر يعتذر عنه بأنّه كان راعي بقوله هذا الموافقة لقريش، ليتمكّن من كلائة النبيّ وتمشية دعوته.

نحن لا ننكر أنّ شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه مداراة القوم في ما يمسّ بكرامة الرسول للحصول على غايته الثمينة، لكنّا لا نصافقهم في كلّ ما يقولون: من انسلاله عن الدينّ الحنيف إنسلالا بأتا، فإنه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة تلكم المخزيات، ومهملي الحقائق الناصعة، حذراً عمّا لا يلائم خطتهم، فلقد كان راغم أولُئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والائتمام بالصلاة مع النّبي.

وإنّ شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بها سرت به الركبان، وكذلك أعماله الناجعة حول دعوة الرسالة:

ولولاَ أبُو طالَب وابنه ... لمّا مثلُ الدينّ شخصَا فقامًا

فَذاكَ بمِكة آوَى وحامَا ... وهذا بيثرِبَ جسَ الحمامِا

تكفلّ عبدَ مُنافُ بأمرِ ... وأَودىَ فكَانَ علي تمّامَا

فللّه ذا فاَتح لُلهدىُ ... وللّه ذا للمعَالي ختامِا

وما ضَرّ مجَد أبُي طالبَ ... عَدو لغا أو جَهول تعامى [1]

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 84 ، قال ابن أبي الحديد المعتزلي: " وصنّف بعض الطالبيين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إليّ، وسألني أن أكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً، أشهد فيه بصحة ذلك وبوثاقة الأدلّة عليه، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لمّا عندي من التوقّف فيه، ولم استجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أنّ حقّه واجب على كلّ مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد: ولولا أبو طالب وابنه... ".

على أنا نقول: إن الأدلّة على إيمانه كثيرة، بينما الأدلّة المنقولة عن عدم إيمانه فيها ما هو مرفوض ; لأنّ في أسانيدها من كان يبغض علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كحديث الضحضاح من النار ; فإنّه رواية المغيرّة بن شعبة، وهو معلوم البغض والعداوة لأهل البيت (عليهم السلام) ولعلي (عليه السلام) بالخصوص، حيث كان يسبّه على المنابر، ويقيم خطباء على سبّه، فمثل هذا الشخص لا تحلّ عنه الرواية مطلقاً فضلاً عن روايته عن حال أهل البيت (عليهم السلام).

والخلاصة: إنّ أبا طالب مؤمن باللّه ورسوله لعدة أدلةّ لا مطعن لها، ولا تحتاج إلى تأويل وهي كالتالي:

1 . الأشعار الكثيرة التي أطلقها أبو طالب في حقّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والذي فيها الصريح بإيمانه وتصديقه برسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

2 . إنّ فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب من المسلمات الأوليات وقد بقيت على نكاح أبي طالب، إلى أن مات، ولم يفرقها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أمر بتفريقهما.

3 . بعض الأحاديث المنقولة عن أبي طالب والتي تدلّ على إسلامه.

4 . محبة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي طالب معلومة مشهورة، فهذا يدلّ على إيمانه لأنّ اللهّ تعالى أمر بّبغض المشركين والتبري منهم، فلو كان مشركاً لابغضه.

السنن الكبرى للبيهقي 9: 131 ، مجمع الزوائد للهيثمي 6: 150 و151 وقال عقيبه: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح "، و9: 120 و123 و124 و371 ، مسند أبي داود الطيالسي: 320 ، المصنّف للصنعاني 11: 228، ح20395، المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي 7: 496، ح 15 و500، ح 33 وح 35 وح 37 و504، ح 56 و8: 520، ح 2 وح 7 و522، ح 10 وح 22 ، مسند ابن راهويه 1: 253، ح 219، مسند سعد بن أبي وقاص: 51، ح 19، كتاب السنّة لابن عاصم: 594، ح 1379 وح 1380 ، السنن الكبرى للنسائي 5: 46، ح 8149 و8151 و108، ح 8399 وح 8400 وح 8401 وح 8402 وح 8403 وح 8404 وح 8405 وح 8406 وح 8407 وح 8408 وح 8409 و123 ، ح 8439 و145، ح 8511، و172، ح 8587 و178، ح 8601 و179، ح 8602 و180، ح8603 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: 49 و50 و51 و52 و53 و55 و56 و57 و58 و59 و60 و61 و62 و82 و116 ، صحيح ابن حبان 15: 379 و380 و382، المعجم الأوسط للطواني 1: 239، و6: 59 ، المعجم الصغير للطواني 2: 11 ، المعجم الكبير للطواني 6: 127 و7: 13 و17 و35 و77 ، الاستيعاب لابن عبد البر 2: 787 و3: 1099 ، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر: 198 و199 و200 ،رياض الصالحين للنووي: 108 و145.

وأمّا أمير المؤمنين فيخرس البليغ عن أن يأتي على صفاته، ويقف الكاتب متردّدا وًما عساه أن يقول في من قال فيه أبوه أبو طالب، لمّا وقعت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين إذا أبصروا عجائب لم يروها ولم يسمعوا بها:

" أيّها الناس سيظهر في هذه الليلة ولّي من أولياء اللهّ، يكملّ فيه خصال الخير، ويتم بهّ الوصيين، وهو إمام المتقين، وناصّر الدّين، وقامع المشركين، وغيظّ المنافقين، وزينّ العابدين، ووصي رسّول رب العّالمين، إمام هدى، ونّجم علا، ومصباح دجىً، ومبيد الشرك والشبهات، وهو نفسّ اليقينّ ".

ولم يزل يكرّر هذا القول وهو يتخللّ سكك مكة وأسواقها حتىّ أصبح [1].

ويقول رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): " ضربة علي عمرو بن ود تعدل عبِادة الثقلين " [2].

وقال يوم خيبر: " لأعطينّ الراية رجلاً يحُب اللّه ورّسوله ويحبه اللّه ورّسوله، لا يرجع حتى يفتّح فأعطاها لعلي (عليه السلام)، وكان الفتح على يده " [3].

وبعد هذا فلنقف عن الاتيان بما أودع اللّه فيه من نفسيات وغوائز، شكوها لهَ ُالإسلام.

نعم، يجب أن نلفت القارئ إلى شيء أكثر البحث فيه رواة الحديث وهو: الإسلام حال الصغر، وتردّدت الكلمة في الجوامع،

---

(1) روضة الواعظين للنيسابوري: 78، بحار الأنوار 35: 102.

(2) ورد بهذا اللفظ في عوالي اللئالئ لابن جمهور الاحسائي 4: 86 ، وورد بلفظ: " ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة " وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم 3: 32 ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني 2: 14 ، تاريخ بغداد للبغدادي 13: 19 ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 50: 333.

وكلا الحديثين معناهما واحد ; لأنّ الأفضليّة في الأعمال تعني المعادلة إن لم تكن أكثر، والأمُةّ شاملة للثقلين معا: ًالإنس، والجنّ.

(3) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في: مسند أحمد 1: 185 و331 و2: 384 و4: 52 و5: 333 و358 ، صحيح البخاري 4: 12 و20 و207 و5: 76 ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، صحيح مسلم 5: 195 ، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، و7: 120 و121 و122، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي (رضي الله عنه)، سنن ابن ماجه 1: 44، ح117 ، سنن الترمذي 5: 302 ح3808، فضائل الصحابة للنسائي: 15 و16 ، المستدرك على الصحيحين للحاكم 3: 38 و109 و132 و437.

وتضاربت فيها الأقوال،ولا يهمنا إطالة القول فيها:

1 . فإنّا لا نقول: إنّ أمير المؤمنين أوّل من آمن وان كان هو أوّل من وافق الرسول على مبدأ الإسلام لما صّدع بالأمر، ولكنّا نقول: متى " كفر " علي حتّى يؤمن!! وانمّا كان هو وصاحب الدعوة الإلهية عارفين بالدينّ وتعاليمه، معتنقين له، منذ كيانهما في عالم الأنوار قبل خلق الخلق، غير أنّ ذلك العالم مبدأ الفيض الأقدس ووجودهما الخارجي محواه، فمحمّد نبيّ وعلي وصيّ وآدم بين الماء والطين صلّى اللهّ عليهم أجمعين.

2 . على أنّ نبيّ الإسلام، وهو العارف بأحكامه، والذي خطّط لنا التكاليف قبل إسلام ابن عمه، وأنجز له جميع ما وعده به من الإخوّة والوصاية والخلافة، يوم أجاب دعوته وآزره على هذا الأمرّ وقد أُحجم عنه عندما نزلت آية: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ }[1] .

(1) الشعراء: 214 . وحديث الإنذار ورد في مصادر متعدّدة، وبأسانيد لابأس بها، فورد بلفظ: " إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوه " في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 13: 211، شواهد التنزيل للحسكاني 1: 486، تفسير البغوي 3: 400، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 42: 49 ، مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه الاصفهاني: 290، تاريخ الطبري 2: 63 ـ وقد حذفه في تفسير فقال في جامع البيان 19: 149 : " فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي وكذا وكذا "!! وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية 3: 53 ـ، الكامل في التاريخ لابن الأثير 2: 63.

وبلفظ: " فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي.. " في: مسند أحمد 1: 159 ، مجمع الزوائد للهيثمي 8: 302 وقال: " رواه أحمد ورجاله ثقات "، السنن الكوى للنسائي 5: 126، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: 86، تفسير ابن كثير 3: 363، الطبقات الكوى لابن سعد 1: 187 ، تهذيب الكمال المزي 9: 147 ، أمتاع الاسماع للمقوزي 5: 178.

وهل ترى أنّ النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يومئذ يجد في شريعته عدم الجدوى بإسلام مثل علي (عليه السلام) لصغره، إلاّ أنّه حاباه، كلاّ وحاشا...!

وإنّما قابله بكلّ ترحيب، وخوله ما لا يخولّ أحدا صّحة إسلامه عنده، بحيث كان على أساس رصين، فاتخذه ردءا، كّمن اعتنق الدين عن قلب شاعر، ولبّ راجح، وعقلية ناضجة يغتنم بذلك محاماته ومرضاة أبيه في المستقبل:

وإذا أكرمنا النّبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كلّ مداهنة ومصانعة، فلا نجد مسوحا في المقام لأي مّقال إلا أنّ نقول: إنّ إسلام علي (عليه السلام)كان عن بصيرة وثبات مقبول عند اللهّ ورسوله وكان ممدوحا منهما عليه.

كما تمدّح بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) غير مرّة وهو أعرف الأمُةّ بتعاليم الدينّ بعد النبيّ الكريم فقال: " أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي الاّ كاذب مفتر، صليّت مع رسول اللهّ قبل الناس بسبع سنين "[1] .

(1) سنن ابن ماجه 1: 44، وقال محقق السنن الشيخ محمّد عبد الباقي: " في الزوائد: إسناده صحيح. رواه الحاكم في المستدرك عن المنهال، وقال: صحيح على شرط الشيخين "، المستدرك للحاكم 3: 112، المصنف لابن أبي شيبة 7: 498، كتاب السنة لابن أبي عاصم: 584، السنن الكبرى للنسائي خصائص أمير المؤمنين للنسائي: 46، تفسير الثعلبي 5: 85.

ومن يقول بأن علياً أسلم صغواً؟!

نرد عليه فنقول: قد رووا كما في صحيح مسلم 1: 133 ، وفتح الباري 10: 354 أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت عليه (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دَعَا رَسول الله (صلىّ الله عليه وآله وسلم)قريشا وقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار..

يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإنّي لا أملك لكم من اللّه شيئاً." مع أن فاطمة سلام اللّه عليها كانت صغيرة، إذ هذه الآية في بدء الدعوة العلنية، وفاطمة سلام اللّه عليها لا يتجاوز عمرها ثمان سنين، ومع ذلك دعاها النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم)إلى الإسلام وهي لم تكلف بعد، وتصحيح دعوتها بإعتبار كونها ممزة تفهم فلذلك خاطبها، فكذلك علي بن أبي طالب فاسلم وهو يعرف ما يقول فلذلك يصح إسلامه ويكون أوّل المسلمين، وإلاّ أن رفض ذلك، فيلزم سقوط رواية الصحاح حول فاطمة سلام اللّه عليها، إذ كيف يقبل مخاطبتها ودعوتها إلى الإسلام وهي صغيرة،ولا يقبل إسلام علي ابن أبي طالب لكونه صغيراً، فإنّ ذلك قسمة ضيزى.

ومن هذا تندفع جميع الإشكالات الموجودة على صغر إسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال لهرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): " أنت أول المؤمنين إيماناً واسلاما "[1].

كما مدحته الصحابة بذلك، وهم أبصر من غيرهم يوم كانوا يغترفون من مستقى العلم ومنبع الدين.

وعلى هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلّفين والشعراء وسائر طبقات الأُمّة بأنه أوّل من أسلم، لكن هناك ضالع في سوء حسب شيئاً فخانته هاجسته وهوى إلى مدحوه الباطل فقال: إنّ عليا أسلم وهو صغير!! يريد بذلك الحط من مقامه وليس هناك.

3 .ولو تنزلنا عن جميع ذلك فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أول البعثة، فلعلّه كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد، ولقد حكى الخفاجي

(1) الأمالي للشيخ الصدوق: 25.

في شرح الشفا ج3 ص125 في باب دعاء النّبي على صبي عن البرهان الحلبي والسبكي: أنّ اشتراط الأحكام بالبلوغ إنمّا كان بعد واقعة أحد، وعن غيرهما أنّه بعد الهجرة، وفي السيرة الحلبية ج1 ص304 أنّ الصبيان يومئذ مكلفّون وانمّا رفع القلم عن الصبي عام خيبر. وعن البيهقي أنّ الأحكام إنمّا تعلقّت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز[1][2].

4 . على أنَّا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدّين بأنهّم

(1) هامش مصباح الفقاهة للسيد الخوئي 2: 511.

(2) السيرة الحلبية 1: 435 وقال عقيب هذا الكلام: "وقد ذكروا أنّ الزبير بن العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل: ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن اثنتي عشرة شنة، وقيل: ابن ستة عشرة سنة.

وممّا يدل للأوّل ما جاء عن بعضهم كان علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ولدوا في عام واحد..

وممّا يدلّ أيضاً ما جاء في كلام بعض آخر: أسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين، واجماعهم على أنّ علياً لم يكن يبلغ الحلم يرد القول بأنّ عمره كان إذ ذاك عشر سنين، أي بناء عَلى أن سّن إمكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمتنا.

ثمّ قال: أقول: قال بعض متأخري أصحابنا: وانّما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح إسلامه ; لأنّ عبادته نفل والإسلام لا يتنفل به، وعلى هذا مع ما تقدّم يشكل ما في الامتاع.

وأمّا علي بن أبي طالب فلم يكن مشركاً باللهّ أبدا ; لأنه كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كفالته، كأحد أولاده، يتبعه في جميع أُموره، فلم يحتج أن يدعي الإسلام، فيقال: أسلم.

ثُمّ رأيت في الحديث ما يدلّ لما في الامتاع وهو: ثلاثة ما كفروا باللهّ قط: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسية إمرأة فرعون.

والذي في الحوائس روي عن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا باللهّ طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب .رضي اللّه تعالى عنهم .وهو أفضلهم.. ".

الصفحة 56

حاملون أعباء الحجّة، متحلّون بحليّ الفضائل كلهُاّ، منذ الولادة، كما بعث عيسى في المهد نبيا، وآتي الحكم يحيى صبيا، غير أنّهم بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكوت حتّى يأتي أوانه، فلهم أحكام خاصة غير أحكام الوعية، ومن أقلها قبول إجابة الدعوة ونحوها.

فإذن، لا مساغ لأيّ أحد البحث في المسألة.

هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلّى بها أبو الفضل وهي (آباؤه الأكرم)، وقد اتحد مع كُلّ حلقة منها الجوهر الفرد، لاثلة الفضائل، فما منهم إلاّ من أخذ بعضادتي الشرف، وملك أزمة المجد والخطر، قد ضمّ إلى طيب المحتد عظمة الزعامة، والي طهارة العنصر نزاهة الإيمان، فلا ترى أيّاً منهم إلا منار هدى، وبحر ندى، ومثال تقىَ، وداعية إلى التوحيد والى بسالة وبطولة وإباء وشمم، وهم الّذين عرفوا في سيدّنا العباسّ (عليه السلام) هذه الفضائل كلهُاّ، وان كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلى أمير المؤمنين، فلا يدري اليراع ما يخطّ من صفات الجلالّ والجمال، وأنه كيف عرفهاّ في ولده المِحبوب (قمر الهاشميين).

الصفحة 57

الأعمام

هلمّ معي أيّها القارئ لنقرأ صحيفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل، الذّين هم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فإنّ للعمومة عرقاً يضرب في نفسياتّ المولود من فضائل وفواضل، وقد جاء في الحديث: " الولد كما يشبه أخواله يشبه أعمامه "[1].

(1) ورد في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: 314 ، حدّثنا أبي ومحمّد بن الحسن ـ رضي اللّه عنهما ـ قالا: حدّثنا سعد بن عبد اللّه.. عن أبي جعفر الثاني محمّد بن علي (عليه السلام) قال: " أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم ومعه الحسن بن علي وسلمان الفارسي (رضي الله عنه)، وأمير المؤمنين (عليه السلام) متكىء على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام، فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئه واللباس، فسلّم على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فرد عليه السلام فجلس ثُمّ قال:

يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهن علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنهّم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنّك وهم شرع سواء.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): سلني عمّا بدا لك؟

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمّد الحسن فقال: يا أبا محمدّ أجبه، فقال: أماّ ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه، فإنّ روحه متعلقّة بالريح والريح متعلقّة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن اللهّ عز وّجل برّد تلك الروح إلى صاحبها جذبت تلك الروح الريح، وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت الروح، فاسكنت في بدن صاحبها...

وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله ; فإنّ الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن، وعروق هادئة، وبدن غير مضطرب، فاسكنت تلك الروح النطفة في جوف الرحم خرج الولد يشبه أباه وأُمّه، وإن هو أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب أضطربت تلك النطفة فوقعت في حال إضطرابها على بعض العروق، فإنّ وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الرجل أخواله ".

وقبل الإتيان على ما حباهم به المولّى من الآلاء نستعرض اليسير من حياة عمّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذيّ لم يزل يفتخر به في مواطن شتّى، ألا وهو الحمزة بن عبد المطلب.

وما أدراك ما حمزة؟ وما هو! وهل تعلم ماذا عنى نبيّ العظمة من وصفه " بأسد اللهّ وأسد رسوله "[1] ؟ وهل أنّه أراد الشدّة والبسالة فحسب؟!

لا ; لأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أفصح من نطق بالضاّد، وكلامه فوق كلام البلغاء، فلو كان يريد خصوص الشجاعة لكان حق التعبير أن يأتي بلفظ " الأسد " مجرّداً عن الإضافة إلى اللهّ سبحانه وّالى رسوله، كما هو المطرد في التشبيه به نظماً ونثراً.

وحيث أضافه الرسول إلى ذات الجلاّلة والرسالة فلا بدّ أن يكون لغاية هناك أخرى، وليست هي إلا إفّادة أن مّا فيه من كر

وإقدام وبطش وتتمّر مخصوص في نصرة كلمة اللّه العليا ودعوة

(1) الكافي للكليني 1: 224، ح2 ، كامل الزيارات لابن قولويه: 62 ، الأمالي للشيخ الصدوق: 547، المستدرك للحاكم 2: 119 و3: 198، مجمع الزوائد للهيثمي 9: 268 وقال: " ورجاله إلى قائله رجال الصحيح "، فتح الباري 7: 286 بلفظ: " إنّ حمزة مكتوب في السماء أسد اللّه وأسد رسوله " وغيرها من المصادر الكثيرة.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا أربى من غزوه وأرقى، فكان سلام اللّه عليه من عمد الدّين، وأعلام الهداية، ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله، وبما حباه المولّى سبحانه من النزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء، وكان ذلك من مكمّلات الإيمان، ومتمّمات العقائد الحقّة.

يشهد له ما في كتاب " الطرف " للسيد ابن طاووس: أنّ رسول اللّه قال لحمزة في الليلة التي أُصيب في يومها: " إنكّ ستغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو سألك اللّه عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان "؟

فبكى حمزة وقال: أرشدني وفهّمني.

فقال النّبي: " تشهد للّه بالوحدانية، ولمحمدّ بالرسالة، ولعلي بالولاية، وأن الأئمة من ذرية الحسين، وأن فاطمة سيدة نساء العالمين، وأنّ جعفر الطيار مع الملائكة في الجنّة ابن أخيك، وأنّ محمداً وآله خير البرية ".

قال حمزة: آمنت وصدّقت.

ثُمّ قال رسول اللّه: " وتشهد بأنكّ سيد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله ".

فلمّا سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه، ثُمّ قبلّ عيني رسول الله وقال: أشهدك على ذلك وأشهدُ اللهِ وكفّى بالله شهيدًا [1].

(1) بحار الأنوار 65: 395.

وإنّ التأمّل في الحديث يفيدنا منزلة كبرى لحمزة من الدّين والإيمان لا تحد، وإلا فمّا الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعد ما صدر منه بمكة من الشهادة للّه بالوحدانية ولرسوله بالنبوة؟! ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد لهذه الذات الطاهرة، التي حلّقت بصاحبها إلى ذروة اليقين التحلّي بأفضل صفات الكمال، وهو التسليمّ لأمير المؤمنين بالولاية العامة، ولأبنائه المعصومين بالخلافة عن جدّهم الأمين.

وهناك مرتبة أُخرى لا يبلغ مداها أحد، وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنّه سيدّ الشهداء، وأنه أسد اللهّ وأسد رسوله، وأن ابن أخيه الطيار مع الملائكة في الجنّة. وهذه خاصّة لم يكلفّ بها العباد فوق ما عرفوه من منزل أهل البيت المعصومين، وانما هي من مراتب السلوك والكشف واليقين.

وإذا نظرنا الى إكبار الأئمة لمقامه .وهم أعرف بنفسيات الرجال، حتّى إنهّم احتجوا على خصومهم بعمومته وشهادته دون الدين، كما احتجّوا بنسبتهم إلى الرسول الأقدس، مع أنّ هناك رجالا بذلوا أنفسهم دون مرضاة اللهّ تعالى. استفدنا درجة عالية

تقرب من درجاتهم (عليهم السلام) فهذا أمير المؤمنين يقول: " إنّ قوماً استشهدوا في سبيل اللهّ من المهاجرين، ولكل فضل، حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيّد الشهداء، وخصّ رسول اللهّ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه "[1].

(1) الاحتجاج 3: 259 ، بحار الأنوار 22: 272 و23: 58 و78: 348 ، نهج السعادة للمحمودي 4: 192 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 181، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب: 372، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي 3: 446.

وفي يوم الشورى احتجّ عليهم به فقال: " أنشدكم اللهّ هل فيكم أحد له مثل عميّ حمزة أسد اللهّ وأسد رسوله "[1] ؟!

وقال الإمام المجتبى في بعض خطبه: " وكان ممّن استجاب لرسول اللهّ عمة حمزة وابن عمهّ جعفر، فقتلا شهيدين في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول اللّه، فجعل حمزة سيّد الشهداء "[2].

وقال سيّد الشهداء أبو عبد اللهّ يوم الطف: " أوليس حمزة سيدّ الشهداء عم أبّي "[3] ؟!

إلى غير ذلك ممّا جاء عنهم في الإشادة بذكره حتّى إنّ رسول اللهّ لم يزل يكرّر الهتاف بفضله، ويعرفّ المهاجرين والأنصار بما امتاز به أسدُ اللهّ وأسد رسوله من بينهم، كي لا يقول قائل ولا يتردّد مسلم عن الإذعان بما حبا اللهّ تعالى سيدّ الشهداء من الكرامة، فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم):

" يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد

(1) الخصال للشيخ الصدوق: 555 ، الأمالي للشيخ الطوسي: 554 ، بحار الأنوار 22: 280 ، المناقب للخوارزمي: 314 ، الدر النظيم: 33، كتاب الولاية لابن عقدة: 163 ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس: 412 ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 42: 434، ميزان الاعتدال للذهبي 1: 442، لسان الميزان لابن حجر 2: 157، وغيرها من المصادر.

(2) الأمالي للشيخ الطوسي: 563 ، حلية الأبرار للبحراني 2: 74 ، بحار الأنوار 10: 141 و22: 283 ، كتاب الولاية لابن عقدة: 185.

(3) الإرشاد للشيخ المفيد 2: 97 ، مثير الأحزان للحلي: 37 ، تاريخ الطبري 4: 322 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير 4: 62، الدر النظيم: 552.

المطلب، أنا محمّد رسول اللهّ، ألا أنيّ خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا، وعلي، وحمزة، وجعفر "[1].

والغرض من هذا ليس إلاّ التعريف بخصوص فضلّ عمة وابن عمهّ، فلذلك لم يتعرضّ لخلق الأئمة، بل ولا شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم . كما في صحيح الآثار .وإنّما ذكر نفسه ووصيّه لكونهما من أُصول الإسلام والإيمان.

كما أنّ أمير المؤمنين يوم فتح البصرة لمّا صرحّ بفضل سبعة من ولد عبد المطلب قال: " لا ينكر فضلهم إلا كّافر، ولا يجحده إلاّ جاحد، وهم: النبّي محمدّ، ووصيه، والسبطان، والمهدي، وسيد الشهداء حمزة، والطيار في الجنان جعفر "[2]، لم يقصد

(1) الأمالي للشيخ الصدوق: 275، التوحيد للشيخ الصدوق: 204، الأمالي للشيخ الطوسي: 410، بحار الأنوار 11: 380 و22: 374، غاية

(2) الكافي 1: 450، ح34، عنه بحار الأنوار 22: 282، ح41.

والمؤلّف نقل مضمون الرواية ونصّ الرواية كالتالي: " عن أصبغ بن نباته الحنظلي، قال:رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم افتتح البصرة، وركب بغلة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ قال: " أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم اللّه "؟

فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال: بلى يا أمير المؤمنين حدّثنا، فإنّك كنت تشهد ونغيب.

فقال: " إنّ خير الخلق يوم يجمعهم اللّه تعالىّ سبعة من ولد عبد المطلب، لا ينكر فضلهم إلا كافر،ولا يجحد به إلا جاحد ".

فقام عمّار بن ياسر (رحمه الله) فقال: يا أمير المؤمنين، سمّهم لنا لنعرفهم!

فقال: " خير الخلق يوم يجمعهم اللّه الرُسلّ، وان أفضل الرسل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان أفضل كل أُمّة بعد نبيّها وصيّ نبيهّا حتىّ يدركه نبي، ألا وان أفضل الأولياء وصي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ألا وانّ أفضل الخلق بعد الرسل الشهداء، ألاّ وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب، له جناحان يطير بهما في الجنة، لم ينحل أحد من هذه الأُمّة جناحان غيره. شيء أكرم اللهّ به محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وشرفه، والسبطان الحسن والحسين والمهدي (عليهم السلام)، يجعله اللّه من شاء منا أهل البيت ". ثمّ تلا هذه الآية: (ومنَ يَطعِ اللهَ والرَّسوَلَ فأوَلئكَ مَعَ الَّذينَ أنعَمَ اللّهُ عليَهمْ مِن النبيين وَّالصِّدَيقيَن والشِّهداءِ وَالصالُّحيَنَ وحسَن أُولئِكِ رَفيقا * ذلكَ الُفضَلِ مَنَ اللهِ وكفىَ بِاللّه عْليماً) النساء: 69.

بذلك إلاّ التنويه بفضل عمّه وأخيه، فقرن شهادتهما بمن نهض في سبيل الدعّوة الإلهية وهم أركان الإسلام والإيمان.

ولو لم تكن لسيّد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيار كلّ فضيلة سوى شهادتهما للأنبياءّ بالتبليغ وأداء الرسالة، لكفى أن لا يتطلب الإنسان غيرهم.

قال أبو عبد اللّه الصادق (عليه السلام): " إذا كان يوم القيامة وجمع اللّه . تبارك وتعالىّ . الخلائق كان نوح (صلىّ الله عليه) أوّل من يدعى به فيقال له: هل بلغّت؟

فيقول: نعم.

فيقال له: من يشهد لك؟!

فيقول: محمّد بن عبد اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: فيخرج نوح (صلّى اللّه عليه) ويتخطىّ الناس حتىّ يأتي إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو على كثيب المسك، ومعه علي (عليه السلام)، وهو قول اللّه عزّ وجل: { فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا }[1]، فيقول نوح لمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم): يا محمّد إنّ اللّه . تبارك وتعالى . سألني هل بلغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ قلت:

محمّد! فيقول: يا جعفر، يا حمزة اذهبا واشهدا أنّه قد بلغّ.

فقال أبو عبد اللّه (عليه السلام) فحمزة وجعفر هما الشاهدان للأنبياء (عليهم السلام) بما بلغّوا ".

(1) الملك: 27.

فقال الوالي: جعلت فداك فعلي (عليه السلام) أين هو؟

فقال: هو " أعظم منزلة من ذلك "[1].

وهذه الشهادة لا بدّ أن تكون حقيقية، بمعنى أنّها تكون عن وقوف بمعالمّ دين نوح (عليه السلام) وأديان الأنبياء الذيّن هما الشاهدان لهم بنصّ الحديث، وإحاطة شهودية بها، وبمعارفها، وبمواقعها، وبوضعها في الموضع المقرّر له، وإلا لّما صحتّ الشهادة. وهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن من الشهادة عند إطلاقها، فهي ليست شهادة علميّة، بمعنى حصول العلم لهما من عصمة الأنبياء بأنّهم وضعوا ودائع نواتهم في مواضعها، ولو كان ذلك كافياً لما طولُبوا بمن يشهد لهم، فإن جّاعل العصمة فيهم ـ جلّ شأنه ـ أعرف بأمانتهم، لكنّه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالىّ أن يجري الأمر على أصُول الحكم يوم فصل القضاء.

ثُمّ إنّ هذه الشهادة ليست نوعية، بمعنى إنهمّا يشهدان عن شهادة رسول الله، فإن المّطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجدانية فحسب.

فإذا تقرّر ذلك فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدفق خبرتهما بنواميس الأديان كلُهّا، والنواميس الإلهيّة جمعاء، أو وقوفهما بحقّ اليقين، أو بالمعاينّة في عالم الأنوار، أو المشاهدة في عالم الأظلة والذكر لها في عالم الشهود والوجود، ومن المستحيل بعد تلك الإحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الإسلام.

(1) الكافي للكليني 8:267، ح 392، وعنه بحار الأنوار للمجلسي 7:283، ح4.

طالب

إنّ الثابت عند المحققّين إسلام طالب بن أبي طالب من أولّ الدعوة، فإن المتأملّ إذا نظر بعين البصيرة إلى أبي طالب، وقد ضَمّ أولاده أجمع والنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم، لا يفارقونه في جميع الأحوال، مع ما يشاهدونه منه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الآيات الباهرات ; لا يرتاب في صدق الدعوى، وقد أفصح عنه شعره[1]:

إذا قِيلَ منَ ْخيرَ هُذا الورى قَبيلاً وأكرمَهمَ أسوةُ

أناف بعَبدِ مناف أب وفَضلّه هاشِمِ الثّوة

لَقدَ حلَ ّمجدَ بنُي َهاشم مَكانَ النعَائمِ والنثرةَ

وخَيرُ بنَي هاشَم أِحمد رَسولُ الإله ِعلىَ فترةَ

وإنّ في حديث جابر الأنصاري ما يفيد متولة أرقى من مجرّد الإسلام يقول قلت لرسول اللهّ: أكثر الناس يقولون: إن أبا طالب مات كافراً؟

(1) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: 35، بحار الأنوار 35: 165، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 78.

قال: " يا جابر، ربّك أعلم بالغيّب، إنهّ لما ّكانت الليلةّ التي أسوُي بِي َفيها إلى السماء انتهيت إلى العوش، فرأيت أربعة أنوار، فقلت: إلهي ما هذه الأنوار؟

فقال: يا محمّد، هذا عبد المطلب، وهذا أبو طالب، وهذا أبوك عبد اللهّ، وهذا أخوك طالب.

فقلت: إلهي وسيدي، فِيم نالوا هذه الدرجة؟

قال: بكتمانهم الإيمان والصبر على ذلك حتّى ماتوا "[1].

وروى الكليني في روضة الكافي عن الصادق (عليه السلام): " كان طالب مسلماً قبل بدر، وإنّما أخرجته قريش كرهاً، فقتل رجَّازوهم يرتجزونُ، وقتل طالب يرتجز:

يا ربِّ إمّا يغزون َبطالب في مقنب منَ هذهِ المقانبِ

في مَقنَب المحُارب ألمغالب يَجعلهُ المسَلوبُ غير َالسَالب[2]

وروى محمّد بن المثنى الحضرمي أنّ رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لقي

(1) روضة الواعظين: 81، وعنه في بحار الأنوار 35: 16، ح12، الدر النظيم للعاملي: 234.

(2) روضة الكافي للكليني 8: 375، عمدة الطالّب لابن عنية: 30 ، وعن الكافي في بحار الأنوار 19: 294، ح38، المجدّ في أنساب الطالبيين للعلوي: 318 ، تاريخ الطوي 2: 144 ، الكافي في التاريخ 2: 121 ، الوافي بالوفيات 16: 222، البداية والنهاية 3: 325 ، السوة النبّوية لابن هشام الحموي 2: 451 ، السوة النبوية لابن كثير 2: 400.

أبارافع مولى العبّاس ابن عبد المطلب يوم بدر، فسأله عن قومه؟ فأخبره أنّ قريشا أخرجوهم مكرهين [1].

ويشهد له ما رواه ابن جرير أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوم بدر: " إنيّ لأعرف رجالا مّن بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله، ومن لقَي العباسّ بن عبد المطلب فلا يقتله، إنّما خرج مستكرهاً " [2].

وقد اختلف في موت طالب فقيل: إنّه لمّا خرج إلى بدر فقدُ ولم يعرف خبره، وقيل: أقحمه فرسه في البحر فغرق. وليس من البعيد أنّ قريشاً قتلته حينما عرفت منه الإسلام، وعرفت مصلحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم، وكان حاله كحال سعد بن عبادة لمّا رماه الجن

---

(1) الأُصول الستة عشر من الأُصول الأولية: 259 ، وفي مجمع الزوائد للهيثمي 7: 10 : " عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: كان ناس من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا مستخفّين بالإسلام، فلمّا خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم مكرهين..

قلت: أخرج البخاري بعضه، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمّد بن شريك، وهو ثقة " أقول: وفي إخفاء الأسماء عادة قديمة عند القوم، ولهم تضلّع كبير فيها يعرفها من سبر كلماتهم، ولاحظ أقوالهم. وللّه مع ما يسموّن بـ (أهل السنة والحديث) شؤون لا تخفى.

(2) بحار الأنوار 19: 304 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 183 ، تفسير القرطبي 8: 49، تفسير ابن كثير 2: 340 ، الطبقات الكبرى لابن سعد 4: 10 ، تاريخ الطبري 2: 151 ، الكامل في التاريخ 2: 128 ، تاريخ الإسلام 2: 58 و120 ، البداية والنهاية 3: 348 ، السيرة النّبوية لابن هشام الحميري 2: 458 ، السيرة النّبوية لابن كثير 2: 436، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي 4: 49 ، السيرة الحلبية للحلبي 2: 413.

لو صدقت الأوهام [1].

---

(1) لم يُعرف حال طالب بن أبي طالب بشيء، غير ذكر له من خرج مكرها من بني هاشم إلى معركة بدر، وأمّا حاله بعدها فهو مجهول عند المحدّثين والمؤرّخين.

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى 1: 121 : " كان اسم أبي طالب عبد مناف، وكان له من الولد طالب بن أبي طالب، وكان المشركون أخرجوه وسائر بني هاشم إلى بدر كرهاً.. فلمّا انهزموا لم يوجد في الأسرى، ولا في القتلى ولا رجع إلى مكة، ولا يدرى ما حلّ به، وليس له عقب ".

ومثله في تاريخ الطبري 2: 143 ، والكامل في التاريخ لابن الأثير 2: 121.

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب 2: 817 : " وذكروا أنّ ثلاثة نفر ذهبوا على وجوههم فهاموا، ولم يوجد ولم يسمع لهم بأثر: طالب بن أبي طالب ".

ومثله في أُسد الغابة 3: 112 ، وغيرها من المصادر الكثيرة التي اتفقت على جهالة حال طالب بعد معركة بدر، وهذا شيء غريب ملفت للنظر، خصوصاً وأنّ المؤرّخين ركزوا على بني هاشم وذكر أخبارهم وسيرهم.

ثُمّ إنّ المؤلفّ شبهه . على بعد . بسعد بن عبادة الأنصاري، المعروف في وقعة السقيفة، وموقفه من أبي بكر وعمر، من معارضته وعدم مبايعته لهم، وهذا الصحابي اختلف في موته.

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب 2: 599 : "ولم يختلفوا أنّه وجد ميتاً في مغتسله، وقد اخضر جسده، ولم يشعروا بموته حتّى سمعوا قائلاً يقول ولا يرون أحداً:

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده رميناه بسهم فلم يخطئ فؤاده

ويقال: إن الجنّ قتلته " قال السيدّ الأمين في أعيان الشيعة 7: 225 : "وقيل: إن الذي رماه المغيرة بن شعبة، وقيل: شخصاً غيره، رماه كلّ واحد بسهم. وأشُيع أن الجن رمّته وقالت البيتين، ويحكى عن بعض الأنصار أنه قال:

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ألاّ ربما خفقت فعلك بالغدر
يقولون سعد شقت الجنّ بطنه ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وفي الاستيعاب: لم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله وقد أخضر جسده، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول ولا يرون أحد: نحن قتلنا.. البيتين، ويقال: إنّ الجن قتله اهـ.

وياليت شعري وما ذنبه إلى الجن حتّى تقتله الجنّ؟!

وينقل عن محمّد بن جرير الطبري، وكأنه الشيعي، وفي مؤلفّه عن أبي علقمة، قلت لابن عبادة، وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر: ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون؟

قال: إليك عنّي، فواللّه لقد سمعت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: " إذا أنا مت تضل الأهواء ويرجع الناس على أعقابهم، فالحقّ يومئذ مع علي "، وكتاب اللّه بيده، لا نبايع أحداً غيره فقلت له: هل سمع هذا الخبر أحد غيرك من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: أناس في قلوبهم أحقاد وضغائن.

قلت: بل نزعتك نفسك أن يكون هذا الأمر لك دون الناس؟

فحلف أنه لم يهم بها ولم يردها، وأنّهم لو بايعوا علياً لكان أول من بايعه ".

عقيل

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيّبة، وممّن رضي عنهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنّ النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أوّل الدعوة، وكان هذا مجلبة للحبّ النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من: رسوخ الإيمان في جوانحه، وعمل الخيرات بجوارحه، ولزوم الطاعة في أعماله، واقتفاء الصدق في أقواله، فقول النّبي له: " إنّي أُحبكّ حبين: حبا لكَ، وحبا لحّبَ أبيٍّ طالب لك "[1] إنّما هو لأجل هاتيك المآثر، وليس من المعقول كون حبُهّ لغاية شهوية أو لشيء من عرض الدنيا.

(1) ورد هذا الحديث بألفاظه المختلفة في المصادر التالية: بحار الأنوار 35: 157 و42: 115، المستدرك للحاكم 3: 576، مجمع الزوائد 9: 273 ، المعجم الكبير للطبراني 17: 191 ، الاستيعاب 3: 1078 ، الطبقات الكبرى 4: 44 ، معرفة الثقات للعجلي 1: 383 ، تاريخ مدينة دمشق 20: 55 و41: 18 ، أسد الغابة 3: 422، سير أعلام النبلاء 1: 219، تاريخ الإسلام للذهبي 4: 84، الوافي بالوفيات 20: 63، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 11: 25 و14: 70، السيرة الحلبية 1: 432.

قال المؤلّف: ولكنهّ في المجالس . مجلس 27 .روى عن ابن عباس: أن علياً قال لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): " أتحب عقيلاً"؟

قال: " أي واللّه إني لأحبهّ حبين: حباّ لرسول الله، وحبا لحّبَ أبيّ طالب له، وان ولدهّ لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقرّبون، ثمُ بكى رسول اللهّ حتىّ جرت دموعه على صدره، وقال: إلى الله أشّكو ما تلقى عترتي بعدي".

وهو في الأمالي للشيخ الصدوق: 191 ح201/3 ،وعنه بحار الأنوار 22: 288، ح58.

إذن، فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة. وقد حدته قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين بلسان حديد، خلّده علاً عليهم مدى الحقب والأعوام[1] .

على أن حُبَّ أبي طالب له لم يكن لمحض النبوة، فإنهّ لم يكن ولده البكر، ولا كان أشجع ولده، ولا أوفاهم ذمة، ولا ولده الوحيد، وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار، وهو أكبرهم سنّاً، وانمّا كان " شيخ الأبطح " يظهر مرتبة من الحُبِّ له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل والفواضل، موروثة ومكتسبة.

وبعد أن فرضنا أنّ أبا طالب حجّة وقته، وأنهّ وصي مّن الأوصياء لم يكن يحابي أحدا بالمحبة، وان كان أعز ولده، إلا أن يجده ذلك الإنسان الكامل الّذي يجبَ في شريعة الحق ولاءه.

ولا شكّ أنّ عقيلا لم يكن على غير الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية لله تعالى، وكيف يشذ عنّ

خاصته وأهله وهو وإيّاهم في بيت واحد، وأبو طالب هو المتكفل

(1) قال العلاّمة الأميني في الغدير 10: 261 : قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إنّ علياً قد قطعك، وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلاّ أن تلعنه على المنبر.

قال: أفعل، فصعد المنبر ثُمّ قال . بعد أن أحمد اللهّ، وأثنى عليه، وصلىّ على نبيه ّ(صلى الله عليه وآله وسلم): أيها ّالناس إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن العنّ علي بن أبي طالب فالعنوه، فعليه لعنة اللهّ والملائكة والناس أجمعين.

ثُمّ نزل فقال له معاوية: إنكّ لم تبينّ من لعنت منهما، بينه.ّ

فقال: واللّه لازدت حرفاًولا نقصت حرفا،ًوالكلام إلى نية ّالمتكلم.ّ

العقد الفريد 2: 144 ، المستطرف 1: 54.

والكلام فيه تورية لطيفة ولعن لمعاوية من قبل عقيل.

تربيته وإعاشته، فلا هو بطارده عن حوزته،ولا بمبعده عن حومته،ولا بمتضجّر منه على الأقل؟

وكيف يتظاهر بحُبهِّ ويدنيه منه . كما يعلمنا النصّ النبويّ السابق . لو لم يتوثق من إيمانه، ويتيقن ّمن إسلامه، غير أنه كّان مبطناً له، كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب؟، وان كنُاّ لا نشك فّي تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيارّ وأمير المؤمنين.

وحينئذ لم يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الذّي بني الإسلام على علاليه، فهو مؤمن بما صدع به الرسول منذ هتف داعية الهدى.

كما لبّت هذا الهتاف أُختهم أمُ هاني، فكانت من السابقات إلى الإيمان، كما عليه صحيح الأثر، وفي بيتها نزل النبيّ عن مواجه، وهو في السنّة الثالثة من البعثة، وحدثّها بأمره قبل أن يخرج إلى الناس، وكانت مصدقّة له غيرّ أنهاّ خشيت تكذيب قريش إياه، وعليه فلا يعبأ بمازعم من تأخّر إسلامها إلى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة [1].

(1) " في مناقب ابن شهرآشوب 1: 110 أنّها ماتت في أيام النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن ابن حجر في تقريب التهذيب 2: 673/8821 نصّ على وفاتها في خلافة معاوية، وعليه فليست هي المعنيّة بما في كامل الزيارة: 195 واقبلت إليه بعض عمّاته تقول: أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول:

وإن قَتيلَ الطّفِ مِن آلِ هَاشم أذّلّ رِقَاباً مِنَ قُريش فَذّلتِ

انتهى كلام المؤلف.

أقول: مضافاً إلى ذلك، فإنّ المحدثّين ذكروا أن قائل هذه الأبيات سليمان بن قتة الخزاعي، وارجع إلى: مناقب آل أبي طالب 3: 263 ، ومثير الاحزان لابن نما الحلّي: 89 ، الإستيعاب عبد البرّ 1: 394 ، نظم درر السمطين: 226 ، تاريخ مدينة دمشق 14: 259 ، أُسد الغابة 2: 22 ، تهذيب الكمال 6: 447 ، سير أعلام النبلاء 3: 318 ، تاريخ الإسلام 5: 108، البداية

والنهاية 8: 230.

وما عسى أن يقول القائل في أُمهم، زوج شيخ الأبطح، بعد شهادة الرسول الأمين بأنّها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في جميع أدوار حياتها.

والعجب! ممّن اغتر بتمويه المبطلين فدوّن تلك الفرية، زعماً منه أنها من فضائل سيد الأوصياء وهي: إن فاطمة بنت أسد دخلت البيت الحرام وهي حاملة بعلي (عليه السلام) فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها علي وهو في بطنها[1].

وقد فات المسكين أنّ في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات المرأة من رجس الجاهلية ودنس الشرك.

وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبيّاء المتكوّن من النور الإلهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود؟!

كما أنّهم أبعدوها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلهية، ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كلّ صباح ومساء، وفيها ما فوضه المهيمن ـ جلّ شأنه ـ على الأُمّة جمعاء من الإيمان بما حبى ولدها والوصي بالولاية على المؤمنين حتىّ أختص بّها دون الأئمة من أبنائه، وإن كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة، ولقد غضب الإمام الصادق (عليه السلام) على من سماّه أمير المؤمنين وقال: " مه لا يصلح هذا الاسم إلاّ لجدّي أمير المؤمنين ".

(1) السيرة الحلبية للحلبي 1: 422، شرح احقاق الحق للمرعشي 8: 70.

فرووا أنّ النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقف على قبرها وصاح: " ابنك علي لا جعفر ولا عقيل " ولما سئل عنه أجاب: " أنّ الملك سألها عمّن تدين ولايته بعد الرسول، فخجلت أن تقول ولدي "[1].

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبوّة بعيدة عن تلك التعاليم المقدّسة؟ وهل في الدين حياء؟

نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض وأخطؤا الرمية، فإن الصحيح من الآثار ينصّ على أنّ النّبي لمّا أنزلها في لحدها ناداها بصوت رفيع: " يا فاطمة أنا محمدّ سيدّ ولد آدم ولا فخر، فإذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربّك فقولي: اللّه ربيّ، ومحمدّ نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي "، ثم خرّج من القبر وأهال عليها التراب "[2].

ولعلّ هذا خاصّ بها ومن حرى مجراها من الزاكين الطيبيّن، وإلا فلّم يعهد في زمن الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الوليّ بعده، فإنّه كتخصيصها بالتكبير أربعين، مع أنّ التكبير على الأموات خمس.

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحطّ من مقام والدة الإمام، أظهر الرسول أمام الأُمّة ما أعرب عن مكانتها من الدّين، وأنّها بعين فاطر السماء حين كفنّها بقميصه الذي لا يبلى، لتكن مستورة يوم يرى الخلق، وكان الاضطجاع في قبرها إجابة

(1) الفضائل لابن شاذان: 103، مستدرك الوسائل 2: 342.

(2) روضة الواعظين للنيسابوري: 142 ، بحار الأنوار 78: 351 ، ح 22 عن مجالس الصدوق، بشارة المصطفى للطوسي: 372.

لرغبتها فيه عند ما حدثها عن أهوال القبر وما يكون فيه من ضغطة ابن آدم.

فتحصّل: إنّ هذا البيت الطاهر (بيت أبي طالب) بيت توحيد وايمان وهدى ورشاد، وانّ من حواه البيت رجالا ونساء كلهمّ على دين واحد منذ هتف داعية الهُدى وصدَع بأمر الرسالة، غير أنهمّ بين من جاهر باتباعّ الدعوة، وبين من كتم الإيمان لضوب من المصلحة.

السفر إلى الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلى الشام، في أنّه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة، واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج3 ص82 أنّه بعد شهادة أمير المؤمنين، وجزم به العلاّمة الجليل السيدّ علي خان في الدرجات الرفيعة، وهو الذي يقوي في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت إلى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة، وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل، فلا هم بملومين بشيء من ذلك، ولا يحطّ من كرامتهم عند الملأ الديني، فإنّ للتقية أحكاما لا تنقض ولا يلام المضطرّ على أمر اضطرّ إليه.

على أنّ عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة، وانمّا المأثور عنه الوقيعة فيه، والطعن في حسبه ونسبه، والحطّ من كرامته، والإصحار بمطاعنة، مشفوعة بالإشارة إلى فضل أخيه أمير المؤمنين.

من ذلك أنّ معاوية قال له: يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك؟

فقال عقيل: أخبرك، مررت والله بعسكر أخي فإذا ليل كليل رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهار كنهار رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلاّ أن رسول

اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس في القوم، ما رأيت إلاّ مصليا، ولا سمعت إلا قرآنا. ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفر برسول اللّه ليلة العقبة[1].

وقال له معاوية: إنّ علياً قطع قرابتك وما وصلك؟

فقال له عقيل: واللّه لقد أجزل العطية وأعظمها، ووصل القرابة وحفظها، وحسن ظنّه باللّه إذ ساء به مثلك، وحفظ أمانته، وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ; فاكفف لا أباً لك ; فإنّه عمّا تقول بمعزل[2].

ثُمّ صاح: يا أهل الشام، عنيّ فاسمعوا لا عن معاوية، إني أتيت أخي عليا فوجدته رجلا قدً جعل دنياه دون دينه، وخشي اللّه على نفسه، ولم تأخذه في اللّه لومة لائم... وانيّ أتيت معاوية فوجدته قد جعل دينه دون دنياه، وركب الضلالة، واتبع هواه، فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه، ولم تكدح فيه يمينه، رزقاً أجراه اللّه على يديه، وهو المحاسب عليه دوني، لا محمودولا مشكور.

ثُمّ التفت إلى معاوية فقال: أما واللّه يابن هند ما زال منك سوالف يمرها منك قول وفعل، فكأنيّ بك وقد أحاط بك ما الذي منه تحاذر.

فأطرق معاوية ساعة ثُمّ قال: من يعذرني من بني هاشم، ثمُ أنشد يقول:

أُريدهم الإكرام كي يشعبوا العصا فيأبوا لدى الإكرام أن لا يكرموا

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 125.

(2) الدرجات الرفيعة: 161.

وإذا عطفتني رقتان عليهم نأوا حسداً عنيّ فكانوا هم هم

وأعطيهم صفو الإخا فكأنّني معاً وعطاياي المباحة علقم

وأغضي عن الذنب الذي لا يقيله من القوم إلاّ الهزوي المقمم

حبّاً واصطبارا وانعطافا ورقة وأكظم غيظ القلب إذ ليس يكظم

أمّا واللّه يابن أبي طالب لولا أن يقال: عجلّ معاوية لخرق ونكل عن جوابك، لتركت هامتك أخف على أيدي الرجال من هواي الحنظل.

فأجابه عقيل:

عذيرَكَ منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلم

لعمرك ما أعطيتهم منك رأفة ولكن لأسباب وحولك علقم

أبى لهم أن يقتل الذلّ دارهم بنو حرّة فرهر وعقل مسلم

وإنّهم لم يقبلوا الذلّ عنوة إذا ما طغا الجبّار كانوا هم هم

فدونك ما أسديت فأشدد يداً به وخيركم المبسوط والشرّ فالزموا

ثُمّ رمى المائة ألف درهم ونفض ثوبه وقام ومضى، فلم يلتفت إليه. فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد ; يابني عبد المطلب أنتم واللّه فروع قصي، ولباب عبد مناف، وصفوة هاشم، فأين أحلامكم الراسية، وعقولكم الكاسية، وحفظكم الأواصر، وحبكم العشائر، ولكم الصفح

الجميل، والعفو الجزيل، مقرونان بشرف النبوّة وعزّ الرسالة، وقد واللّه ساءني ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن أغيب في الثرى.

فكتب إليه عقيل:

صدقتَ وقلتَ حقاً غير أنيّ أرى ألا أراك ولا تراني

ولستُ أقول سوءاً في صديقي ولكنّي أصدّ إذا جفاني

فكتب إليه معاوية وناشده في الصفح وأجزله مئة ألف درهم حتّى رجع [1].

فقال له معاوية: لِمَ جفوتنا يا أبا يزيد؟

فأنشأ عقيل:

وإنّي امرؤ منّي التكرّم شيمة إذا صاحبي يوماً على الهون أضمرا

ثُمّ قال: أيم اللّه يا معاوية، لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها، وأظلتك بسوادقها، ومدتّ عليك أطناب سلطانها، ما ذاك بالذي يزيدك منّي رغبة ولا تخشعاً لرهبة.

فقال معاوية: لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هشّ له قلبي، وأيم اللّه يا أبا يزيد لقد أصبحت كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت أضمر لك إساءة [2].

هذا حال عقيل مع معاوية، وحينئذ فأيّ نقص يلمّ به والحالة هذه؟!

(1) الدرجات الرفيعة: 163 ـ 164.

(2) الدرجات الرفيعة: 164.

وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنّه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين، فإنّه ممّا لم يتأكد إسناده، ولا عرف متنه، ويضاده جميع ما ذكرناه، كما يبعده كتابه من مكة إلى أمير المؤمنين حين أغار الضحّاك على الحيرة وما والاها، وذلك بعد حادثة صفين، وهذه صورة الكتاب:

لعبد اللّه أمير المؤمنين، من عقيل بن أبي طالب:

سلام عليك، فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد ; فإنّ اللّه حارسك من كلّ سوء، وعاصمك من كل مكروه، وعلى كُلّ حال فإنيّ خرجت إلى مكة معتمرا فلقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلا منً " قديد "، في نحو من أربعين شابا منً أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم، فقلت: إلى أين يا أبناء الشانئين، أبمعاوية لاحقون عداوة للّه منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور اللّه وتبديل أمره؟

فأسمعني القوم وأسمعتهم، فلمّا قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثّون أنّ الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء، ثُمّ انكفأ راجعا سالما، وإن الحياة في دهر جرأ عليك الضحاك لذميمة، وما الضحاك إلا فقع بقرقر، وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يابن أبي وأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا متّ، فواللّه ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواق ناقة، وأقسُم بالأعز الأجل أنّ عيشا نعيشه بعدك لا هنأ ولا مرأ ولا نجيع والسلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام):

" من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب:

سلام عليك، فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو، أما بعد ; كلأنا اللّه وإياك كلأة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد.

وقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنّك لقيت عبد اللّه بن أبي سرح مقبلا مِن " قديد "، في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء، متوجّهين إلى جهة المغرب، وإن ابن أبي سرح طالما كاد اللّه ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله، وبغاها عوجاً، فدع عنك ابن أبي سرح، ودع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، ألا وإنّ العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النّبي قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه، وجحدوا فضله، وبادروه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كُلّ الجهد، وجروا إليه جيش الأحزاب. اللهم فاجز قريشا عنّي الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، ودفعتني عن حقّي، وسلبتني سلطان ابن أمّي، وسلمتّ ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي

من الرسول، وسابقتي في الإسلام، ألا يدّعي مدّع ما لا أعرفه،ولا أظن ّالله ّيعرفه،والحمد لله ّعلى كل حُال.

فأمّا ما ذكرته من غزة الضحّاك على أهل الحورة، فهو أقل وّأزل من أن يلم بها أو يدنو منها، ولكنه ّقد أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السماوة حتّى قربوا من واقصة[1] وشراف[2]

(1) منزل في طريق مكة.

(2) شراف موضع قريب من مكة.

والقطقطانة[1] وما وإلى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما ّبلغه ذلك فر ّهاربا، فأتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً، فلم يبصر إلا ّبوقع المشرفية، وولى هاربا، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا مريضاً بعد ما أخذ منه المخنق، فلأي ّبلاء ما نجا.

فأمّا ما سألتني أن أكتب إليك رأيي فيما أنا فيه، فإن ّرأيي جهاد المحلين حتىّ ألقى الله ّ لا تردني كثرة الناس غرة،وّلا تفرقهم عنّي وحشة، لأني محق وّالله ّمع الحق، وّالله مّا أكره الموت على الحق، ومّا الخير كله إلا ّبعد الّموت لمن كان محقا.

وأمّا ما عرضت به من مسيرك إلى بنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ّما أحب أن ّتهلكوا معي إن هلكت،ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشّعاً ولا متضرعّا، إنه ّكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت باغ أو يساء حبيب "[2]

(1) موضع قرب الكوفة.

(2) شرح نهج البلاغة 2: 120 ، الإمامة والسياسة: 54 ، بحار الأنوار 34: 24 ، جواهر المطالب 1: 366.

وهذا الكتاب من عقيل المروى بطرق متعدّدة، يدلنّا على أنه ّكان مع أخيه الإمام في حياته غير مفارق له، فإن ّالكتاب الذي كتبه إليه بعد غزة الضحّاك على أطراف أعماله وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين.

اذن فالقول بأنّ وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعيّن، كما اختاره السيدّ المحققّ في الدرجات الرفيعة، وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده، وقد وضح من ذلك أنّه لم يكن مع معاوية بصفين.

الحديدة

أما حديث الحديدة المحماة التي أدناها منه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فليس فيها ما يدلّ على اقترافه إثماً أو خروجاً عن طاعة، فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد بذلك تهذيبه بأكثر ممّا تتهذّب به العامة، كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه.

فوقة " سيّد الأوصياء " أنّ إنسانا بلغ من الضعف إلى أن يئن مّن قرب الحديدة المحماة بنار الدنيا من دون أن تمسه، كيف يتحمّل نار الآخرة في لظى نزاعة للشوى وهو مضطرم بين أرارها، فمن واجب الإنسان الكامل التبعدّ منها بكبح النهمة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمّات القاسية، فهي مجلبة لمرضاة الربّ ومكسبة لغفرانه، وإن كان غيره من أفراد الرعية يتبعدّ عنها بترك المحرّمات فحقيق بمثله .وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة . التجنّب حتىّ عن المكروهات، وما لا يلائم مقامه من المباحات، ويروّض نفسه بترك ذلك كلّه حتىّ تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم، أو يسلون أنفسهم بمقاسات مثل عقيل الشدائد في دنياه، فلا يبهضهم الفقر الملم والكرّب المدلّهم فرب مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإنّ " حسنات الأبرار سيئات المقرّبين ".

وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه على هذا الخطر الممنع الذي حواه، وقد ذهل عنه في ساعته تلك.

افتراء

قال الصفدي: " لقد بغض عقيل إلى الناس ذكره مثالب قريش، وما أُوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب، حتّى قالوا فيه الباطل ونسبوه إلى الحمق "[1].

واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها، فوضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحطّ من كرامته، زعماً منهم أنّ في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الطاهر . بيت أبي طالب . بإخراجهم عن مستوى الإنسانية فضلاً عن الدين، بعد أن أعوزتهم الوقيعة في سيّد الأوصياء بشيء من تلك المفتريات، فطفقوا يشوهون مقام أبيه وحامته، ولكن لا ينطلي ذلك على الجيل المنقب، حتّى كشف عن تلك النوايا السيئة، وعرف الملأ افتعال الحديث وبعده عن الصواب.

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام): " ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أُمي، حتىّ إن كان عقيل ليصيبه رمد فيقول: لا تنزوني حتّى تنزوا علياً، فينزوني وما بي رمد "[2].

(1) نكت الهميان: 200.

(2) علل الشرائع 1: 45.

لا أقرأ هذا الحديث إلاّ ويأخذني العجب، كيف رضي المفتعل بهذه الفرية البينة! فإن أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون سنة، وهل يعتقد أحد أو يظنّ أنّ إنسانا لَه من العمر ذلك المقدار، إذا اقتضى صلاحه ثوب الدواء، يمتنع منه إلا إذّا ثوب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين؟! كلاّ لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية في الخسة والضعف، فكيف بمثل عقيل المتوبيّ بحجر أبي طالب والمرتضع درّ المعرفة! خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته.

نعم، الضغائن والأحقاد حبّذت لمن تخلّق بها التردّد في العمي والخبط في الضلال من دون روية أو تفكير { اسْتَحْوَذَ عَلَيهِمَ الشَّيْطَانَ فَأنسَاهمَ ذكْرَ اللهْ أولئكَ حِزبُ الشيطَانِ ألاَ إن حَزْبَ الشيطَانِ هُم الخَاسِرونَ }[1].

نعم، كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول غير مرّة: " مازلت مظلوماً "[2] من دون تلك الزيادة، يعني بذلك دفعه عن حقّه الواجب على الأُمة القيام به والميل عنه، وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره، وتقديم من ليس له قدم ثابت في كل مكرمة، ولا نصّ من صاحب الشريعة، ولا فقه ناجع ولا إقدام في الحروب.

وحيث إنّ في هذه الكلمة حطاً بمن نلوأه، زحزحوها عنهم وألصقوها بذلك السيد الكريم، وما أسوع أن عاد السهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

(1) المجادلة: 19.

(2) علل الشرائع 1: 45، الاعتقادات في دين الامامية للصدوق: 105 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 9: 306.

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلّد ذكر سلفه، فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل، وثناء جزيل، وترحم متواصل، واستغفار له منه وممّن تعرف به، وفي الحديث: إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلاّ من ثلاث، وعدّ منها الولد الصالح.

ومن أجلى الواضحات أنّ هذا التذكير يختلف حسب تورّج الأولاد في المآثر، فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد، وكذلك الأسلاف فكُلّما كانوا في الشرف والسؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع.

إذاً فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجّل، وقد خلفهُ " شهيد الكوفة " وولده الأطايب " شهداء الطف "[1]، الذين لم يسبقهم ولا يلحقهم لاحق، فلو لم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسنم بهؤلاء الأكارم أوج العلى والرفعة.

وكَم أب قد عَلا بابن ذُرى شرفَ كَما عَلا برسُول الله عدنانُ

وكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كُلّه؟!

(1) في كامل الزيارة: 241: كان علي بن الحسين يميل إلى ولد عقيل فقيل له: " ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال (عليه السلام): " إنّي لاذكر يومهم مع أبي عبد اللّه الحسين (عليه السلام) فأرق لهم ".

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين، فإنّهم بين علماء أعاظم، وفقهاء مبرزين، وشعراء، ومحدثّين، وأمُراء صالحين، ونسّابين، وقد انتشروا في مصر ونصيبين واليمن وحلب وبيروت والمدينة والكوفة والحلّة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم وإصفهان.

وكان القاسم بن محمّد بن عبد اللّه بن محمدّ بن عقيل بن أبي طالب فاضلا تقًيا وأخوه عقيل جليل ثقة ثبت صاحب حديث، وعمّهما عقيل بن عبد اللّه نسابة مًشهوراً، وًحفيد عقيل هذا جعفر بن عبد الله الأصفهاني عالم نسابة شيخ شبل ابن نكبن مات سنة 334 هـ.

ومحمّد بن مسلم بن عقيل بن عبد اللّه بن محمدّ بن عقيل بن أبي طالب، يعرف بابن المزينة، كان أمير المدينة قتله ابن أبي الساج.

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمّد المذكور كان له أدب وفضل، مات سنة 330 هجرية.

والعبّاس بن عيسى الأوقص، ولي القضاء للداعي الكبير الحسن بن زيد على جرجان، وقد أولد بكرمان [1].

ومن أحفاد عقيل العلاّمة الجليل السيدّ إسماعيل بن أحمد النوري الطبرسي، من علمائنا الأعاظم، شرح نجاة العباد لشيخ الطائفة المحقّق الحجة " صاحب الجواهر " (قدس سره)، طبع منها جزءان إلى آخر الزكاة، وله كفاية الموحدين مطبوعة.

وكان في كربلاء المشرّفة بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون بالعقيليين، لهم أوقاف كثيرة، وقد انقرضوا وبقي منهم رجل واحد.

(1) أُنظر ذلك في عمدة الطالب: 35.

الطيّار

وأما جعفر بن أبي طالب، فحسبه من العظمة شهادة الرسول الأقدس بأنّه يشبهه خلقاً وخلقاً، ذلك الخلق الكريم الموصوف في الذكر الحكيم بقوله عز شأنه: {وَإِنكَّ لَعلىَ خلق عُظيم }[1]. وحيث لم ينصّ النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) على صفة خاصة من أخلاقه، فلا جرم من شمول تلك الكلمة الذهبية: " أشبهت خَلقي وخُلقي " لجميع ما اتصف به الرسول حتىّ الدنس من الرِّجس والآثام.

ولو تنزّلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصة فلا بدّ من القول بتحقّق أظهر صفات المشبهّ به للمشبه،ولا شك فّي أن ذلك المعنى أظهر ما في خلقه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وغير خاف أنّ هذه الكلمة قالها النبّي لما تنازع عنده أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب، وكان كُلّ منهم يريد القيام بتربيتها.

وذلك أن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج من مكة بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة، تبعته ابنة حمزة تقول: يا عم خذني معك، فأخذها أمير المؤمنين ودفعها إلى فاطمة (عليها السلام)، وفي المدينة جرى ذلك النزاع بينهم، فقال رسول اللّه لزيد: " أنت أخوها ومولانا "، وقال لجعفر:

(1) القلم: 4.

" اشبهت خَلقي وخُلقي "، وقال لأمير المؤمنين: " أنت منيّ وأنا منكّ "، ثم قُصّى بها للخالة وهي أسماء بنت عميس[1].

هذا هو الحديث المذكور في الجوامع، والنظرة الصادقة فيه تفيدنا معرفة السرّ في اختلاف خطاب النبّي مع ابني عمة، وكُلّ منهما نصح له في التلبية على الدعوى الإلهية، وأخلص في المفاداة في سبيل تبليغ الرسالة خصوصا مّع معرفته بأساليب المحاورة ; لأنّه سيدّ البلغاء {وَما ينطق عُن الهوىْ }[2]، فلا جرم حينئذ من كون الوجه فيه هو الإشارة إلى صفة سامية تحلّى بها أمير المؤمنين وتخلّى عنها جعفر، وليست هي إلا خلافة اللهّ الكبرى، فإن عّليا (عليه السلام) حامل ما عند رسول اللّه الأعظم من علم متدفّق، وفقه ناجع، وخبرة شاملة، وتأمّل فياضّ، وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به.

وهذا هو الذي تفيده المقولة في قوله: " أنت منّي وأنا منك "، بعد فرض المباينة بينهما في الحدود الشخصية. والنبّي لا ينطلق ساهياً ولا لاهياً، فلا بد أن يكون قاصدا تلك المقولة الكبرى التي لم يعيها جعفر وان بلغ في خدمة الدين كل مُبلّغ.

وهذا النزاع إنّما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية على تربية الطفل وإدارة شؤونه، وقد كان لابنة حمزة يومئذ أربع سنين.

(1) صحيح البخاري 3: 168 ، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، المستدرك للحاكم 3: 120، السنن الكبرى للنسائي 8: 5، مجمع الزوائد للهيثمي 9: 258.

(2) النجم: 3.

وهذا القضاء . كما يفيدنا سقوط حضانة الأُم إذا تزوجت . يُفيدنا أولوية الخالة على العمة، فإن عمتها صفية كانت موجودة يومئذ وأُمها سلمى متزوجة بشداد بن الهادي الليثي حليف بني هاشم.

ويرشدنا طلب أمير المؤمنين الحضانة إلى أنّ أولوية الخالة على غيرها من الأقارب إنّما هو عند المخاصمة، وإلا فلم يخف الحكم على سيّد الوصيين، وهو مستقى الأحكام وينبوعها، وقد امتزجت ذاته المقدّسة بالمعارف الإلهية والأسرار الربوبية واستمدّ من اللوح المحفوظ.

ولعلّ السرّ الدقيق في مخاصمته معهما تعريف الأُمة مقامه الرفيع ومنزلته الكبرى التي لا يدانيها كلُ أحد، والواجب عليه . بما أنّه المنقذ الأكبر وإمام الأُمة . إرشادها إلى الطريق اللاحب بأي نحو من أنحاء الكلام.

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظلّ لديه، يراقب أفعاله وتروكه، ويسمع تعاليمه وعظاته، ويبصر أعماله وحكمه، ويقتصّ أثره منذ كان يصل جناح الرسول الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين وخديجة الكبرى.

وكانت قريش تخبط في غلواء جحودها، وتغلي مراجل بغضائها على الصادع بالدين الحنيف، وعلى كُلّ ذلك تمرنّه التعاليم النبويّة الخاصّة به، وتكهربَه تهذيبات المشرع الأطهر، ولا تدعه جاذبة الدعوة الإلهية يلوي يميناً ولا شمالاً.

ومن هنا أئتمنه صاحب الرسالة على نشر كلمة التوحيد وعلى ضعفاء المسلمين يوم بعثه إلى الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة، فأدّى النصيحة، ونهض بالدعوة حتّى استمال النجاشي إلى الإسلام، فآمن غير أن منيته حالت دون أُمنيته.

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاخرات أئمة الدين به، كما افتخروا بعمّه أسد اللهّ وأسد رسوله في كثير من مفاخراتهم:

ففي احتجاج الطبرسي: أنّ أمير المؤمنين احتجّ على أهل الشورى بأن أخاه جعفر المزينّ بجناحين في الجنة، يحل فيها حيث شاء، فلم يردّ عليه أحد، بل قابلوه بالتسليم والقبول.

وفي نهج البلاغة فيما كتب به إلى معاوية: أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل اللهّ، ولكلُ فضّل، حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل له: الطيار في الجنّة وذو الجناحين.

فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت لما افتخر به المعصومون والعارفون بمآل العباد، حتّى جعلوا مواقفه في الدين ذريعة إلى التوسّل إلى مطلوبهم.

ولحزمه الثابت، ومواقفه المحمودة، وإصابته في الرأي، وقديم إيمانه أمّره النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة مؤتة (1)

على المسلمين، ولم يجعل عليه أمواً، فإذا قتل فالأمير زيد بن حارثة، فإن قتل فالأمير عبد اللّه بن رواحة .

(1) مناقب آل أبي طالب 1: 176، إعلام الورى: 212.

فما ذهب إليه فويق من المؤرّخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه، يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق.

وهذه العظمة هي التي تركت قدومه من الحبشة يوم فتح خيبر أعظم موهبة منح اللّه تعالى بها نبيّه، تعادل ذلك الفتح المبين، حتّى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " ما أدري بأيّهما أسُر بقدوم جعفر أم بفتح خيبر "، ثم قُال له: " ألا أحبوك، ألا أمنحك "؟ فظنّ الناس أنّه يعطيه ذهبا وًفضةً ; لما فتح الله ّعليه من خيبر، فقال له جعفر: بلى يا رسول الله، ّفعلمه ّصلاة التسبيح وهي المعروفة بصلاة جعفر [1].

وهذه الحبوة من الرسول الكريم لابن أخيه حيث علم أنّ من فوط قداسته لا يروقه إلاّ ما كان من عالم القدس، فخلع عليه بها، وجعله وسام شرف له، وهي من المتواترات بين العامّة والخاصّة، كما نصّ عليه المجلسي في البحار [2].

ولكن شرذمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأخي أمير المؤمنين، وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحد منهم زحزحوها إلى العبّاس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيدّ جعفر الكتاني صفحة 20.

وقد كشفت الحقيقة عن نفسها، وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذّاب بنصّ الذهبي في الميزان، وياقوت في المعجم، وابن خلكان في الوفيات بترجمته [3].

(1) الكافي 3: 365، من لا يحضره الفقيه 1: 552، النوادر: 160، جمال الاسبوع: 182.

(2) بحار الأنوار 88: 212.

(3) ميزان الاعتدال 3: 94، ضعفاء العقيلي 3: 373، تاريخ الإسلام 7: 18، وغيرها من المصادر.

أُخوته

إنّ حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل (عليه السلام) ماسّة إلى معرفة أخُوته الأكارم لمناسبات هناك، فإن ّمنهم من يعد ّقربه منه فضيلة رابية وشرفاً باذخاً فضلا ًعن الأخُوة، وهما الإمامان على الأمةُ إن قاما وان قعدا [1].

وإذا كانت بنوتهما لأمير المؤمنين معدودة من فضائله، مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر، كما يظهر من قوله (عليه السلام) يوم الشورى: " أنشدكم باللّه هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطاي الحسن والحسين ابني رسول اللّه، وسيدّي شباب أهل الجنّة غيري "؟ قالوا: لا [2].

كما أنّه (عليه السلام) افتخر بهما يوم كتب إليه معاوية أنّ لي فضائل ; كان أبي سيدًا فِي الجاهلية، وصوت ملكا فِي الإسلام، وأنا صهر رسول اللّه، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي.

فكتب إليه أمير المؤمنين أبياتاً سبعة ذكر فيها مصاهرته من

(1) كشف الغمة 2: 156، إعلام الورى: 407، روضة الواعظين: 156، الإرشاد 2: 30.

(2) الخصال: 555.

رسول اللّه، وأن عمّه سيدّ الشهداء، وأخاه الطيارّ مع الملائكة في الجنان، وسبقه إلى الإسلام، وأخذ البيعة له (يوم الغدير)، وأن ولديه سبطا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

وحينئذ فأخوة العبّاس لهما أولى أن تعقد منهما مآثره وفضائله. أضف إلى ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الإلهية.

ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب، فإنّ المعقبّين من أولاد أمير المؤمنين الإمامان والعباسّ ومحمد بّن الحنفية وعمر الأطوف.

ومنهم من شركه في موقف الطفّ.

ومنهم من يعدّ هو وإياه تحت جامع الأمومة.

ومنهم من شركه في الاسم.

وعليه فأولاد أمير المؤمنين الذكور ستة عشر:

الحسن والحسين والمحسن، أُمهم سيدّة نساء العالمين.

محمّد بن الحنفية، أُمّة خولة.

العبّاس وعبد اللّه وجعفر وعثمان، أمُهمّ أم البنين.

عمر الأطوف والعبّاس الأصغر، أُمهما الصهباء.

محمّد الأصغر، أُمه إمامة بنت أبي العاص.

يحيى وعون، أُمهما أسماء بنت عميس.

عبد اللّه وأبو بكر، أُمهما ليلى بنت مسعود.

(1) روضة الواعظين: 87، الاحتجاج 1: 265، مناقب آل أبي طالب 2: 19، الغدير 2: 26، تاريخ مدينة دمشق 42: 521، الوافي بالوفيات 21: 184، البداية والنهاية 8: 9.

محمّد الأوسط، أُمّة أم ولد[1].

أمّا الإمامان فالأحوى أن نجعجع الراع عن التبسّط في فضلهما وموقفهما من القداسة ومحلهما من الزلفى، وما أوتيا من حول وطول، والبسطة في العلم، فإن الوقوف على كنه ذلك فوق مرتكز العقول.

وأما المُحَسّن ـ بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة شبر [2]، والإصابة بترجمته [3] ـ وضمّ الميم، وسكون الحاء كما في حاشية السيّد محمّد الحنفي على شرح ابن حجر لهمزية البوصيري ص 251.

فعند الإمامية أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمّاه باسم ابن هارون مشبر كمحدث كما في القاموس [4] وغيره، وكان حملاً، وبعد وفاته أسقطته فاطمة الزهراء لستة أشهر، والروايات التي ذكرها ابن طاووس في (الطرف) [5] وغيره في غيرها تساعدهم.

---

(1) تاريخ الطبري 4: 119، الكامل في التاريخ 3: 398، مع تفاوت يسير في بعض الابناء واسمائهم.

(2) تاج العروس 3: 289.

(3) الإصابة 6: 191.

(4) القاموس 2: 55.

(5) الطرف 1: 335.

ابن الحنفية

وأمّا محمّد الأكبر، الذي يجمعه وإياه جامع العقب، فيكنىّ بابن الحنفية، وهي أمهُ خولة بنت جعفر بن قيس من بني الدئل بن حنيفة بن لجيم، وأُمها بنت عمرو بن أرقم الحنفي.

واختلف في أمرها أنّها سبية أيام رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما بعث عليا إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد، وقد ارتدّوا مع عمرو بن معد يكرب، وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم.

وقيل: إنّ خالد بن الوليد قاتل أهلها أيام أبي بكر فسباهم، فهي من جملة السبايا، فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم.

وقيل: إنّ بني أسد أغارت على بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا خولة وباعوها من علي (عليه السلام)، فبلغ قومها خبرها فجاءوا إلى علي (عليه السلام) فعرّفوه أنّها ابنتهم، فاعتقها وأمهرها وتزوجّها [1].

وقيل: إنّها سبيت أيام أبي بكر، فاشتراها أُسامة بن زيد وباعها من علي (عليه السلام).

وفي حديث أسماء بنت عميس: أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) اشتراها من سوق ذي المجاز أوان مقدمه من اليمن، فوهبها فاطمة (عليها السلام)، فباعتها من مكمل الغفاري، فولدت منه عونة، ثُمّ باعها من علي (عليه السلام).

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 244.

ويحكي ابن خلكان في الوفيات قولاً أنّها سندية، أمة لبني حنيفة، سوداء [1].

وحكاه الشيخ الجليل ابن إدريس الحلّي في نوادر السوائر عن ابن حبيب النسابة وقال: إنّه جهل منه وقلةّ تأمل [2].

ويروي القطب الراوندي في الخوائج: أنّها سبيت أيام أبي بكر، وأنّ الزبير وطلحة طرحا عليها ثوبيهما طلبا لًلاختصاص بهما، فصاحت: لا يملكني إلاّ من يخبرني بالرؤيا التي رأتها أُمي، وعن اللوح الذي كتبت فيه الرؤيا، وما قالته لي، فعجزوا عن معرفته إلاّ أمير المؤمنين أوضح لها في ملأ من المسلمين أمراً غيبياً، عجب منه الحاضرون، فعندها قالت: من أجلك سبيُنا ولحبّك أصابنا ما أصابنا [3].

ولم يعبأ السيّد المرتضى في (الشافي) بجميع ذلك فقال: " لم تكن الحنفية سبية على الحقيقة، ولم يستبحها (عليه السلام) بالسبا ; لأنّها بالإسلام قد صارت حرّة مالكة أمرها، فأخرجها من يد من استرقها، ثمُ عقد عليها عقد النكاح " [4].

وما ذكره هو الصحيح المقبول، فإنّ الردّة المزعومة لا توجب أحكام الكفر ومنع الزكاة وأمثالها على التأويل، فليس فيه خروج عن ربقة الإسلام.

(1) وفيات الأعيان 4: 169.

(2) السوائر 1: 657 والعبارة: "وهذا خطأ منه، وتغفيل، وقلة تحصيل ".

(3) الخرائج والجرائح للراوندي 2: 564 ، والكلام منقول بالمعنى في عامة الفاظه.

(4) الشافي للسيّد المرتضى 3: 371.

وأمّا ولادة محمّد فقيل: إنهّا أيام أبي بكر، وقيل: أيام عمر، وخصهّا ابن خلكان بأول المحرم لسنتين بقيتا من خلافة عمر [1]. وإذا علمنا أنّ عمر مات سنة ثلاث وعشرين، كانت ولادته سنة إحدى وعشرين.

وأمّا على رأي ابن كثير في البداية ج9 ص38 وسبط ابن الجوزي في التذكرة من وفاته سنة أحدى وثمانين عن خمس وستين تكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة [2].

وأما قوه فعند ابن قتيبة بالطائف [3] ، وفي تذكرة الخواص بايلة مدينة مما يلي الشام، وفي حلية الأولياء ج3 ص173 [4] وتهذيب التهذيب ج9 ص355 [5] بالمدينة المنورة وعينه ابن كثير بالبقيع [6].

وفي معجم البلدان ج3 ص387 [7] : إن أهل جزيرة خارك . التي هي في وسط البحر الفارسي . يزعمون أنّ بها قبر محمّد بن الحنفية يقول الحموي: وقد زرت هذا القبر فيها ولكن التواريخ تأباه.

واعتقاد الكيسانية حياته في جبل رضوى يأتيه رزقه وله عودة، من الخرافات ; للاتفاق على موته.

(1) وفيات الأعيان 4: 172.

(2) البداية والنهاية 9: 46.

(3) المعارف: 95.

(4) حلية الأولياء 3: 205.

(5) تهذيب التهذيب 9: 354.

(6) البداية والنهاية لابن كثير 9: 32.

(7) معجم البلدان 2: 337.

وإنّ كلمة الإمام الحسن السبط تدلنّا على فضله الشامخ، وورعه الثابت، وزهاته عن كلُ دّنس، ومعرفته بالإمام الواجب اتباعه قال الشيخ الجليل الطبرسي من أعلام القرن السادس في (أعلام الورى):

" أرسل الحسن بن أمير المؤمنين قنواً خلف محمدّ بن الحنفية، فلماّ مثل بين يديه قال له: " اجلس " فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيى به الأموات ويموت به الاحياء ; كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى، فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أنّ اللّه عزّوجل جّعل ولد إبراهيم (عليه السلام) أئمة، وفضلّ بعضهم على بعض، وآتى داوود زبورا، وقّد علمت بما استأثر اللّه تعالى محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

يا محمّد بن علي، لا أخاف عليك الحسد، وانمّا وصف اللّه به الكافرين فقال تعالى: **{ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندْ أَنفُسِهِمْ مِّن بعدِ مَا تبَيَنَّ لَهمُ الْحقّ }**[1] ولم يجعل اللّه للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمّد بن علي، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك (عليه السلام) فيك؟ قال: بلى.

فقال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحبّ أن يبرّني في الدنيا والآخرة فليبرّ محمداً.

يا محمّد بن علي، لو شئت أن أُخبرك وأنت في ظهر أبيك لأخبرتك.

(1) البقرة: 109.

يا محمّد بن علي، أما علمت أنّ الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي عند اللّه في الكتاب، وراثة النبي أضافها في وراثة أبيه وأُمه، علم اللّه أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمدّا، واختار محمد عّليا، واختارني علي للإمامة، واخترت أنا الحسين ".

فقال له محمّد بن علي: أنت إمامي وسيدي، ألا وإنّ في رأسي كلاما لا تتوفه الدلاء، ولا تغورّه الرياح، كالكتاب المعجم في الرقّ المنمنم، أهم بابدائه، فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل، وما جاءت به الرسل، وإنه لكلام يكلُ به لسان الناطق ويد الكاتب حتّى لا يجد قلماً، ويؤتوا بالقرطاس حمما، ولا يبلغ فضلك وكذلك يجزي المحسنين ولا قوة إلا باّلله ; الحسين أعلمنا علماً، واثقلنا حلماً، وأقربنا من رسول اللهّ رحما، كان إماما قبل أن يخلق، ووأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله أنّ أحدّا

خيراً منّا ما اصطفى محمدّا، فلما اختار الله محمدا واختار محمدا عليا إماماً، واختارك علي بعده واخترت الحسين بعدك، سلمنا ورضينا بمن هو الرضا وممّن نسلم به من المشكلات[1].

وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان وأنّه من عياب العلم ومناجم التقى، فأيّ رجل يشهد له إمام وقته بأنّ اللّه لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً، وأنه لا يخشى عليه من ناحية الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته، أي أحد لم يبلغ درجة الكمال ثُمّ أيّ رجل أناط أمير المؤمنين البرّ به بالبرّ بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبروا بها.

(1) إعلام الورى بأعلام الهدى: 423.

على أنّ الظاهر من قول المجتبى: " أما علمت أنّ الحسين " هو أنّ علم محمدّ بالإمامة لم يكن بمحض النص المتأخر وإن أكده ذلك، وإنّما هو بعلم مخصوص برجالات بيت الوحي، مكنون عندهم بالإحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري. ويرشدنا إلى هذا قول ابن الحنفية: " إنّ في رأسي... "، فإنّه أظهر من سابقه فيما قلنا، وكلماته الذهبية في الاعتراف بحق الإمامين تدلنا على ثباته المستقى من عين صافية بارشية من الحقّ، وما هي إلاّ ذلك اللوح المحفوظ.

أضف إلى ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: " تأبى المحامدة أن يعصى اللّه، وهم: محمدّ بن الحنفية، ومحمّد بن جعفر الطيار، ومحمدّ بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان "[1].

(1) رجال الكشي 1: 226 النصّ منقول بالمعنى. وفيه إنّ محمّد بن أبي حذيفة كان من أنصار علي وخيار الشيعة، وبعد شهادة علي حبسه معاوية دهراً حيث لم يتبرأ من المشايعة لعلي وولده، وبعد أنّ أخرجه حمله على البراءة منه والموالاة لعثمان فقال له: إنّي لا أعلم أحداً شرك في دم عثمان غيرك حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتّى جرى عليه ما كان، وإنّ طلحة والزبير وعائشة هم الذين ألّبوا عليه وشهدوا عليه بالجريمة، وإنّي أشهد أنّك منذ عرفت في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد ما زاد الإسلام فيك شيئاً، وعلامته أنّك تلومّني على حبّي لعلي وقد خرج معه كُلّ صوّام قوّام من المهاجرين والأنصار، كما خرج معك أبناء المنافقين والطلقاء. واللّه يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا، إذ أحلوا أنفسهم سخط اللّه بطاعتك، وإنّي لا أزال أحبّ علياً للّه ورسوله وأبغضك في اللّه ورسوله أبداً ما بقيت، ثُمّ ردّه إلى السجن فمات فيه. رجال الكشي 1: 228 والنصّ منقول بالمعنى.

وهذه شهادة من سيّد الأوصياء في حقّ ولده الكريم محمدّ، قد أخذت مأخذها من الفضيلة وأحلتّ محمداً المحل الأرفع من الدين، وأقلّته سنام العزّ في مستوى الإيمان.

وإن شهادة أمير المؤمنين بأنّه ممّن يأبى أن يعُصى اللهّ تعرفناً عدم ادعائه الإمامة لنفسه بعد الحسين، فإن تسّليمه الإمامة للسجاد لا يختلف فيه اثنان، واستدعاؤه الإمام للمحاكمة عند الحجر الأسود من أكبر الشواهد على تفننه في تنبيه الناس لمن يجب عليهم الانقياد له.

وعدم حضوره مشهد الطفّ: إمّا لما يقوله العلامّة الحليّ في أجوبة المسائل المهنائية من المرض، أو لما يروي محمد بن أبي طالب في المقتل من إذن الحسين له في البقاء بالمدينة، يعرّفه بما يحدث هناك، فهو معذور مقبول.

ولبسالته المعلومة وموقفه من الحقّ أثقله أبوه يوم (الجمل) مثقلة يده، فكان يخوض الغمرات أمامه ويمضي عند مشتبك الحرب قدماً، وكان يقول له عند أبوه لمنزلة الأقران دون الإمامين: إنهّما عيناي وأنت يدي، أفلا أدفع بيدي عن عيني[1].

وناهيك من بلاغته المزيجة بالشجاعة خطبته يوم صفين، وقد برز بين الصفين فأومى إلى عسكر معاوية وقال:

(1) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1: 244 : " قيل لمحمّد: لم يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن والحسين (عليهما السلام)؟ فقال: إنّهما عيّناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه ".

" يا أهل الشام اخسؤا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم... " [1] إلى آخر كلامه المروي في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص167 ، ومناقب الخوارزمي ص134 [2].

فكان لهذه الخطبة البليغة موقع تام في ذلك الجيش اللجب والجمع المتكاثف، ولم يبق في الفريقين إلاّ من اعترف بفضله.

(1) والنصّ باختلاف ألفاظه موجود في مناقب آل أبي طالب 3: 334، وعنه بحار الأنوار 46: 318.

(2) المناقب للخوارزمي: 210.

الأطرف

وأما عمر الأطرف، فكما شركه في العقب، وقع الخلاف من أهل النساء في أيهما أسبق في الولادة، فالذي عليه ابن شهاب العكوي وأبو الحسن الاشناني وابن جداع تقدّم ولادة عمر، وعند شيخ الشرف العبيدلي والبغدادي وأبي الغنائم العمري تقدّم ولادة العبّاس (عليه السلام) [1].

ولا يمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنة التي توفّي فيها، وذكرها على الإجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يغني، وإن عرفنا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين.

نعم، يظهر من المؤرّخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّ العبّاس أكبر منه ; لأنهمّ يقدمونّ ذكر العباسّ وأخوته على عمر، على أن الداودي في العمدة ص354 يقول: كان عمر آخر من ولد من بني علي (عليه السلام).

وعلى كُلّ حال فالوجه في تسميته بالأطرف إنمّا هو بعد ولادة عمر الأشرف ابن الإمام السجادّ (عليه السلام) أخو زيد الشهيد لأُمه، فإنّه سمُيّ بالأشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة (عليهما السلام)، والأطرف حاز الفضل من طرف أبيه [2].

(1) عمدة الطالب: 328.

(2) عمدة الطالب: 281.

ولم يحضر مع الحسين في الطفّ،ولا مع مصعب بن الزبير، وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطفّ، كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال ص297 في عدّه من جملة من قتُل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار.

وأغرب منه عدّ اليافعي له في مرآة الجنان ج1 ص143 في جملة المقتولين مع المختار ; لأنّ المشهور بين المؤرّخين بقاؤه إلى بعد الحسين حتّى نازع السجّاد في الصدقات إلى عبد الملك، فلم ينجح، كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها[1].

ويروي السيّد ابن طاووس أنّه أشار على الحسين بالبيعة ليزيد، فقال له: إنّ أبي حدثني عن رسول الله بقتله وقتلي، وان تربتي إلى جنب تربته، أتظنّ أنك تعلم ما لم أعلمه، فوالله لا أعطي الدنية من نفسي[2].

ولا أعلم السبب في تأخّره عن الطفّ، والظنّ لا يغني عن الحق شيئا، وليس لنا إلا التّسليم ما لم يقم دليل قطعي على المعاندة والمخالفة، خصوصاً بعد ما جاء الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)، وفيه: " لا يخرج أحدنا من الدنيا حتّى يقرّ لكُلّ ذي فضل فضله ولو بفواق ناقة "[3].

فإنّه صريح في توبة من كان ظاهره الخلاف لأهل البيت (عليهم السلام)عند الممات،ولا إشكال في أنّ التوبة مكفرة لما صدر من العصيان

---

(1) عمدة الطالب (عند ذكر الحسن المثنى): 90.

(2) اللهوف في قتلى الطفوف: 20 ،والنصّ منقول بالمعنى.

(3) هذان حديثان ملفقان منقولان بالمعنى وهما في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: 602 ، وقرب الإسناد للحميري: 24.

كما في صريح الكتاب المجيد وإجماع المسلمين والأخبار المتواترة التي توجب القطع بمضمونها، فالتهجّم على آل النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمجرد تلك الأحاديث التي لا يعرف مأخذها، خروج عن طريقة الأئمة الطاهرين.

وأمّا عبيد اللّه بن النهشلية فلم يحضر الطفّ وجاء إلى المختار يطلب الوفد فلم يصله، فالتحق بمصعب، وجاء معه، فلما وصل المنار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبوحاً ولم يعلم قاتله[1].

والمشرك معه في يوم الطفّ أبو بكر، وأُمه ليلى بنت مسعود النهشلية، قال ابن جرير: وابن الأثير شكّ في قتله[2].

وفي نفس المهموم ص173: وجد في ساقية قتيلاً لا يعلم قاتله[3].

وكأنّه لمّا حمل آل أبي طالب بعد قتل عبد اللّه بن مسلم بن عقيل جملة واحدة فصاح بهم الحسين: " صبراً عَلى الموت يا بني عمومتي، فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً "[4].

سقط فيهم عون بن الطيار، وأخوه محمّد وعبد الرحمن بن

---

(1) قال ابن إدريس الحلّي في السرائر 1: 656 : " وقد ذهب أيضاً شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أنّ عبيد اللّه بن النهشلية قتل بكربلاء مع أخيه الحسين (عليه السلام). وهذا خطأ محض بلا مراء ; لأنّ عبيد اللّه بن النهشلية كان في جيش مصعب بن الزبير، ومن جملة أصحابه، قتله أصحاب المختار.

(2) تاريخ الطوي 4: 351 ، الكامل في التاريخ 4: 92.

(3) مقاتل الطالبيين: 57.

(4) بحار الأنوار 45: 36 والعبارة: " صواً يا بني عمومتي، صواً يا أهل بيتي، لارأيتم هوانا بًعد هذا اليوم أبدا ".

عقيل، وأخوه جعفر ومحمّد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا، فلذلك لم يعرف قاتله.

ومحمّد الأوسط، وأُمه أم ولد، قتله رجل من بني أبان بن دارم واحتزّ رأسه [1].

وعبد اللّه المولود سنة 36 هـ، وجعفر المولود سنة 33 هـ، وعثمان المولود سنة 40 هجرية، فقتل هاني بن ثبيت الحضرمي عبد اللّه وجعفر، ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان واحتزّ رأسه رجل من بني أبان بن دارم [2] وهؤلاء جمعهم وإياه الأُمومة أيضاً.

والمشارك له في الاسم عباس الأصغر، نصّ عليه النسابة السيّد محمدّ كاظم اليماني في النفحة العنبرية، قال: وكان شقيقاً لعمر الأطرف، وفي ناسخ التواريخ ذكر العبّاس الشهيد والعبّاس الأصغر، ويؤيدّه أن النسابة العمري في المجدي وابن شهرأشوب في المناقب والشبلنجي في نور الأبصار والمحبّ الطوي في ذخائر العقبى وصفوا الشهيد بالعبّاس الأكبر [3].

وهذا التعبير في عرف النسّابين يقع لمن يكون له أخ أصغر منه شاركه في الاسم لا فيمن هو أكبر أُخوته مطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم، والظاهر أنّ العبّاس الأصغر درج في أيام أبيه ; لأنهّ ليس له ذكر في الوارثين لأمير المؤمنين من ولده.

(1) الكامل في التاريخ 4: 92.

(2) مقاتل الطالبيين: 55.

(3) أنساب الأشراف: 192، المجدي في أنساب الطالبيين: 232 ، الحجرة في أصول أنساب العلويين: 12.

أخواته

كانت أخوات العبّاس من أبيه ثمان عشرة[1] ، فمنهنّ من توفيّت أيام أبيهن كزينب الصغرى، وجمانة، وأمامة، وأم سُلمة، ورملة الصغرى[2] .

ومنهنّ من لم يذكر خروجهن إلى أزواج.

والذين خرجن إلى أزواج: فالعقيلة زينب الكبرى كانت عند عبد اللّه بن جعفر الطيار، فأولدت له جعفر الأكبر، وعباساً، وعلياً المعروف بالزينبي، وعوناً الأكبر قتل يوم الطف في حملة آل أبي طالب.

وأُمّ كلثوم، وهي التي زوجّها الحسين من ابن عمها القاسم ابن محمد الطيار وأنحلها البغيبغات[3] .

ورقيّة عند ابن عمّها الشهيد مسلم بن عقيل، ولدت له عبد اللهّ وعليا ومحمداً.

وفي العمدة تزوّج مسلم أُم كلثوم بنت علي (عليه السلام) فولدت له حميدة[4] ، تزوجها الفقيه الجليل عبد اللّه بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب، أولدها محمّداً منه العقب.

(1) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: 313.

(2) مناقب السروي 2: 76.

(3) المصدر السابق 2: 171.

(4) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: 32.

ولا يتمّ هذا إلاّ بعد وفاة إحداهن; إذ لا يجوز الجمع بين الأختين.

وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل، ولدت له حميدة.

وخديجة كانت عند عبد الرحمن بن عقيل، ولدت له سعيداً.

وأُم هاني تزوّجها عبد اللهّ الأكبر بن عقيل، ولدت له عبد الرحمن ومحمداً.

وأُمّ الحسن خرجت إلى جعدة بن هبيرة المخزومي.

وأُمامة كانت عند الصلت بن عبد اللّه بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولدت له نفيسة[1] .

(1) بحار الأنوار 42: 93، المجدي في أنساب الطالبيين: 18، إعلام الورى بأعلام الهدى: 398.

العقيلة

وكيف ما كان، فالمهم في هذا العنوان النظر في العقيلة الكبرى التي هي أعظمهنّ قدراً، وأجلهنّ شأناً، فإنها شظية من شظايا النبوّة، وفلذة من أفلاذ الإمامة، وهي الجوهرة الفريدة التي ضمّها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة (عليها السلام) وأنجب بها سيّد الأوصياء.

بجلالِ أحمد في مهابة حيدرَ قد أنجبتِ أم الأئمةَ زينبا

فكانت شريكة الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة في ذلك المرتكض الطاهر، والحجر الزاكي، والصلب القادس، واللبان السائغ، والتربية الإلهية.

أضف إلى ذلك العلم المتدفّق والفقه الناجع، وقد شهد لها ابن أخيها السجّاد (عليه السلام): "بأنها عالمة غير معلمة، وفاهمة غير مفهّمة"[1]، وحسبها من الخطر أن ما انحنت عليه الأضالع هو ذلك العلم المفاض عليها من ساحة القدس الإلهي، لا بإرشاد معلّم أو تلقين مرشد، مع البلاغة في المنطق، والبراعة في الإفاضة، كأنها تنوغ عن لسان أبيها الوصي:

(1) الاحتجاج 2: 31، في أنساب الطالبيين: 48، بحار الأنوار 45: 164.

وعن الوصي بلاغة خصّت بها أعيت برونقها البليغ الأخطبا
ما استرسلت إلاّ وتحسب أنّها تستلُ من غُرر الخطابة مقضبا
أو أنّها اليزني في يد باسل أخلا به ظهراً وأوهى منكبا
أو أنّها تقتاد منها فيلقا وتسوق من زمر الحقائق موكبا
أو أنّ في غاب الإمامة ليوة لزئيرها عنت الوجوه تهيّبا
أو أنّها البحر الخضم تلاطمت أمواجُه علماً حجى بأساً أبا
أو أنّ من غضب الإله صواعقاً لم تلف عنها آل حرب مهربا
أو أنّ حيدرة على صهواتها يفنيِ كواديس الضلال ثباثبا
أو أنّه ضمنّه ذروة منبر فأنار نهجاً للشريعة ألحبا

(1)

أو أنّ في اللؤي عقيلة هاشم قد فرّقت شمل العمى أيدي سبا

(1) من قصيدة للعلاّمة ميرزا محمّد علي الأوردبادي طُبعت في كتاب (زينب الكبرى).

ولم تكن هذه الواعة والاسترسال في القول إلاّ عمّا انطبع فيها من النفسيات القوية، والملكات الفاضلة، ممتزجة بثبات جأش وطمأنية نفس وشجاعة، إن شئت فسمّها بالأدبية، وإلاّ فهي فوق ذلك، وكانت تلقي خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة، أو فقل بين الناب المخلب، غير متعتعة، ولا متلعثمة، وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها، فكانت أعمالها وخطبها الجزء الأخير للعلّة من نهضة السبط الشهيد، وأصبحت تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته بين الملأ من صحيفتهم السوداء، حتّى ضعضعت عرش دولتهم، وفكّكت عرى سلطانهم، وألصقت بهم العار من كلّ النواحي، فكانت شريكة الإمام الشهيد في هذه الفضيلة:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه في حيث معترك المكاره في السبا[1]

وهذه النفسية التي حوتها والثبات الذي انطوى عليه أضالعها، أوجب لأخيها الشهيد أن يصحبها في سفره إلى مشهد الطفّ، علماً منه بلياقتها، لتلقّي الأسوار كما هي، وأدائها في مورد الأداء كما يجب، وهذا هو الذي أهلّها لتحمّل شطر مما يّحمله الإمام بعد حادثة الطفّ، حفظاً للسجاد عن عادية الأعداء، فكان يرجُع إليها في معرفة الأحكام الشرعية، وان كان المرجع إليها زين العباد (عليه السلام).

(1) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: 156.

ففي الحديث عن أحمد بن إبراهيم قال: دخلتُ على حكيمة بنت الجواد[1] أُخت أبي الحسن الهادي..، فكلّمتها من وراء حجاب، وسألتها عن دينها، فسمّت لي من تأتم به، ثمّ قالت: فلان بن الحسن بن علي، فسمته.

فقلت لها: جعلني اللّه فداك معاينة أو خبراً؟

فقالت: خبراً عن أبي محمّد (عليه السلام) كتب به إلى أمُه.

فقلت لها: فأين المولود؟

فقالت: مستوراً.

فقلت: إلى من تؤوع الشيعة؟

فقالت: إلى الجدّة أُمّ أبي محمدّ (عليه السلام).

فقلت لها: اقتدي بمن وصيّته إلى المرأة؟

فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، إنّ الحسين بن علي (عليهما السلام) أوصى إلى أُخته زينب بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلى زينب بنت علي تستّراً على علي ابن الحسين [2].

ولليقين الثابت والبصيرة النافذة لم تكترث بشيء من الأهوال ولا راعها الفواجع، منذ مشهد الطفّ إلى حين وصولها المدينة، وكان بمنظر منها مصارع آلِ اللّه نجوم الأرض من آل عبد المطلب، وبينهم سيدّ شباب أهل الجنة، بحالة تنفطر لها السموات، وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هداً.

---

(1) في المصدر: " بنت محمّد بن علي الرضا ".

(2) كمال الدين وتمام النعمة: 501، الغيبة للشيخ الطوسي: 230.

وليس معها من حماتها حميّ، ولا من رجالها وليّ غير الإمام المضني، الذي أنهكته العلل، ونسوة في الأسر، مكتنفة بها، بين شاكية وباكية، وطفل كظّه العطش، إلى أُخرى أقلقها الوجل.

وأمامها الجيش الفاتح الجذر، بسكرة الظفر، وبشر الشماتة، ودعة السلام، والفوح بالغنيمة، ومخيم آل بيت اللّه طنبّت عليه الكوارث والمحن، فقد الحماة، والخوف من الأعدا، والأوام الموح، ونحيب ونشيج، وشواخ وعولة.

والعقيلة في كُلّ هذه الأحوال هي المهُدئةّ لفورتهن، والمسكّنة لروعتهن، فلم يشاهد منها عزم خائر، ولا جأش مائر، ولا صرخة عالية، ولا ذهول عن أمر الحرم.

كيف وهي بقية أمير المؤمنين، ونائبة الحسين على تلكم الأحوال، والناهضة الكريمة إلى مثوى أخيها، والمتمّمة لقصده الراقي وأمره الرشيد.

نعم، أهمها من بين ذلك شيء رأته ; نظرت إلى ابن أخيها السجّاد يجود بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصهرها الشمس، فعظم عليها أمر الإمام، فأخذت تصبّره وتسليّه، وهو الذي لا توازن بصبره الجبال، وفيما قالت له:

" مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم، مرمليّن بالعراء، مسلّبين لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنك ما ترى، فواللّه إنّ ذلك لعهد من رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جدكّ وأبيك وعمكّ، ولقد أخذ اللّه ميثاق أُناس من هذه الأمُة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، إنهمّ يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطف علما لًقبر أبيك سيدّ الشهداء (عليه السلام)، لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علواً "[1].

وهل بعد هذا يبقى مجال للشكّ في موقفها من الثبات، ومحلهّا من الطمأنينة، ومبوئها من العظمة؟!

وإنّ حديث الرواة لمّا وقفت على جسد أخيها وقالت: " اللهم تقبلّ منا هذا القربان "[2] يدلّنا على تبوئها عرش الجلالة، وأنهّا المأخوذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدّسة كأخيها الحسين، وإن كان التفاوت محفوظاً بينهما، حتىّ إن أحدهما لما أتم النهوض بالعهد وخرج عن العدة بإهراق نفسه المطهّرة، نهض الآخر بما وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) إلى ساحة الجلال الربوبي والتعريف به، ثُمّ طفقت سلام اللهّ عليها ناهضة ببقية الشؤون التي وجبت عليها، ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور، وتفردّ العنصر.

ثُمّ هلم معي لنقرأ موقفها أمام ابن مرجانة، وقد احتشد المجلس بوجوه الكوفة وأشرافها، وهي امرأة غراء ليس معها إلا

(1) بحار الأنوار 28: 57 نقلاً عن كامل الزيارات.

(2) شجرة طوبى: 393، حياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي: 301.

مريض يعاني ألم القيود، ونساء ولهى، وصبية تئن، فأفرغت عن لسان أبيها بكلام أنفذ من السهم وأحدّ من شبا السيوف، وألقمت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له: " هؤلاء قوم كتب اللهّ عليهم القتل.. وسيجمع اللهّ بينك وبينهم فتحاُج وتخاُصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أُمك يابن مرجانة "[1].

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه، وأنّه لن يرحض عنه عارها وشنارها، كما أنهّا أدهشت العقول وحيرّت الفكر في خطبتها بالناس، والناس يومئذ حيارى يبكون لا يدرون ما يصنعون، وأنى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنةّ، وقد خاب السعي، وتبتّ الأيدي، وخسرت الصفقة، وباؤوا بغضب من اللهّ وخزي في الآخرة، ولعذاب اللّه أكبر لو كانوا يعلمون.

كما أنّها أظهرت أمام ابن ميسون أسرار نهضة أخيها الحسين، وعرفّت الأمُة طغيان يزيد، وضلال أبيه، وفظاعة أعمالهم، وعظيم ما اقترفوه، وفيما قالت له: " أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا على اللهّ هوانا وبًك عليه كرامة "[2] إلى آخر كلامها.

ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العزّ والإباء إلى العراق، لعلمه أنّ الغاية التي يضُحيّ بنفسه لأجلها ستذهب أدراج

السلطة الغاشمة، وتبقى الحقيقة مستورة على السذج لو لم يتعقّبها لسان ثرب، وأنّ كلُ أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي

(1) مثير الأحزان لابن نمّا الحلّي: 71.

(2) بحار الأنوار 45: 133 ، مقتل الحسين للخوارزمي 2: 47.

تحفّه سيوف الظلم أن يتكلّم بالحقيقة، مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة، فإنها التي تعلن بموبقات ابن هرجانة وابن معاوية، وإنّ ما جرى على ابن عفيف الأزدي شاهد له.

كما أنّه (عليه السلام) كان على يقين وثقة بإخبار جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ القوم وان بلغوا الخسة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة . لا يمدّون إلى النساء يد السوء، وقد أنبأ سلام اللهّ عليه عن هذا بقوله لهن ساعة الوداع:

" البسوا أزركم، واستعدوا للبلاء، واعلموا أنّ اللّه حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم "[1].

فكان في مجيء الحسين (عليه السلام) بالعقيلة فوائد أهمها: تنزيه دين النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمّا ألصقوه بساحته من الأباطيل، ولا قبح فيه عقلاً، كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع.

والمرأة وإن وضع اللّه عنها الجهاد ومكافحة الأعداء، وأمرها سبحانه أن تقرّ في بيتها، فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال، وأمّا إذا توقّف إقامة الحقّ ونصرة الدين عليها فقط، كان الواجب النهوض بعبء ذلك كُلّه ; كي لا تندرس آثار الحقّ، وتذهب تضحية أولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات، ولذلك نهضت سيدة نساء العالمين للدفاع عن خلافة اللّه الكبرى حين أُخذ العهد على سيدّ الأوصياء بالسكوت.

(1) الدمعة الساكبة 4: 346.

على أنّ الخضوع لناموس عصمة الإمام في جميع أقواله وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته يُحتمّ علينا الإذعان بأن مّا صدر منه منبعث عن حكم إلهي، قرأه في الصحيفة الخاصّة به التي يخبر الصادق (عليه السلام) عنها: " إنّ لكلُ واحد منا صّحيفة يعمل بما فيها "[1].

ويقول الإمام الباقر (عليه السلام): " فبتقدم علم إليهم من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قام علي والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منّا.. "[2].

كما أنّه (عليه السلام) أعلم بذلك جابر الأنصاري حين قال له: ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن؟ فقال: " إنّ أخي فعل بأمر من اللّه ورسوله، وأنا أفعل بأمر من اللّه ورسوله "[3].

فهذه الأحاديث تفيدنا نموذجاً من الاهتداء إلى معرفة سير الإمام في جميع أفعاله، وأنّها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرق إليها الشكّ والريب، وليس الواجب علينا إلاّ التصديق بكلّ ما يصدر منه، من دون أن يلزمنا الشروع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه، سواء كانت الأفعال في العرف والعادة فظيعة جداً أم لا.

(1) الكافي 1: 283، ح4.

(2) الكافي 1: 262، ح4.

(3) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: 322، مع اختلاف بعض الألفاظ.

أُمّ البنين

هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[1].

1. وأُمّها ثمامة[2] بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.
2. وأُمّها عمرة بنت الطفيل بن مالك الأخرم بن جعفر بن كلاب.
3. وأُمّها كبشة بنت عروة الرحال بن جعفر بن كلاب.
4. وأُمّها أمُ الخشف بنت أبي معاوية فارس الهوارّ بن عبادة بن عقيل بن كلاب.
5. وأُمّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب[3].
6. وأُمّها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وسمّاها في العمدة فاطمة[4].
7. وأُمّها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن نودان بن أسد بن خزيمة.

(1) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: 356، قاموس الرجال 12: 195.

(2) سمّاها الوافي بالوفيات 18: 344 (ليلى).

(3) سمّاها في إكمال الاكمال 7: 111 (خالدة).

(4) عمدة الطالب لابن عنبة: 356.

8 .وأُمّها بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.

9 .وأُمّها بنت ملك بن قيس بن ثعلبة.

10 .وأُمّها بنت ذي الرأسين، وهو خشين بن أبي عصم بن سمح بن فزارة، وفي القاموس: خشين بن لاي [1]، وفي تاج العروس [2]: لاي بن عصيم.

11 .وأُمّها بنت عمر بن صومة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان.

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل [3] من جدّات أُمّ البنين والدة العباسّ (عليه السلام)، ومنه عرفنا آباءها وأخوالها، ويعرفنا التاريخ أنّهم فرسان العرب في الجاهلية، ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسية والبسالة، مع الزعامة والسؤدد، حتّى أذعن لهم الملوك، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله: " ليس في العرب أشجع من آبائها " [4] ولا أفرس.

وذلك مراد أمير المؤمنين من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب، فإنّ الآباء لا بدّ وأن تعرف في البنين ذاتياتها وأوصافها، فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة، وإن كانت أُنثى بانت في أولادها، والى هذا أشار صاحب الشريعة الحقّة بقوله: " الخال أحد الضجيعين، فتخيّروا لنطفكم " [5].

---

(1) القاموس المحيط 2: 218.

(2) تاج العروس 8: 298 ولا خلاف بينهما بعد المراجعة.

(3) مقاتل الطالبيين: 53.

(4) عمدة الطالب لابن عنبة: 357.

(5) الكافي 5: 332، ح2 والحديث: " اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين ".

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي الأربى والأرقى، فمن ناحية أبيه سيّد الوصيّين، والعامرية فمن ناحية أُمّه أُمّ البنين.

فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جدّ ثمامة والدة أم البنين، وهو الجدّ الثاني لأُمّ البنين، قيل له: ملاعب الأسنّة، لفروسيته وشجاعته، لقبّه بذلك حسانّ لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال: ما هذا إلا مّلاعب الأسنة. وقيل: إنّ أوس بن حجر قال فيه: [1]

يلاعب أطراف الأسنّة عامرُ فَوَاح لهَ حُظ الكتائبِ أجمع

وهو الذي استعانه ابن أخيه عامر بن الطفيل على منافرة علقمة بن علاثه ابن عوف بن الأحوص، لمّا تفاخروا على أن يسوق كُلّ منهما مائة ناقة تكون لمن يحكم له، ووضع كلُ مّنهما رهنا لمَن أبنائهم على يدرجل من بني الوحيد، فسمي الضمين

إلى اليوم، وهو الكفيل، ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه وقال له: استعن بهما في منافرتك، فإنّي قد ربعت بهما أربعين مرابعاً[2].

والمرباع: ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه، خالصاً لنفسه، وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية[3]، وهذان النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصّة، وإلاّ فلا مزية لهما حتىّ يستعين بهما على المنافرة.

(1) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 26: 101.

(2) الأعلام للزركلي 3: 355، الإصابة 3: 485.

(3) لسان العرب 7: 415، تاج العروس 11: 112.

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عروة، الجدّة الأولى لأمّ البنين، كان عامر أسود أهل زمانه، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة، وأبعدها اسماً، حتىّ بلغ أن قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإنّ ذكر نسباً عظم عنده وأفده، وإلا أعرض عنه.

وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له، قال له قيصر: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب علقمة، ثمّ إنه دخل على ملك الروم فقال له: انتسب؟ فانتسب له، قال الملك: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب وخرج عنه[1].

ومنهم عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، والد كبشة، الجدّة الثانية لأمّ البنين، كان وفاداً على الملوك، وله قدر عندهم، ومن هنا سُمّي الرحال، وهو الذي أجار لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كلّ عام إلى سوق عكاظ، فقتله الرواض بن قيس الكناني واستاق العير، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس[2].

ومنهم الطفيل، فارس قرزل، وهو والد عروة، الجدّة الأُولى لأمّ البنين، كان معروفا بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب الأسنّة، وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأُمهم: أمّ البنين، واياها عنى لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو جعفر على النعمان بن المنذر، وكان سموه الربيع بن زياد

(1) قسم من الكلام موجود في الإصابة 4: 458، وخزانة الأدب 3: 80.

(2) الطبقات الكبرى 1: 127، الأعلام للزركلي 2: 47.

العبسي، فاتهموه بالسعي عليهم، فلمّا غدوا على النعمان كان معهم لبيد وهو أصغرهم، فرأوا النعمان يأكل مع الربيع فقال لبيد:

يا واهبَ الخير الجزيل من
نحنُ بنو أمّ البنين الأربعة

سعة

ونحنُ خير عامر بن صعصعة المطعمون الجفنة المدعدعة

الضاربون الهام وسط الخيضعة إليك جاوزنا بلاداً مُسبعة

تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه مهلاً أبيتَ اللعن لا تأكل معه

إنّ أُستَه من برص ملمعة وإنّه يُولج فيها إصبعه

يُولجها حتّى يواري اشجعه كأنّما يطلب شيئاً ضيعّه

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب ; لأنّ لهم شرفاً لا يدافع، ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته وقال له:

شرّد برحلك عنّي حيث شئت ولا تكثر عليّ ودع عنكَ الأباطيلا

قد قيل ذلك إنّ حقاً وإنْ كذباً فما اعتذارك في شيء إذا قيلا[1]

(1) معجم البلدان 1: 386، خزانة الأدب 4: 10.

الزواج

تزوّج أمير المؤمنين (عليه السلام) من فاطمة ابنة حزام العامرية، إمّا بعد وفاة الصديقة سيدّة النساء كما رواه بعض المؤرّخين [1] ، أو بعد أن تزوّج بأُمامة بنت زينب بنت رسول اللهّ كما رواه البعض الآخر [2] . وهذا بعد وفاة الزهراء (عليها السلام) ; لأنّ اللهّ قد حرمّ النساء على علي ما دامت فاطمة موجودة [3] .

فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم: العبّاس، وعبد اللهّ، وجعفر، وعثمان، وعاشت بعده مدةّ طويلة ولم تتزوج من غيره، كما أن أُمامة وأسماء بنت عميس وليلى النهشلية لم يخرجن إلى أحد بعده. وهذه الحرائر الأربع توفى عنهنّ سيد الوصيين [4] .

وقد خطب المغيرة بن نوفل أُمامة، ثمُ خطبها أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحرث، فامتنعت، وروت حديثا عًن علي (عليه السلام): إنّ أزواج النبّي والوصي لا يتزوجّن بعده، فلم يتزوجن الحرائر وأمهُات الأولاد عملا بالرًواية [5] .

(1) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي: 121، الدر النظيم للعاملي: 411.

(2) السيرة النبوية لابن كثير 4: 581 ، السيرة الحلبية 2: 452 ، الكنى والألقاب للقمي 1: 115.

(3) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب 3: 110، الأمالي للشيخ الطوسي: 43 ، بشارة المصطفى للطبري: 381.

(4) عمدة القارئ 8: 41، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: 305.

(5) مناقب آل أبي طالب 3: 90.

وكانت أُمّ البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت (عليهم السلام)، مخلصة في ولائهم، ممحضّة في مودتهمّ، ولها عندهم الجاه الوجيه والمحلّ الرفيع، وقدزارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيّها بأولادها الأربعة، كما كانت تزورها أيام العيد.

وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصرّها بمقام أهل البيت (عليهم السلام)، أنهّا لما أدخُلت على أمير المؤمنين . وكان الحسنان مريضين . أخذت تُلاطف القول معهما، وتلُقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تحُسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأُم الحنون.

ولا بدع في ذلك فإنّها ضجيعة شخص الإيمان، قد استضاءت بأنواره، وربتّ في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه، وتأدّبت بآدابه، وتخلقّت بأخلاقه.

الولادة

لقد أشرق الكون بمولد قمر بني هاشم يوم بزوغ نوره من أُفق المجد العلوي، مرتضعاً ثدي البسالة، متربياً في حجر الخلافة، وقد ضربت فيه الإمامة بعرق نابض، فترعرع ومزيج روحه الشهامة والإباء والنزوع عن الدنايا، وما شوهد مشتداً بشبيبته الغضة إلاّ وملء اهابه إيمان ثابت، وحشو ردائه حلم راجح، ولبّ ناضج، وعلم ناجع.

فلم يزل يقتصّ أثر السبط الشهيد (عليه السلام) الذي خلق لأجله، وكوّن لأن يكون ردءا لَه، في صفات الفضل، ومخائل الرفعة، وملامح الشجاعة، والسؤدد والخطر. فإن خطى سلام اللّه عليه فإلى الشرف، وإن قال فعن الهدى والرشاد، وإن رمق فإلى الحقّ، وإن مال فعن الباطل، وإن ترفّع فعن الضيم، وإن تهالك فدون الدين.

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الأعلى للعبقرية ; لأنّه كان يستفيد بلج هاتيك المآثر من شمس فلك الإمامة (حسين العلم والبأس والصلاح)، فكان هو وأخوه الشهيد (عليه السلام) من مصاديق قوله تعالى في التأويل: **{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا }**[1] ، فلم يسبقه بقول استفاده منه، ولا بعمل أتبعه فيه، ولا بنفسية هي ظلّ نفسيته، ولا بمنقبة هي شعاع نوره الأقدس، المنطبع في مرآة غوائره الصقيلة.

(1) الشمس: 1 ـ 2.

وقد تابع إمامه في كُلّ أطواره حتىّ في بروز هيكله القدسي إلى عالم الوجود، فكان مولد الإمام السبط في ثالث شعبان، وظهور أبي الفضل العبّاس إلى عالم الشهود في الرابع منه[1] سنة ست وعشرين من الهجرة[2] .

وممّا لا شكّ فيه أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما أحضر أمامه ولده المحبوب ليقيم عليه مراسيم السنة النبوية الّتي تقام عند الولادة، ونظر إلى هذا الولد الجديد، الذي كان يتحرّى البناء على أُمه أن تكون من أشجع بيوتات العرب ; ليكون ولدها ردءاً لأخيه السبط الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال، شاهد مواسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل، فكان بطبع الحال يطبق على كُلّ عضو يشاهده مصيبة سوف تجري عليه، يقلبّ كفيه اللذين سيقطعان في نصرة حجةّ وقته، فتهمل عيونه.

(1) أنيس الشيعة للعلاّمة السيّد محمّد عبد الحسين بن السيّد محمّد عبد الهادي المدارسي الهندي قال شيخنا الحجّة في الذريعة إلى مصنفات الشيعة 2: 45: رأيت الكتاب في النجف عند العالم السيّد اقا التستري من أحفاد السيّد نعمة اللّه الجزائري، والكتاب في وقائع الأيام، من موجبات السرور والأحزان، من مواليد الأئمة ووفياتهم ومعاجزهم..، رتّبه على الأشهر، بدأ بربيع الأول وختم في شهر صفر، وله مقدّمه في نسب النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنة جلوس الوصي (عليه السلام)وخاتمة في أحوال الحجة المنتظر (عليه السلام).

وذكر العلاّمة ميرزا محمدّ علي الاورُدبادي أنه قرأ بخط المؤلف على ظهر الكتاب إنه أهداه إلى السلطان فتح علي شاه يوم الجمعة أول شعبان سنة 1244 هـ، وللمؤلّف كتب منها: زاد المؤمنين، وتذكرة الطريق، وعناية الرضا.

(2) المجدي والأنوار النعمانية: 124، وحكاه في كتاب قمر بني هاشم: 22 عن وقائع الأيام لشيخ محمّد باقر البوجندي.

ويبصر صدره عيبة العلم واليقين فيشاهده منبتاً لسهام الأعداء، فتتصاعد زفرته، وينظر إلى رأسه المطهّر فلا يغرب عنه أنّه سوف يقع بعمد الحديد، فتثور عاطفته، وترتفع عقيرته، كما لا يبرح فاكرته حينما يراه يسقي أخاه الماء ما يكون غداً من تفانيه في سقاية كريمات النبوّة، ويحمل إليهنّ الماء على عطشه المرمض، وينفض الماء حيث يذكر عطش أخيه، تهالكاً في المواساة، ومبالغة في المفادات، وإخلاصاً في الأُخوة، فيتنفس الصعداء، ويكثر من قول: " مالي ولِيزيد "[1]، وعلى هذا فقس كُلّ كارثة يقدر سوف تلمّ به وتجري عليه.

فكان هذا الولد العزيز على أبويه وحامته كُلّما سرّ أبوه اعتدال خلقته، أو ملامح الخير فيه، أو سمة البسالة عليه، أو شارة السعادة منه ; ساءه ما يشاهده هنالك من مصائب يتحمّلها، أو فادح ينوء به، من جرح دام، وعطش مجهد، وبلاء مكرب.

وهذه قضايا طبيعيّة تشتدّ عليها الحالة في مثل هاتيك الموارد، ممنّ يحمل أقل شيء من الرقة على أقل إنسان، فكيف بأمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو أعطف الناس على البشر عامّة من الأب الرؤوف، وأرقّ عليهم من الأمّ الحنون.

إذن فكيف به في مثل هذا الإنسان الكامل (أبي الفضل) الذي لا يقف أحد على مدى فضله، كما ينحسر البيان عن تحديد مظلوميته واضطهاده.

---

(1) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: 12.

وذكر صاحب كتاب " قمر بني هاشم " ص21 أنّ أمّ البنين رأت أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض الأيام أجلس أبا الفضل (عليه السلام) على فخذه، وشمّر عن ساعديه، وقبلهما وبكى، فأدهشها الحال ; لأنّها لم تكن تعهد صبياً بتلك الشمائل العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي، من دون سبب ظاهر، ولمّا أوقفها أمير المؤمنين (عليه السلام) على غامض القضاء، وما يجري على يديه من القطع في نصرة الحسين (عليه السلام) ; بكت وأعولت وشاركها مَن في الدار في الرزء والحسرة، غير أنّ سيدّ الأوصياء بشّرها بمكانة ولدها العزيز عند اللّه جلّ شأنه، وما حباه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل ذلك لجعفر بن أبي طالب، فقامت تحمل بشرى الأبد، والسعادة الخالدة.

صفاته

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على وليّه المقدّس، سلالة الخلافة الكبرى، سيدّ الأوصياء، أن جمع فيه صفات الجلالة من بأس وشجاعة وإباء ونجدة، وخلال الجمال من سؤدد وكرم ودماثة في الخلق، وعطف على الضعيف، كُلّ ذلك من البهجة في المنظر ووضاءة في المحيا من ثغر باسم ووجه طلق تتموّج عليه أمواه الحسن، ويطفح عليه رواء الجمال، وعلى أسرة جبهته أنوار الإيمان، كما كانت تعبق من أعراقه فوائح المجد، متأرّجة من طيب العنصر.

ولمّا تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي قيل له: " قمر بني هاشم "[1] ، حيث كان يشوء بجماله كُلّ جميل، وينذ بطلاوة منظره كُلّ أحد، حتىّ كأنه ّالفذ فيّ عالم البهاء، والوحيد في دنياه، كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم، وهذا هو حديث الرواة: " كان العبّاس رجلاً وسيما ً جميلا، ً يركب الفرس المطهم وّرجلاه تخطان في الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم "[2] .

وقد وصفته الرواية المحكية في مقاتل الطالبيين بان " بين عينيه أثر السجود "، ونصّها:

(1) كان يقال لعبد مناف: (قمر البطحاء)، ولعبد اللّه والد النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (قمر الحرم).

(2) مقاتل الطالبيين: 55.

" قال المدائني: حدّثني أبو غسّان هارون بن سعد، عن القاسم بن الأصبغ ابن نباتة، قال: رأيت رجلا ً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك؟ قال: إنّي قتلت شابا ً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلاّ أتاني، فيأخذ بتلابيبي حتىّ يأتي جهنم، فيدفعني فيها، فأصيح فما يبقى في الحي إلا ّسمع صياحي. قال: والمقتول هو العبّاس بن علي (عليه السلام) "[1] .

وروى سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمّد، عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي قال: " لما أُتي بالرؤوس إلى الكوفة، واذا بفارس أحسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد، كأنّه القمر ليلة تمّه، والفرس يسوح، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت: رأس من هذا؟ قال: رأس العبّاس بن علي، قلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهل الأسدي "[2] .

قال: فلبثت أياماً واذا بحرملة وجهه أشدّ سوادا ً من القار، فقلت: رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنظر وجها ً منك، وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك؟ فبكى وقال: واللّه منذ حملت الرأس والى اليوم ما تمرّ علي ليلة إلا واتّتان يأخذان بضبعي، ثُمّ ينتهيان بي إلى نار توجّج، فيدفعاني فيها وأنا أنكص، فتسفعني كما ترى، ثم ُمّات على أقبح حال "[3] .

(1) مقاتل الطالبيين: 79 . الأصبغ هنا ابن نباتة ; لأنّ بني مجاشع بطن من حنظلة من تميم كما في نهاية الإرب للقلقشندي: 334، والأصبغ ابن نباتة حنظلي تميمي كما نصّ عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب 1: 362.

(2) في تاريخ الطبري 4: 359 : حرملة بن الكاهن، وفي الفصول المهمة لابن الصباغ: 845 : حرملة بن الكاهل. والأمر سهل.

(3) تذكرة الخواص: 291.

ويمنع الإذعان بما في الروايتين من توصيف المقتول بأنّه العبّاس بن علي (عليه السلام)، عدم الالتئام مع كونه شابا ً أمرد، فإنّ للعباس يوم قتله أربعا ً وثلاثين سنة، والعادة قاضية بعدم كون مثله أمرد، ولم ينصّ التاريخ على كونه كقيس بن سعد ابن عبادة لا طاقة شعر في وجهه.

وفي دار السلام للعلاّمة النوري ج1 ص114 والكويت الأحمر ج3 ص52 ما يشهد للاستبعاد، واصلاحه كما في كتاب "

قمر بني هاشم " ص126 بأنّه رأس العبّاس الأصغر بلا قرينة، مع الشكّ في حضوره الطفّ وشهادته، وهذا كاصلاحه بتقدير المقتول: " أخ العبّاس " المنطبق على عثمان الذي له يوم قتله إحدى وعشرين سنة، أو محمّد بن العبّاس المستشهد على رواية ابن شهرآشوب، فإنّ كلّ ذلك من الاجتهاد البحت.

ولعلّ النظرة الصادقة فيما رواه الصدوق منضماً إلى رواية ابن جرير الطبري تساعد على كون المقتول حبيب بن مظاهر.

قال الصدوق: " وبهذا الاسناد عن عمرو بن سعيد، عن القاسم بن الأصبغ ابن نباتة، قال: قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممّن شهد قتل الحسين، وكان رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك لتغير لونك؟ قال: قتلت رجلاً من أصحاب الحسين، يبصر بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه.

فقال القاسم: لقد رأيته على فرس له سرحاً، وقد علّق الرأس بلبانها، وهو يصيبه بركبتيه، قال: فقلت لأبي: لو أنّه رفع الرأس قليلاً، أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها؟ فقال: يا بني ما يصنع به أشد، لقد حدّثني قال: ما نمت ليلة منذ قتلته إلاّ أتاني في منامي

حتّى يأخذ بكتفي فيقودني ويقول: انطلق، فينطلق بي إلى جهنم، فيقذف بي، فأصيح، قال: فسمعت جارة له قالت: ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه، قال: فقمت في شباب من الحي فأتينا امرأته فسألناها فقالت: قد أبدى على نفسه قد صدقكم " [1].

وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة بما فعل بالرأس الطاهر.

وتفيدنا رواية الصدوق أنّ المقتول رجل لا شاب، وأنّه من أصحاب الحسين (عليه السلام)، ولا إشكال فيها، واذا وافقنا ابن جرير على أنّ الرأس المعلّق هو رأس حبيب بن مظاهر. في حين أنّ المؤرخين لم يذكروا هذه الفعلة بغير من الرؤوس الطاهرة. أمكننا أن ننسب الاشتباه إلى الروايتين السابقتين، خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة إلى العبّاس، وتوقّف التصحيح فيهما على الاجتهاد بلا قرينة واضحة.

قال ابن جرير في ج6 ص252 من التاريخ: " وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله، وكان يقال له: بديل بن صريم من بني عقفان، وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه، فوقع، فذهب ليقوم، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فوقع، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال له الحصين: إنّي لشريكك في قتله! فقال الآخر: واللّه ما قتله غيري! فقال الحصين: أعطنيه أُعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركت في قتله، ثمّ خذه أنت بعد فامض به إلى

(1) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: 219.

عبيد اللّه بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه، فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فرفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر، قد علّقه في عنق فرسه، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس

حبيباً فعلقّه في لبان فرسه، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب، وهو يومئذ قدراهق، فأقبل مع الفرس، لا يفارقه كُلمّا دخل القصر دخل معه، واذا خرج خرج معه، فرتاب به، فقال: ما لك يا بني تتبعني؟ قال: لا شيء! قال: بلى يا بني أخبرني؟

قال له: إنّ هذا الرأس الذي معكرأس أبي أفتعطينيه حتّى أدفنه؟

قال: يا بني لا يرضى الأمير أن يدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً!

قال له الغلام: لكن اللّه لا يثيبك على ذلك إلاّ أسوأ الثواب، أما واللهّ لقد قتلته خيرا مًنك وبكى.

فمكث الغلام حتّى إذا أدرك لم يكن له همة إلاّ اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلماّ كان زمان مصعب بن الزبير، وغزا مصعب باجمير ادخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فضربه بسيفه حتّى برد... "[1].

نعم، في رواية الصدوق أنّ القاسم يسأل أباه عمّا يفعله الفرس بالرأس فيقول: " قلت لأبي: لو أنهّرفع الرأس.. إلى آخره ".

(1) تاريخ الطبري 4: 335.

وهو يدلّ على حياة الأصبغ ذلك اليوم، وعليه فلم يعرف الوجه في تأخرّه عن حضور المشهد الكريم، مع مقامه العالي في التشيّع، وإخلاصه في الموالاة لأمير المؤمنين وولده المعصومين (عليهم السلام)، ومشاهدته هذا الفعل من الطاغي يدلّ على عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخلّص، ولا مخرج عنه إلاّ بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى كما هو الظاهر مماّ ذكره أصحابنا عند ترجمته، من الثناء عليه، والمبالغة في مدحه، وعدم الغمز فيه.

فتلك الجملة: " قلت لأبي "، لا يعرف من أين جاءت. ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنّة فيه كما في اللآلئ المصنوعة ج1 ص213 ، فإنّه بعد أن ذكر حديث الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري " أنهّم أمُروا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي "، قال: " لا يصحّ الحديث، لأنّ الأصبغ متروك، لا يساوي فلساً "[1].

وفيه ص195 ذكر عن ابن عباس حديث الركبان يوم القيامة رسول اللّه وصالح وحمزة وعلي قال: "رجال الحديث بين مجهول وبين معروف بعدم الثقة "[2].

(1) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي 1: 374، ونصّ العبارة: " لا يصحّ، وأصبغ متروك لا يساوي فلساً ".

(2) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي 4: 344 ، ونصّ العبارة: "رجاله فيهم غير واحد مجهول وآخرون معروفون بغير الثقة ".

ولقد طعنوا في أمثاله من خواصّ الشيعة بكلّ ما يتسنىّ لهم، وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوى، ولا يتحملّ هذا

المختصر التبسط في ذكرها، ومراجعة ما كتبه السيّد العلاّمة محمدّ بن أبي عقيل في " العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل " ص40 في الباب الثاني فيه كفاية، فإنّه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلاّ لموالاة أمير المؤمنين وولده (عليهم السلام).

كنيته

اشتهر أبو الفضل العبّاس (عليه السلام) بكنُى وألقاب، وصُف ببعضها في يوم الطف،ّ والبعض الآخر كان ثابتا لهً من قبل، فمن كناه: أبو قربة[1] ; لحمله الماء في مشهد الطفّ غير مرة، وقد سدتّ الشرائع، ومنع الورود على ابن المصطفى وعياله، وتناصرت على ذلك أجلاف الكوفة، وأخذوا الاحتياط اللازم، ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف،ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرماح المشرعة،ولا السيوف المجرّدة، فجاء بالماء وسقى عيال أخيه وصحبه.

ولم ينصّ المؤرّخون وأهل النسب على كنيته بأبي القاسم ; إذ لم يذكر أحد أن ّله ولدا اًسمه القاسم.

نعم، خاطبه جابر الأنصاري في زيارة الأربعين بها قال: " السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا عباس بن علي "[2]، وبما أنّ هذا الصحابي الكبير المقربّي في بيت النبوةّ والإمامة خبير بالسبب الموجب لهذا الخطاب، فهو أدرى بما يقول.

(1) تهذيب الكمال للمزي 20: 479، شرح إحقاق الحق 32: 679.

(2) بحار الأنوار 98: 330.

وقد اشتهر بكنيته الثالثة " أبي الفضل " من جهة أنّ له ولداً اسمه الفضل[1]، وكان حرياً بها فإنّ فضله لا يخفى، ونوره لا يطفى. ومن فضائله الجسام نعرف أنّه ممنّ حبس الفضل عليه، ووقف لديه، فهو رضيع لبانه، وركن من أركانه، واليه يشير شراح ميمية أبي فراس:

بذلتَ أيا عباس نفساً نفيسة لنصرِ حُسين عزّ بالنصر من مثلِ

أبيتَ التذاذ الماء قبل التذاذهِ فحسن فعال المرء فرع عن الأصلِ

فأنتَ أخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضلِ[2]

(1) الجريدة في أصول أنساب العلويين: 318.

(2) أعيان الشيعة 9: 259.

اللقب

اشتهر بين العامّة والخاصّة بأنّه سلام الله عليه باب الحوائج ; لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ومن هنا قيل فيه [1] :

للشوس عباس يريهم وجهَهُ والوفد يَنظِرُ باسمِا مُحتاجها

باب الحوائجِ ما دعَته مُروعة في حاجة إلاّ ويُقضي حاجَها

بأبِي أبي الفضلِ الذي من فضْلَه السامِي تعَلمّت الورى منهاجها

وقيل له: " قمر بني هاشم " [2] ; لوضاءته وجمال هيئته وإنّ اسرة وجهه تبرق كالبدر المنير، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلى ضياء.

وأمّا " الشهيد " فلم ينصّ عليه أحد إلا أنّه الظاهر من عبارات أهل النسب، ففي المجدي لأبي الحسن العمري قال . بعد ذكر أولاده .: " هذا آخر نسب بني العبّاس الشهيد السقا ابن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) " [3] .

(1) من قصيدة لسيد الذاكرين السيّد صالح الحلّي (رحمه الله).

(2) مقاتل الطالبيين: 56، مناقب آل أبي طالب 3: 256، بحار الأنوار 45: 39.

(3) المجدي في أنساب الطالبيين: 243.

وفي سرّ السلسلة لأبي نصر البخاري: "والشهيد أبو الفضل العبّاس بن علي أمّه أم البنين " [1] .

ثُمّ روى عن معاوية بن عمار الزيدي قال: " قلت للصادق (عليه السلام): كيف قسمتم نحلة فدك بعد ما رجعت عليكم؟ قال: " أعطينا ولد عبيد اللّه بن العبّاس الشهيد الربع والباقي لولد فاطمة، فأصاب بني العبّاس بن علي أربعة أسهم، الحصة أربعة نفر، ورثوا علياً (عليه السلام) " [2] .

وكان الحريّ بأرباب المقاتل والنسب أن يدوّنوا له هذا اللقب المعرب عن أسمى منزلة له، وهو " العبد الصالح " كما خاطبه [3]

الإمام الصادق في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول: " السلام عليك أيّها العبد الصالح " .

فإنّك جدّ عليم بأنّ هذه الصفة أرقى مراتب الإنسان الكامل ; لأنها حلقة الوصل بين المولى والعبد، وأفضل حالات أي فاضل، حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جلّ وعلا، وإن من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأم المنتهى مع المبدأ بنحو الصلة، وهذا لا يكون إلاّ إذا بلغ العبد أرقى مراتب الإنسانية التي تلحقه بعالم البساطة، وتنتهي به إلى صقع التجرّد، فتؤهّله لأن يتصل

(1) سرّ السلسلة العلوية: 88.

(2) سرّ السلسلة العلوية: 89.

(3) كامل الزيارات: 440.

ولم يلقبوه بذلك ; لأن هذا المعنى صفة وليست اسماً ليجعل لقباً لشخص، وأهل السير غرضهم من ذكر الألقاب التمييز لا أطلاق الأوصاف، فتدبر.

بالمبدأ الأعلى، فلو فقد الإنسان تلك الملاءمة دعوه عن حضرة القدّاسة انقطاع النسبة، وبعد المرمى، وشسوع المسافة.

ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب، وإنّما نقصد منه ما إذا عبد اللّه سبحانه حقّ عبادته، الناشئة عن فقه وبصرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد، من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة، حتّى يكون المولى هو الذي يسميّه عبدا لًه، ويصافقه على تصديق دعواه بالعبودية له.

وما أسعد العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة، ويعرف أنّ مولاه قابض على طرفه الآخر، تولفه إليه جاذبة الصلة، وأشعة القرب.

وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء (عليهم السلام) أرقى مراتبهم، وأرفع منصاتهم ; لأنّ طرف عبوديتهم أمنع وأشرف من طرف رسالتهم، فالطرف الأعلى في العبودية " مبدأ الحقّ سبُحانه وتعالى "، والطرف الأسفل منته إلى شخص النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمّا النبوة فمبدؤها الرسول ومنتهاها الأمُة[1] .

ولولا أنّ هذه الصفة أسمى الصفات التي يتصف بها العبد لما خصّ اللّه تعالى أنبياءه، بها فقال سبحانه: **{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبدنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}**[2] .

(1) لكن حقيقة الرسالة راجعة إلى العبودية وداخلة في ضمنها، فهي منه وبه وإليه.

نعم، مانعية الرسالة من جهة اشتغال الرسول بتبليغ الرسالة والدخول في عالم الكثرة، وهذا فيه نوع حجب على النور الصافي فيما لو انقطع مع اللّه، ولكنّه بالتالي عبادة أقلّ من غيرها، فتدبر.

(2) البقرة: 23.

وقال تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِيَ أَسرى بِعَبده لَيلاً مِن الْمَسْجِدِ الحرامْ إِلَىْ المسْجِدِ الأَقصَى }[1].

وقال عزّ شأنه: {وَمَا أَنزَلنَا عَلَى عَبدنا يَوْمَ الْفرقَانَ يومْ الْتقَى الجَمْعَان }[2].

وقال جلّ وعلا: {وَاذْكُرْ عبدنَا دَاوودَ ذَا الأيد إنه أَوْاب }[3].

وقال تعالت أسماؤه: { وَوَهبنَا لدَاوودَ سُليمَانَ نَعْمَ العَبد إِنّهَ أَوْاب }[4].

وقال عزّ سبحانه: {وَاذْكُرْ عبادِنَا إِبرَاهيمْ وَاسحَاقَ وَيعْقُوبَ أُولَيَ الأَيد يَوالأَبصار }[5].

وقال عظم ذكره: {وَاذْكُرْ عبدنَا أيوبَ إِذْ نَادى رِبّهَ أَني مَسَّنيَ الشَّيطَانَ بِنصَبوعَذَاب }[6].

وقد كان في وسع المولى تعالت أسماؤه أنّ يقول في خطاب نبيّه الكريم: "وإن كنتُم في ريب مما نّزلنا على رسولنا.. " ونحوه ممّا يدل على النبوّة والرسالة، ولكن حيث كان حبيب اللّه وصفيه متجرداً عمّا يحجبه عن مشاهدة المهيمن سبحانه، فانيا في سبيل خدمة المولّى، لا يرى في الوجود غير منشئ الأكوان ; استحقّ أن يهبه البارئ تعالى أرقى صفة تليق بهذا المقام.

(1) الإسراء: 1 (2) الأنفال: 41.

(3) ص: 17.

(4) ص: 30.

(5) ص: 45.

(6) ص: 41.

ومن هنا نرى الرسول المسيح قدّم عبوديته على رسالته فقال: { إِنِّي عبدْ اللّه آتَانِي الكِتَاب وْجعَلنيَ نبيا }[1].

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والنوافل في اليوم والليل تشهد بأنّ محمدًا عبده ورسوله، ولم تقل: خاتم الأنبياء، أو علة الكائنات، أو سرّ الموجدات، أو حبيب اللّه وصفيه، مع أنها صفات لا تليق إلا بذّات اشتقت من نور القدس، ولكنك عّرفت أن أسمى هذه الصفات وأجلّ ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبدأ الأعلى هو وصفه بالعبودية لمولاه.

ومن هنا ظهر لنا أنّ من أجلى الحقائق وأرقى مراتب الفضل الذّي لا يحلّق إليه طائر الفكر، ولا يدرك مداه أي تصور، غير أنّ من الواجب التصديق به على الجملة، هو وصف سيدّنا العباسّ (عليه السلام) بهذه الصفة الكاملة " العبد الصالح " التي أضافها اللّه تعالى إلى أنبيائه، ومبلغّي شريعته، وأمنائه على وحيه، ومنحه بها الإمام الصادق (عليه السلام).

(1) مريم: 30.

السقا

الماء حياة العالم، وليست حاجة أي جزء من أجزائه أمسّ من الآخر، فلا جزءولا جزيء في الكون إلاّوهو خاضع له، في وجوده، وفي نشوئه وبقائه، وقد أعرب عنه سبحانه بقوله: {وَجَعَلنا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيّ}[1].

وإليه استند ابن عباس في حلّ لغز ملك الروم، فإنّه وجّه إلى معاوية قارورة يطلب منه أن يضع فيها من كلّ شيء، فتحير معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز، لعلمه بأنّه يستقي من بحر أمير المؤمنين (عليه السلام) المتوجّ بالحكم والأسرار، فقال ابن عباس: " لتملأ له ماء، فإنّ اللّه يقول {وَجَعَلنا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيّ}، فأدهش ملك الروم وتعجّب وقال: للّه أبوه ما أدهاه "[2].

فلا يخالج اليقين بأهمّيته الكبرى في دور الحياة أي شكّ.

وإن من يكون معروفه الذي تندى به أنامله، وتسوقه إليه جبلته، هذه المادة الحيوية، لعلى جانب ممنع من الفضل، وقد عرقت فيه شائج الرقة، وتحلّى بغريزة العطف، ونبض فيه عرق الحنان،ولا يكون إسداء مثله إلاّ عن لين ورأفة على الوجود، وإن تفاوتت المراتب بالنسبة إلى الموجدات الشريفة وما دونها،ولا

(1) الأنبياء: 30.

(2) الكامل للمبرد 1: 308 ، والعبارة فيها تقديم وتأخير.

يعدو الشرف والشهامة هذا المتفضّل بسرّ الحياة، فهو شريف يحب الإبقاء على مثله، أو عطوف لا يجد على الاغاثة منه، ولا على قدرته في الإعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطباً.

وإذا كانت الشريعة المطهّرة حثّت على السقاية ذلك الحثّ المتأكد، فإنما تلت على الناس أسطرا نورّية، مما جبلوا عليه، وعرفت الأُمة بأنّ الدين يطابق تلك النفسيات البشرية والغرائز الطبيعية، وأرشدتهم إلى ما يكون من الثواب المترتبّ على سقي الماء في الدار الآخرة، ليكونوا على يقين من أنّ عملهم هذا موافق لرضوان اللّه وزلفى للمولىّ سبحانه، يستتبع الأجر الجزيل، وليس هو طبيعي محضّ.

وهذا ما جاء عن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام)، من فضل بذل الماء في محلّ الحاجة إليه وعدمها، كان المحتاج إليه حيواناً، أو بشراً، مؤمنا كان، أو كافراً.

ففي حديث النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أفضل الأعمال عند اللّه أواد الكبد الحرى من بهيمة وغيرها[1]، ولو كان على الماء، فإنّه يوجب تناثر الذنوب كما تتناثر الورق من الشجر[2]، وأعطاه اللّه بكلّ قطرة يبذلها قنطارا في الجنة، وسقاه من

الرحيق المختوم، وإن كان في فلاة من الأرض ورد حياض القدّس مع النبيّين [3].

(1) بحار الأنوار 71: 369.

(2) تذكرة الموضوعات للفتني: 147.

(3) مستدرك الوسائل للنوري 7: 253.

وسأله رجل عن عمل يقرّبه من الجنة فقال: " اشتر سقاء جديدا ثُم اُسّق فيه حتى تّخرقه، فإنك لا تخرقه حتى تبلّغ به عمل الجنّة " [1].

وقال الصادق (عليه السلام): " من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً، ومن أحيى نفساً فكأنمّا أحيى الناس أجمعين " [2].

وقد دلّت هذه الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم ونظام الوجود، ومن هنا كان الناس فيه شرع سواء كالكلاء والنار، فلا يختصّ اللطف منه جلّ وعلا بطائفة دون طائفة.

وقد كشف الإمام الصادق (عليه السلام) السرّ في جواب من قال له: ما طعم الماء؟ فقال (عليه السلام): " طعم الحياة " [3].

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهّرة، تلك أهميتها عند الحقيقة، ومكانتها من النفوس، ولهذه الأهمية ضرب المثل " بكعب بن مامة الأيادي " [4].

وأضحت السقاية العامة لا يتوء بعبئها إلاّ من حلّ وسطا ً من السؤدد والشرف وأعالي الأممُ لاساقتها، ولذا أذعنت قريش لقصي بسقاية الحاج، فكان يطرح الزبيب في الماء ويسقيهم الماء المُحلّى كما كان يسقيهم اللبن [5].

(1) الأمالي للشيخ الطوسي: 310، الكافي للكليني 4: 57، ح3، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق 2: 64.

(2) المعجم الكبير للطواني 12: 82 ، مجمع الزوائد للهيثمي 3: 132.

(3) الكافي 6: 381، ح7، مناقب آل أبي طالب 2: 203.

(4) الأعلام للزركلي 5: 229 ، معجم البلدان للحموي 3: 266.

(5) السيرة الحلبية 1: 21.

وكان ينقل الماء إلى مكة من آبار خارجها، ثُمّ حفر بئرا ً اسمها (العجول) في الموضع الذي كانت دار أم ُهاني فيه، وهي أوّل سقاية حفرت بمكة، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا:

نروي على العجول ثُمّ ننطَلق إنّ قصياً قد وفى وقد صدق [1]

ثُمّ حفر قصي بئرا ًسماها (سجلة) وقال فيها [2]:

أنا قُصيّ وحفَرت سُجلِة تروي الحجيج زغلة وُغلة

وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضاً من آدم في موضع زمزم لسقاية الحاج ويحمل الماء إلى منى لسقايتهم، وهو يومئذ قليل [3].

ثُمّ إنهّ حفر بئرا سًماها (البندر) [4] وقال: " إنّها بلاغ للناس فلا يمنع منها أحدا ً" [5].

وأمّا عبد المطلب فقد قام بما كان آبؤه يفعلونه من سقاية الحاج، وزاد على ذلك أنهّ لماّ حفر زمزم وكثر ماؤها أباحها للناس، فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة، لمكانها من المسجد الحرام، وفضلها على من سواها لأنها بئر إسماعيل [6]، وبنى عليها

(1) معجم البلدان 4: 88، فتوح البلدان للبلاذري 1: 56، سبل الهدى والرشاد 1: 275.

(2) معجم ما استعجم للأندلسي 3: 724.

(3) السيرة الحلبية 1: 22.

(4) معجم البلدان 1: 361 ، تاج العروس 6: 68 وقال: " قالوا: هو من التبذير وهو التفريق، فلعل ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد.. ".

(5) في معجم البلدان 1: 361 ، ومعجم ما استعجم 1: 235 : " وقال حين حفرها: انبطت بئراً بماء قلاس جعلت ماءها بلاغاً للناس.

(6) تاريخ الطبري 2: 12 ، تاريخ ابن الأثير 2: 12 ، سيرة ابن إسحاق: 5 ، السيرة الحلبية 1: 51.

حوضاً، فكان هو وابنه الحرث يزعان الماء ويملأن الحوض، فحسدته قريش على ذلك، وعمدوا إلى الحوض بالليل فكسروه، فكان عبد المطلب يصلحه بالنهار وهم يكسرونه بالليل، فلمّا أكثروا عليه إفساده دعا عبد المطلب ربهّ سبحانه وتعالى، فرأى في المنام قائلاً يقول: " قل لقريش إنّي لا أحلهّا لمغتسل، وهي لشارب حل وّبل "، فنادى في المسجد بما رأى، فلم يفسد أحد من قريش حوضه إلاّ رمي بداء بجسده حتىّ تركوا حوضه وسقايته [1]، وفي ذلك يقول خويلد بن أسد [2]:

أقولُ وما قولَي عليهَم بسُبة إليكَ ابنُ سلمَىّ أنت حَافرَ زمزُم

حَفوةُ إبراهيم يَومَ ابنَ هاجِرَ وَركضَةَ جَبريل عِلى عَهد آدم

ولمّا وافق قريشاً على المحاكمة عند كاهنة بني سعد بن هذيم، وكان بمشارف الشام، وسار عبد المطلب بمن معه من قومه، حيث إذا كانوا بمفازة لا ماء فيها ونفد مؤهم استسقوا ممّن كان معهم من قريش، فأبوا أن يسقوهم، حفظاً على الماء، فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبراً لهم ويدفن من يموت منهم عطشاً في حفرته ويبقى واحد، فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة، وبعد أن فرغوا من الحفر قال عبد المطلب: " إنّ هذا منّا لعجز، لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء، فركب راحلته،

(1) المصنّف للصنعاني 5: 114، تاريخ اليعقوبي 1: 247، تاريخ ابن خلدون 2: 338، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 216، السيرة النبوية لابن كثير 1: 173، السيرة الحلبية 1: 57.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 217 ، معجم البلدان للحموي 3: 149 ، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي 1: 191.

فلمّا انبعث نبع من تحت خفها ماء عذب، فكبّر عبد المطلب، وشرب أصحابه وملؤوا أسقيتهم، ودعا قريشا أن يستقوا من الماء، فأكثروا منه، ثُمّ قالوا: إنّ الله قد قضى لك علينا ولا نخاصمك في زمزم، إن الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع راشداً.

وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء أن طرح الزبيب فيه، وكان يحلب الإبل، فيضع اللبن مع العسل في حوض من ادم عند زمزم، لسقاية الحاج "[1].

ثُمّ قام أبو طالب مقامه بسقي الحاج[2]، وكان يجعل عند رأس كُلِّ جادة حوضا فيه الماء ليستقي منه الحاج، وأكثر من حمل الماء أيام الموسم، ووقّره في المشاعر فقيل له: (ساقي الحجيج).

أمّا أمير المؤمنين فقد حوى أكثر ممّا حواه والده الكريم من هذه المكرمة، وكم له من موارد للسقاية لا يستطيع أحد على مثلها، وذلك يوم بدر، وقد أجهد المسلمين العطش، وأحجموا عن امتثال أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في طلب الماء، فرقاً من قريش، لكن نهضت بأبي الريحانتين غيرته الشماء، وثار به كرمه المتدفق، فلبّى دعاء الرسول، وانحدر نحو القليب، وجاء بالماء حتّى أروى المسلمين[3].

(1) السيرة الحلبية 1 : 55 ، السيرة النبوية لابن هشام 1 : 94 ، السيرة النبوية لابن كثير 1 : 169 ، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي 1: 189، الكامل في التاريخ 2: 13، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15: 229.

(2) السيرة الحلبية 3: 52.

(3) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب 2: 80.

ولا ينسى يوم صفين وقد شاهد من عدوه ما تندى منه جبهة كُلِّ غيور، فإنّ معاوية لما نزل بجيشه على الفرات منع أهل العراق من الماء، حتّى كضهم الضمأ، فأنفذ إليه أمير المؤمنين صعصعة بن صوحان وشبث بن ربعي، يسألانه أن لا يمنع الماء الذي أباحه اللّه تعالى لجميع المخلوقات، وكلُّهم فيه شرع سواء، فأبى معاوية إلا التّردي في الغواية والجهل، فعندها قال أمير المؤمنين: " اروا السيوف من الدماء تروا من الماء "[1]، ثُمّ أمر أصحابه أن يحملوا على أهل الشام حملة واحدة، فحمل الأشتر والأشعث في سبعة عشر ألفاً والأشتر يقول:

مِيعادنُا اَليومَ بياضَ الصُبح ُ ْ ِ هَل يَصلحُ اُلزادَ بغُير مَلح؟ ِ

والأشعث يقول:

لأوِردنّ خيلي الفراتُ َ شِعثَ النواصي أو يقالُ َماتَا َ

فلمّا أجلوهم أهل العراق عن الفرات وتولوا عليه وملكوه، أبى صاحب النفسية المقدّسة التي لا تعدوها أي مأثرة، أن يسير على نهج عدوه، حتّى أباح الماء لأعدائه، ونادى بذلك في أصحابه[2]، ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة الحرب من التضييق على العدوّ بأيّ صورة.

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة، متبوّئين على منصّات المجد والخطر، متكئين على أرائك العزّ

(1) مناقب آل أبي طالب 2: 351.

(2) المعيار والموازنة للاسكافي: 146 ، الفتوح لابن أعثم الكوفي 3: 5.

والمنعة، وما كانت تدعهم دماثة أخلاقهم، وطهارة أعراقهم، أن يكونوا أخلوا من هذه المكرمة، وقد افتخر بذلك عبد مناف على غيرهم.

وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكُلِّ منها، فإنّ الصراحة لا تدعك إلا أنّ تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية الفضيلة.

كما لا تجد منتدحاً عن تفضيل الحسين على غيره يوم سقى الحر وأصحابه في " شراف "[1]، وهو عالم بحراجة الموقف، ونفاذ الماء بسقي كتيبة فيها ألف رجل مع خيولهم، ووخامة المستقبل، وإنّ الماء غداً دونه تسيل النفوس، وتشق المرائر، لكن

العنصر النوّي، والأصوة العلوية لم يتركا صاحبهما إلاّ أن يحوز الفضل.

وأني أحسب أنّ ما ناء به أبو الفضل (عليه السلام) في أمر السقاية لا يوازنه شيء من ذلك، يوم ناطح جبالاً من الحديد ببأسه الشديد، حتّى اخترق الصفوف، وزعزع هاتيك الألوف، وليس له همّ في ذلك المأزق الحرج إلا إغاثة شخصية الرسالة، المنتشرة في تلك الأمثال القدّسية من الذرية الطيبّة، ولم تقنعه هذه الفضيلة حتىّ أبت نفسيته الكريمة أن يلتذ بشيء من الماء قبل أن يلتذّ به أخوه الإمام وصبيته الأزكياء.

(1) موضع، وقيل: ماء لبني أسد. راجع لسان العرب 9: 174، ويذكر المؤرّخون ـ كالطبري 4: 302، وابن الأثير في الكامل 4: 46 وغيرها ـ أنّه التقى مع جيش الحرّ بعد الخروج من (شراف).

هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين، وحنانه المرتبط بالكرم إلى أن ينكفىء إلى المخيّم ولا يحمل إلاّ زوادة من ماء، يدافع عنها بصارم الذكر، ويزينه المثقف ولواء الحمد يرفّ على رأسه، غير أنّ ما يحمله هو أنفس عنده من نفسه الكريمة، بلحاظ ما يريده من المحافظة على تلك الزوادة الملأى.

وراقه أن تكون هي الذخوة الثمينة، مشفوعة بما هو أعظم عند اللّه تعالى، فسمح بيمينه وشماله . وكلتاهما يمن . أن تقطعا بعين اللّه، في كلاءة ما يتهالك دونه، لينال الأُمنيةّ قبل المنية، وما خرت عزيمة العباسّ (عليه السلام) إلا حيّن أحب أنّ لو كانت الراقة نفسه لا القربة. فيا أبعد اللّه سهماً أسال ماءها، ولم يكن " سعد العشيرة " طالبا لًلحياة بعده لو لم يأته العمود الطائش، ألا لعنة اللّه على الظالمين.

ومن أجل مجيئه بالماء إلى عيال أخيه وصحبه في الأيام العشيرة سُمّي " السقا "، نصّ عليه أبو الحسن في المجدي، والداودي في عمّدة الثالب، وابن إدريس في مزار السرائر، وأبو الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس ج2 ص317، والنووي في نهاية الأرب ج2 ص341 ،والشبلنجي في نور الأبصار ص93 ،والعلاّمة الحجة محمّد باقر القايني في الكبريت الأحمر ج2 ص34 [1].

(1) عمدة الطالب لابن عنبة: 356، مقاتل الطالبيين: 55، الأنوار العلوية للنقدي: 441، السرائر 1: 656.

ولصاحب هذا اللقب فيوضات على الأُمة لا تحد، وبركات لا تحصر:

هو البَحرُ من أي النواحَي أتيته ... فلجتهُ المعرَوفُ والجود ساحِلهَ

ومن ذلك ما ذكره العلاّمة السند السيّد محمدّ بن آية اللهّ السيد مّهدي القزويني (قدس سره) في كتاب " طروس الإنشاء " قال:

" في سنة 1306 هـ انقطع نهر الحسينية، وعاد أهل كربلاء يقاسون شحّة الماء، وكضّة الظمأ، فأمرت الحكومة العثمانية بحفر نهر في أراضي السيّد النقيب السيّد سلمان، فمنع النقيب ذلك، واتفق أن زرت كربلاء، فطلب أهلها أن أكتب إلى النقيب، فكتبت إليه ما يشجيه، وعلى حالهم يبكيه:

في كَربلا لكَ عصُبة تُشكَوا الظَمَا ... مِن فيَضِ كفكَ تَستَمد رواءُهَا

وأراكَ يا ساقي عطاشَى كربلاَ ... وأبوُكَ ساقي الحوضَ تَمنعَ مَاءَهَا (1)

فأجاز النقيب حفر النهر، وانتفع أهل كربلاء ببركة هذا اللقب الشريف (السقا).

(1) نقل جزء من القصة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة 10: 72.

نشأته

ممّا لا شكّ فيه أنّ لنفسيات الآباء ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانحطاط والضعة دخلا تامّا في نشأة الأولاد وتربيتهم، إنّ لم نقل إنّ مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيّف نفسيات الناشئة، بكيفيات فاضلة أو رذيلة، فلا يكاد يرتأي صاحب أي خطة إلاّ أن يكون خلفه على خطته، ولا أن الخلف يتحرّى غير ما وجد عليه سلفه، ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والثاني في العادات والأهواء والمعارف والعلوم، اللهمّ إلاّ أن يوجد هناك تطورّ يكبح ذلك الاقتضاء.

وعلى هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل (عليه السلام) من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوئه في البيت العلوي، منبثق أنوار العلم، ومحط أسرار اللاهوت، ومختبأ نواميس الغيب، فهو بيّت العلم والعمل، بيت الجهاد والورع، بيت المعرفة والإيمان:

بَيّتُ علاَ سَمكَ الضُواحِ رفعةً ... فَكانَ أعلا شَوفاَ وأمنعا

أوَهُ اللهّ فما تهبطَ فِيُ ... كَعبتَه الأملاك إلا خَضعَا

بَيّتُ من القدسّ وناهيك بِه ... مَحطُ أسرارِ الهدىُ

ومَوضِعاَ

وكَان مأوى المُرتجَي

فَما أعزّ شأنَه وأرفعا[1]

والمُلتجَى

(1) من قصيدة للعلاّمة السيّد محمّد حسين الكيشوان (رحمه الله).

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد، وببيانه تقشّعت غيوم الشبهّ والأوهام.

إذن، فطبع الحال يدلّنا على أنّ سيدّ الأوصياء لم يبغ بِابنه بدلا فيً حسن التربية الإلهية،ولا أن شّطية الخلافة يروقه غير اقتصاص أثر أبيه الأقدّس، فلك هاهنا أن تحدّث عن بقيةّ أمير المؤمنين في أي نّاحية من نواحي الفضيلة،ولا حرج.

لم تكن كُلٌّ البصائر في أبي الفضل (عليه السلام) اكتسابية، بل كان مجتبلاً مّن طينة القداسّة التي مزيجها النور الإلهي، حتّى تكونت في صلّبّ من هو مثال الحق،ّذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما ازداد يقينا، فَلم يصل أبو الفضل (عليه السلام) إلى عالم الوجود إلاّ وهو معدن الذكاء والفطنة، وأذُن واعية للمعارف الإلهية، ومادة قابلة لصور الفضائل كلُهاّ، فاحتضنه حجر العلم والعمل، حجر اليقين والإيمان، وعادت أرومته الطيّبة هيكلاً للتوحيد، يغذيّه أبوه بالمعرفة، فتشرق عليه أنوار الملكوت، وأسوار اللاهوت، وتهب عليه نسمات الغيب، فيستنشق منها الحقائق.

دعاه أبوه (عليه السلام) في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له:

" قل واحد! فقال: واحد، فقال له: قل إثنين! قال: استحي أن أقول إثنين باللسان قلت واحداً إثنان "[1].

وإذا أمعنّا النظر في هذه الكلمة .وهو على عهد نعومة من أظفاره في حين أنّ نظراءه في ألسن لا يبلغون إلى ما هو دون ذلك الشأو البعيد . فلا نجد بدأ من البخوع بأنّها من أشعة تلك

(1) مستدرك الوسائل 15: 215، مقتل الحسين للخوارزمي 1: 179.

الإشراقات الإلهية، فما ظنّك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفيّاضة من أبيه سيدّ الوصيين، وأخويه الإمامين سيدّي شباب أهل الجنّة، فلا يقتني من خزائن معارفهم إلاّ كلُ دّر ثُمّين، وحي لامع.

وغير خفيّ ما أراده سيدّنا العباّس، فإنه أشار إلى أن الوحدانية لا تليق إلا بفاّطر السموات والأرضين، ويجل مثلّه المتنوع من روح الإمامة أن يجري على لسانه الناطق بالوحدانية لباري الأشياء صفة تنزّه عنها سبحانه وتعالى وعنها ينطق كتابه المجيد: **{ لَوْ كانَ فيهِما آلِهة إلا اللّه لفَسدتا }**[1].

وممّازاد في سرور أبيه أمير المؤمنين أنّ زينب العقيلة كانت حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لأبيها أتحبنّا؟ قال: بلى،

فقالت: لا يجتمع حبّان في قلب مؤمن: حبّ اللهّ، وحب الأولاد، وان كان ولا بد فالحب للهّ تعالى والشفقة للأولاد، فأعجبه كلامها وزاد في حُبّه وعطفه عليهما[2].

أمّا العلم ; فهو رضيع لبانه، وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرّج منها مثل أبي الفضل (عليه السلام)! وما ظنكّ بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد، وذلك الأُستاذ الذي هو عيبّة العلم الإلهي، وعلبة أسوار النبوة، وهو المقيضّ لنشر المعارف الربوبية، وتعلم الأخلاق الفاضلة، ونشر أحكام الإسلاّم، ودحض الأوهام والوساوس.

---

(1) الأنبياء: 22.

(2) مقتل الحسين للخوارزمي 1: 179 ; باختلاف الألفاظ، وفي مستدرك الوسائل 15: 215 قال: "وقيل: بل القائل الحسين (عليه السلام) ".

وإذا كان الإمام (عليه السلام) يُربّي البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة المأثورة، حتىّ استفادوا منه آسار التكوين، ووقفوا على غامض ما في النشأتين، وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا، كحبيب بن مظاهر، وميثم التمّار، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، وأمثالهم ; فهل من المعقول أن يذر قرّة عينهّ، وفلذة كبده خلوا ًمن أي علم؟!

أو أن قابلية المحلّ تربى بأولئك الأفراد دون سيدّنا العباسّ (عليه السلام)؟

لا واللّه، ما كان سيدّ الأوصياء يضنّ بشيء من علومه، لا سيماّ على قطعة فؤاده، ولا أن غيره ممن انضوى إلى أبيه علم الهداية يشقّ له غبارا ًفي القابلية والاستعداد.

فهنالك التقى مبدأ فيّاض، ومحلّ قابل للإفاضة، وقد ارتفعت عامة الموانع، فذلك برهان على أن " عباس اليقين " من أوعية العلم، ومن الراسخّين فيه.

ثُمّ هلم معي إلى جامعتين للعلوم الإلهية، ملازمتين للجامعة الأولُى في نشر المعارف، وتقيضهما لإفاضة التعاليم الحقة لكل تلميذ، والرقي به إلى أوج العظمة في العلم والعمل، ألا وهما " كليّتا " السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام). وانظر إلى ملازمته لأخويه بعد أبيه سيّد الأوصياء، ملازمة الظلّ لديه، فهناك يتجلىّ لك أن سّماء علمهما لم تهطل وبالا إلاّ وعاّد لؤلؤا رطباً في نفسه، ولا أنفقا شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلاّ واتخذه ثروة علميةّ لا تنفد.

أضف إلى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي، زينب الكبرى، وهي العالمة غير المعلّمة بنصّ الإمام زين العابدين[1].

وبعد هذا كُلّه، فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس، والجبلةّ الطيبة، والعنصر الزاكي، والإخلاص في العمل، والدؤوب على العبادة ; ما يفتح له أبواباً من العلم، ويوقفه على كنوز المعرفة، فيتوّع من كلُ أصل فرع، وتنحل عنّده المشكلات.

وإذا كان الحديث ينصّ على أنّ منَ أخلص للهّ أربعين صباحا انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، إذن فما ظنكَ بمن

أخلص للّه سبحانه طيلة عمره، وهو متخلّ عن كلّ رذيلة، ومتحل بكلّ فضيلة، فهل يبقى إلا أن تكون ذاته المقدسة متجلية بأنوار العلوم والفضائل، وإلاّ أن يكون علمه تحققاً لا تعلقاً؟!

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً، وإن وقع في الوهنة وتنسيق القياس، ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين (عليهم السلام): " إنّ العباس بن علي رزق العلم رزقا "[2].

وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة، فإنّ الزقّ يستعمل في تغذية الطائر فوخه حين لم يقوِ على الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام (عليه السلام) وهو العارف بأساليب الكلام. هذه اللفظة هنا، نعرف أنّ أبا الفضل (عليه السلام) كان محلّ القابلية لتلقي العلوم والمعارف، منذ كان طفلاً ورضيعاً، كما هو كذلك بلا ريب.

(1) الاحتجاج للطبرسي 2: 31.

(2) أسرار الشهادة: 324.

فلم يكن أبو الفضل بِدْعاً مِن أهل هذا البيت الطاهرّ الذي حوى العلم المتدفق منذ الصغر، كما شهد بذلك أعداؤهم، ففي الحديث عن الصادق (عليه السلام):

أنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد، فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني، قال عثمان: دونك الفتية الذين تراهم، وأومأ بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد اللّه بن جعفر، فمضى الرجل نحوهم وسألهم، فقال له الحسن: يا هذا، المسألة لا تحلّ إلاّ في ثلاث: دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع، أيتها تسأل؟ فقال: في واحدة من هذه الثلاث، فأمر له الحسن بخمسين ديناراً، والحسين بتسعة وأربعين ديناراً، وعبد اللهّ بن جعفر بثمانية وأربعين، فانصرف الرجل ومرّ بعثمان، فحكى له القصّة وما أعطوه، فقال له: ومنَ لك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك قطعوا العلم قطعاً، وحازوا الخير والحكمة.

قال الصدوق بعد الخبر: " معنى (قطعوا العلم): أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم "[1].

وجاء في الأثر: أنّ يزيد بن معاوية قال في حقّ السجاد: " إنهّ من أهل بيت رزقوا العلم رزقاً ".

ومن أجل ذلك قال العلاّمة المحقّق الفقيه المولى محمدّ باقر ابن المولى محمدّ حسن ابن المولى أسد الله آبن الحاج عبد الله ابن

(1) الخصال: 135 باختلاف في بعض الألفاظ.

الحاج علي محمّد القائني، نزيل وجند، في كتاب الكبريت الأحمر ج3 ص45 : " إنّ العباس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت، بل إنّه عالم غير متعلّم، وليس في ذلك منافاة، لتعليم أبيه (عليه السلام) إياه ".

وكان هذا الشيخ الجليل ثبتاً في النقل، منقبّا في الحديث، يشهد بذلك كتبه، تتلمذ (رحمه الله) في العراق على الفاضل الإيرواني، وميرزا حبيب اللّه الرشتي، والسيدّ الشيرازي، وفي خراسان على السيدّ مرتضى القائني، والعلامةّ محمد تقي البجنوردي، وكان له أربعة وثلاثون مؤلفاً.

ومن مستطرف الأحاديث ما حدّثني به الشيخ العلاّمة ميرزا محمدّ علي الأردُبادي، عن حجة الإسلام السّيد ميّرزا عبد الهادي آل سيّد الأُمة الميرزا الشيرازي (قدس سره)، عن العالم البارع السيدّ ميرزا عبد الحميد البجنوردي، أنه شاهد في كربلاء المشرّفة رجلاً من الأفاضل قد اغترّ بعلمه، وبلغ من غلوائه في ذلك أنه كان في منتدى من أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل، وما حمله من المعارف، الإلهية التي امتاز بها على سائر الشهداء، فصار الرجل بأفضليته على العبّاس! واستغرب من حضر هذه الجرأة، وانكروا عليه، ولاموه على هذه الباورة، فطفق الرجل يبرهن على تهيئته بتعداد مآثره وعلومه، وما ينوء به من تهجّد وتنفل وزهادة، وقال: إن كان أبو الفضل العباّس يفضل بأمثال هذه فعنده مثلها، والشهادة يوم الطف لا تقابل ما تحمله من العلوم الدينية وأُصولها ونواميسها.

فقام الجماعة من المجلس والرجل على ذلك الغرور والغلواء، غير نادم ولا متهيب.

ولمّا أصبحوا لم يكن لهم همّ إلا معرفة خبر الرجل، وأنه هل بقي على غيه أو أن الهّداية الإلهية شملته؟ فقصدوا داره وطرقوا الباب، فقيل لهم: إنّ الرجل في حرم العباّس، فتوجهّوا إليه ليستبروا خبره، فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدّس بحبل شدّ طرفه بعنقه والآخر بالضريح، وهو تائب نادم مما فرط.

فسألوه عن شأنه وخبره؟ فقال: لمّا نمت البارحة، وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه، رأيت نفسي في مجتمع من أهل الفضل، وإذا رجل دخل النادي وهو يقول: إنّ أبا الفضل قادم عليكم، فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً حتىّ دخل (عليه السلام) والنور الإلهي يسطع من أسارير جبهته، والجمال العلوي يزهو في محيّاه، فاستقرّ على كرسي في صدر النادي، والحضور كُلّهم خاضعون لجلالته، وخصتني من بينهم رهبة عظيمة، وفوق مقلق، لما أتذكرّه من تفريطي في جنبّ ولي الله، فطفق (عليه السلام) يحيّي أهل النادي واحداً واحداً حتىّ وصلت النوبة إلي.

ثُمّ قال لي: ماذا تقول أنت؟ فكاد أن يرتجّ علي القول، ثم راُجعت نفسي وقلت: في المصارحة منتدحا عنً الارتباك وفوزاً بالحقيقة، فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالأمس من الوهنة.

فقال (عليه السلام): أمّا أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخوي الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وأنا على يقين من ديني بما تلقّيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الإسلاّم، وأنت شاك في دينك، شاك في إمامك، أليس الأمر هكذا؟ فلم يسعني إنكار ما يقوله.

ثُمّ قال (عليه السلام): وأما شيخك الذي قرأت عليه، وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً، وما عسى أن يكون عندك من أصُول

وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام، يعمل بها إذا أعوزه الوصول إلى الواقع، وإنّي غير محتاج إليها، لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي الإلهي.

ثُمّ قال (عليه السلام): وفي نفسيات كريمة، وأخذ يعددها: من كرم، وصبر، ومواساة، وجهاد إلى غيرها، ولو قسمت على جميعكم لما أمكنك حمل شيء منها.

على أنّ فيك ملكات رذيلة من حسد، وهواء، ورياء، ثُمّ ضرب بيده الشريفة على فم الرجل، فانتبه واعياً نادماً، معترفاً بالتقصير، ولم يجد منتدحاً إلاّ بالتوسل به، والإنابة إليه، صلوات الله عليه وعلى آبائه.

اليقين

لقد كان أبو الفضل (عليه السلام) أحد الأفذاذ العلويين الذين لم تكن المفاخر مزايازائدة على ذاتيّاتهم وإن مدحوا بآثارها ; لأنهم زبد المخض، حازوا شرف النبوّة، وفضيلة الخلافة، تتنضد بهم حمل العلم، وتعتدل موازين العمل، وتتونّح بهم صهوات المنابر.

فكان سلام اللّه عليه متربّعاً على منصة المجد، وملءِ ألنذي هيبة، وملء العْيوُن بهجة، وملء المِسْامُع ذكره الجميل، وملء القلوب محبة، وحشو اهابه علم وعمل، وحشو الودى سؤدد وشرف.

وإن الإحاطة بما حواه من اليقين الثابت والبصوة النافذة بأحد طريقين!

الأوّل: سبر أحواله، ومواقع إقدامه وإحجامه، ومواضع بطشه وإناته، ومواردصفحه وانتقامه. ولا بدّ أن يكون المنقبّ عند ذلك ممزاً بين مواج الرأي ومساقط الخطل، بصواً بمواقي الحلم ومهاوي البطش.

والثاني: إخبار مَن وقف على ذلك، بمباشرة وافية، وعلم متسع، تم شكله وظهر إنتاجه، أو تعليم إلهي، أو أخذ عمّن له صلة بذلك التعليم.

وغير خفي أنّ قمر بني هاشم ملتقى ذينك الطرفين، في البصوة واليقين، في دينه وعقله، في معارفه وأخلاقه، في حلّه

وارتحاله، وكان ينظر إلى جملة الأحوال بين البصوة التي تخرق الحجب وتبصر ما وراءها من أسوار وخبايا، لا بناظر البصر الذي تحجبه الحواجز، وتمنعه السدول، فيرد عن الإدراك خاسئاً، فلا يكون أمر تهالك دونه إلاّ بعلم ثابت، ويقين راسخ، وإيمان لا يشوبه شك، فإنّه:

سِرّ أبيه وهوَ سُر البّاريَ ... مَليك عُرش عالمَ الأسوار

وإرثُ منَ حازَ مَواريَث الرسَل ... أبَوُ العقوُلُ والنفوسَ والمثل

وكَيفَ لا وذاته القدسيُةّ ... مَجموُعة الفضَائل النفسية

لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة، منذ عهد أبيه وأخيه السبط المجتبى، بالتجارب الصحيحة، وإنّهم تجمعهم الأماني، وتفرّقهم الوضائخ، ويشاهد الأمويين وقوة سلطانهم، وتوغلّهم في إراقة الدماء، وبطشهم في الناس، وطيشهم في الأُمور، ورأى ضعف جانب (أبي الضيم (عليه السلام))، وقلّة أنصاره، وطبع الحال يحدو مثله إلى التحيزّ إلى فئة أخرى،

والأقل من التقاعد عن أيّ الفريقين، وما كان مثله لو سالم الأمويين بعدم ولاية أو قيادة لجيوشهم، أو عيشة راضية يقضي بها أيامه.

لكنّ " عباس اليقين " لم يكن له طمع في شيء من حطام الدنيا، فلم يرقه إلاّ الالتحاق بأخيه سيدّ الشهداء، موطنا نفسه الكريمة لأي كارثة أو شدّة مؤلمة.

هذا والتكهّن بمصير أمر الحسين (عليه السلام) في مسراه نصب عينه، والمغيّبات المأثورة عن رسول اللهّ وأمير المؤمنين والمسموعات من أخويه الإمامين مِلْءُ أذنُه، فلم يبرح مع " أخيه الشهيد " يفترعربوة ويسف إلى واد، لا يرى في هاتيك الثنايا والعقبات إلاّ تصديقاً

لما عرفه، ويقيناً بمنتهى أمره وغايته، حتّى بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل، فعرف القوم انثيال الكوفيين عن الحقّ ورضوخهم إلى حكم الطاغية، هنالك خارت العزائم، وأخفقت الظنون، وطفق أهل المطامع والشره يتوّقون عن السبط المقدّس، يميناً وشمالاً[1]، إلاّ من حداهم إلى المسير حقّ اليقين، وفي الطليعة منهم سيدّنا العباسّ، فإنه لم يزدد إلا بصّيرة في النهضه الكريمة، وسروراً بأزوف الغاية المتوخّاة.

فسار به وبهم " شهيد العظمة "، وهو لايشاهد، كما أنّهم لايرون كُلّما قربوا من الكوفة إلا تدّبر الناس وتألبهم عليهم، وتتوارد عليهم الأنباء بما هو أشدّ، لكن لم يثن ذلك من عزائمهم شيئاًولا يكدي أملاً، بل كانوا يخففوّن الخطا، ويسرعون السير، لينتهوا إلى معانقة الرماح، ومصافحة الصفاح، أكثر ممّا يسرع الصب إلى الخود الرداح، ومرشدهم إلى ذلك بعد إمام الهدى (أبو الفضل).

رَكبُ حجازيونِ بُينَ رَحالهمِ ... تَسري المنايَا انجدوا أوُ اتهَموُا

يَحدوُن َفي هوجَ التلاوةِ ... والكُلِّ في تسبَيحَهِ يتوزنِم

عَيسهمِ

(1) اللهوف في قتلى الطفوف: 45.

الأصحاب

هبط موكب العظمة عواص الغاضويات،وهو يضمّ الفتية من آل عبد المطلب،والأبُاة الصفوة من الأصحاب، فكانوا فوحين بما أتاهم المولى من فضله،واختصّهم به من المنحة الكوى، حيثُ جعل أثر ميتتهم حياة للدين ومدحوة للأضاليل، فكانوارضوان اللّه عليهم بما أودع اللّه تعالى فيهم من النيات الصادقة لايهابون في سبيل السير إليه تعالى عقبة كأداء، أو نبأً موحشاً ; من تخاذل القوم، وتدابر النفوس، وتضاءل القوى، لما عوفوه من أنّها موهبة لا يحظى بها إلا آلأمثل فالأ مثل، فقابلوا الأخطار بجأش طامن، وجنّان ثابت، لا توجوه أيّ هائلة، وكلُماّ اشتد المأزق الحوج أعقب فيهم انشواحا وانبساطا، بينً ابتسامة ومداعبة، ومن فوح إلى نشاط.

وَمذْ أخذْتَ فيِ نيوىَ مَنهم ِالقوُى ولاَحَ بهِا للغدرَ بعِضَ العُلائمَ

غَدا ضاَحكِا َهذًا وَذَا متبَسمًا سُرورًا وًما َثغرَ المنونَ بُباسِم[1]

(1) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلّي، وقيل: للتميمي. راجع أعيان الشيعة 7: 371.

هلُل بريربن خضير عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: " ما هذه ساعة باطل! فقال بريربن: واللّه لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل شاباًولا كهلاً،ولكنيّ لمستبشر بما نحن لاقون،والله مّا بيننا وبين الحور العين إلا أنّ يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددت أنّهم مالوا علينا الساعة "[1].

وخوج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحصين: " ما هذه ساعة ضحك! قال حبيب: وأيّ موضع أحقّ بالسرور من هذا؟! ما هو إلاّ أن يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور "[2].

وناهيك بعباس بن أبي شبيب الشاكري حينما برز إلى الحرب، وقد أحجم القوم عنه ; لأنّهم عوفوه بالإقدام والبسالة، فلماّ رأى أنّه لم يبارزه أحد ألقى ما عليه من درعولامة، فاغتنمها القوم فرصة، ومع ذلك لم يبرز إليه أحد، يكنّهم رموه بالسهام والحجارة، وأنّه ليطرد أكثر من مائتين، فوحاً مبتهجا بًما يلاقيه من حبور ونعيم.

وإنّي لأعجب من الرواة حملة التاريخ إذا توسّعوا في النقل وقذفوا أولُئك الأباةُ الصفوة، والغلب المصاليت، بما تندى منه وجه الإنسانية، ويأباه الوجدان الصادق، فقيل: " كان القوم بحالة ترتعد فرائصهم، وتتغيّر ألوانهم، كلُماًّ اشتد آلحال، وضاق المجال، إلاّ الحسين فإنّ أسرةوجهه تشرق كالبدر المنير "[3].

(1) تاريخ الطبري 4: 321، الكامل في التاريخ 4: 60، مثير الأحزان لابن نما: 39.

(2) رجال الكشّي 1: 293، تفسير جوامع الجامع 1: 130.

(3) تاريخ الطوي 4: 310.

وذلك بعد أن أعوزتهم الوقعة في شهيد الإباء، فلم يجدوا للغمز فيه نصيباً، فمالوا على أصحابه وأهل بيته الذين قال فيهم الإمام (عليه السلام): " إنّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وّأوفى من أهل بيتي "[1]، " وقد استلمتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني، استيناس الطفل إلى محالب أمُه "[2].

وليس ذلك إلاّ من الداء الدفين بين أضالع قوم دافوا السمّ في الدسّم، إلى سذج آخرين حسبوه حقيقة راهنة، فشوهوّا وجه التاريخ، غير أنّ البصير الناقد لا تخفى عليه نفسية القوم، ولا ما جاؤوا به.

وأعجب من ذلك قول محفر لزبيد: " إنّا أحطنا بهم، وهم يلوذون عنّا بالآكام والحفر، لواذ الحمام من الصقر "[3].

بفيك الكثك أيّها القائل، كأنّك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب، فترى ما للقوم من بسالة وإقدام ومفادات دون الدين الحنيف، حتّى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفيّن وما شاكلها من حروب دامية، ووقائع هائلة، وحتىّ أخذت أندية الكوفة لا تتحدّث إلاّ عن شجاعتهم.

أجل، إنّ تلك الأهوال أدهشتك، فلم تدرِ ما تقول، أو إنّ الشقة بعدت عليك فنسيت ما كان، ولكن هل غاب عن سمعك

(1) تاريخ الطبري 4: 317.

(2) الدمعة الساكبة: 325.

(3) تاريخ الطوي 4:351، تاريخ مدينة دمشق 18: 445، الكامل في التاريخ 4: 83، الوافي بالوفيات 14: 127، البداية والنهاية 8: 208 الفتوح لابن أعثم 5: 127.

صواخ الأيامى، وعويل الأيتام في دور الكوفة، حتّى طبق رجاءها من جراء ما أوقعه أُولئك الصفوة بأعداء اللهّ ورسوله، بسيوفهم الماضيّة. والعذر لك أنّك أدركت ساعة العافية، فطفقت تشوهّ مقامهم المشكور، طلبا لمرضاة (يزيد الخمور).

ولقد صوّح عن صدق نيّاتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم الألدّ عمرو بن الحجاّج محرضّا قومَه: " أتدرون من تقاتلون؟! تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، تقاتلون قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلاّ قتلوه، على قلتهم، واللهّ لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم، فقال عمر بن سعد: قد صدقت الرأي، ما رأيت أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم "[1]، " ولو خرجتم إليهم وحداناً لاتوا عليكم "[2].

وقيل لرجل شهد يوم الطفّ مع عمر بن سعد: " ويحك أقتلتم ذرية رسول اللهّ؟

فقال: عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأُسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين حياضّ المنيّة، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا قاعلين لا أم لك؟ "[3].

(1) تاريخ الطبري 4: 331، الكامل في التاريخ 4: 67.

(2) بحار الأنوار 45: 19.

(3) شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 3: 363.

وأيّ فرد منهم أقلقه الحال حتّى ارتعدت فرائصه؟! أهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً:

إقدِم هُديت هَاديَا مِهدِّياً ... فَاليوم تَلقَى جدكَ النَبيا!

أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين وهو في آخر رمق من الحياة، فكأنّه لم يقنعه عن المفادات كُلّ ما لاقاه من جهد وبلاء؟!

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمّه في سبيل السير إلى ربّه سبحانه، كلُ مّا هناك من فوادح وآلام إلا الصّلاة التي دنا وقتها، فقال للحسين: " نفسي لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا واللّه لا تقتُل حتىّ أقتلُ دونك، وأحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها، فقال الحسين: " ذكرت الصلاة جعلك اللّه من المصلينّ الذاكرين "[1]؟!

أم سعيد الحنفي الذي تقدّم أمام الحسين وقت الصلاة واستهدف لهم، فأخذوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً، حتىّ سقط لكثرة ترف الدم[2]، فقال للحسين: أوفيت يابن رسول اللّه؟! قال: " نعم، أنت أمامي في الجنّة "؟!

أم ابن شبيب الشاكري الذي ألقى جميع لامته لتثقب منه الرجال، فيموت، في حين نرى الكماة الأبطال المعروفين بالشجاعة والإقدام يتدرعون للحرب كي لا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم؟!

(1) تاريخ الطبري 4: 334، الكامل في التاريخ 4: 70.

(2) تاريخ الطوي 4: 336 ، الكامل في التاريخ 4: 71 إلى قوله: " حتّى سقط ".

أم الغفاريان اللذان استأذنا الحسين في الحملة وهما يبكيان، فقال (عليه السلام) لهما: " ما يبكيكما، فواللّه إنّي لأرجو أن تكونا بعد ساعة قرري العين "؟!

فقالا: ما على أنفسنا نبكي، ولكن نبكي عليك أبا عبد اللّه، نراك قد أُحيط بك ولا نقدر على الدفع عنك، والذب عن حرمك "[1]، فجزّاهما الحسين خيراً؟!

وإذا تأمّلنا قول الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): " إنّ أصحاب جدّي الحسين لم يجدوا ألم مسّ الحديد "[2]، وضحَ لنا ما عليه أُولئك الأطايب من الثبات، وأنّهم غير مكترثين بما لاقوه من ألم الجراح، ولعلّ منهم بالغاية، شوقا إلى جوار المصطفى.

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق، وأنّه عند توجّه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكلُ مًا يلاقيه من عناء ونكد، حكى المؤرّخون أنّ غزةّ دخلت على كثير الشاعر وهو في خبائه يوي سهاما لَه، ولما نظر إليها أدهشه الحال، وأبهره الجمال، فأخذ يوي أصابعه، وسالت الدماء، وهو لا يحسّ بالألم[3].

وأكبر مثال على ذلك حكاية الكتاب المجيد حالة النسوة حينما شاهدن جمال الصدّيق يوسف (عليه السلام)، فقال تعالى: { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ }[4].

(1) تاريخ الطبري 4: 337، الكامل في التاريخ 4: 72.

(2) الخوائج والجوائح للراوندي 2: 848 ، والعبارة بمعناها.

(3) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني 9: 22.

(4) يوسف: 31.

وإذا كانت النسوة لم يشعرن بألم قطع المدية أيديهنّ، لمحض جمال الصديق، فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسين (عليه السلام) .وهمزبد العالم كُلّه . ألم مسّ الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الإلهي، ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب ولاء سيّد الشهداء (عليه السلام).

هذا ما عليه الأصحاب من سرّ المفادات، وقد كان مرُشدهم إلى ذلك، والمقدمّ فيهم (حامل اللواء)، إذا لم يكن هيابا بمًا شاهده من لغط، وصخب، وضوضاء، وصهيل، وجحفل مجر، يتبعه جيش لجب، وقد أخذ ابن ميسون عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء.

بِجَحافِلٍ بالطفّ أولها ... وأخرُها بالشامّ مِتصُل

فلا يرى إلاّ وجوهاً عابسة، كلُ يّتحرىّ استئصال شأفة الإمامة، وإراقة من يجنح إليها، و" قمر الهاشميين " أسوة وجهه، تشرق كالبدر المنير ; لأنّه (عليه السلام) يجد ببصيرته الهادية له إلى المفادات قرب الأجل المضروب، وحصول الضالة المنشودة، وهذا كُلّه بعد العلم بأنهّ إذا فارق أخاه في ذلك الموقف يكون في سعة من الخطر.

وأنا لكبر موقفه وثباته حينما قال لهم أبو عبد اللّه (عليه السلام): " هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، فأنتم في إذن منيّ، فإنّ القوم لم يطلبوا غيري، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري، وليأخذ كلُرِّجل منكم بيدرجل من أهل بيتي، وتوقرّا في سوادكم هذا "[1].

(1) تاريخ الطبري 4: 317، الكامل في التاريخ 4: 57، البداية والنهاية لابن كثير 8: 191.

هنا كان لعبّاس الشوف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوّة الإيمان، وغزارة العلم، وعوامل الشهامة، ما أوقف جولة الفكر، وحوة نفاذة الحلم، حيث ابتدر الجماعة بقوله: " ولِمَ نفعل ذلك لا أبقانا اللهّ بعدك "؟! وتابعه الهاشميونّ الصفوة والصحب الأكارم، متخذين قوله حقيقةراهنة، من معلم هذّبته المعرفة، وبصرّته التجارب، وانهّ لم يرد بقوله إلا الّتضحية الخالّصة، والسعادة الخالدة، فأجابوا بما انحنت عليه الأضالع من إيثار موتة العزّ دون سبط الرسول على حياة مخدجة بعده، وانٍ كانت محفوفة بنعومة من العيش.

فقال آل عقيل: " قبّح اللهّ العيش بعدك، نفديك بأنفسنا وأهالينا ".

وقال ابن عوسجة: " لو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة حتّى أموت دونك ".

وقال سعيد الحنفي: " أنحن نخلّي عنك؟! لاواللهّ حتىّ يعلم اللهّ أنا قد حفظنا وصيةرّسول الله فيّك، ولو علمت أني أقتل ثُم أُحيى، ثمُ أقتلُ، ثم أُحرّقُ حيا، ثمّ أُذرىّ يفعُل بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حّمامي دونك. وكيف لا أفعل ذلك وانما هي قتلة واحدة، ثُمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا ".

وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك[1].

(1) تاريخ الطبري 4: 317 ـ 318، الكامل في التاريخ 4: 58، البداية والنهاية لابن كثير 8: 191.

فأجَابُوا الجوَاب وَاخترطُوا ُالبيـ ـضَ اهتيَاجا إلَى جلادِ الأعاديَ ـ

وانثَوَا للوغىَ غضِابَ أسَودُ عَصِفت ْفي العديَ بِصوصَر عِاد ـَ ـ

حَوسوهُ حتىّ احتسوا ُجوعُ المو ـَ تِ ببيضِ الضبَا وَسمرُ الِصعادِ ـَ ـ

سَمحوَا ُبالنفوُسُ في نِصرةُ الد ـ ـ ينِ وأدّوا في اللهّ حِق َالجّهاد ـَ ـ

وبعد أن عوف الحسين منهم صدق النيّة والإخلاص في المفادات أوقفهم على غامض القضاء، وقال: " إنّي أقتُل وكلكمّ تقتلون، حتّى القاسم وعبد اللهّ الرضيع، إلا ّالسجادّ، فإنه أبو الأئمة "، ثم كُشّف عن أبصارهم، فرأوا ما حباهم الله منّ نعيم الجنّان، وعرفهم منازلهم فيها[1].

وليس ذلك في القوة الإلهية بعزيز، ولا في تصرّفات الإمام بغريب، ولقد حكى المؤرّخون وقوع نظير هذا لسحرة فرعون لمّا آمنوا بموسى (عليه السلام) وأراد فرعون قتلهم، فإنهّم شاهدوا منازلهم في الجنةّ[2].

(1) الخرائج والجرائح 1: 255، بحار الأنوار 45: 89، علل الشرائع 1: 229، والنصّ منقول بالمعنى.

(2) تفسير ابن أبي حاتم 5: 1536 ، تفسير ابن كثير 3: 166 ، الدر المنثور للسيوطي 3: 107 ، تفسير الألوسي 9: 28، البداية والنهاية لابن كثير 1: 296.

الأمان

لم تزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب، لاسيّما حين بلغه كتاب عبيد اللّه بن زياد بالأمان له ولإخوته الذي أخذه عبد اللّه بن أبي المحل بن خزام، وكانت أُم البنين عمته، وبعثه مع مولاه كرمان، فلما قدم كربلاء قال للعباس وإخوته: " هذا أمان من ابن زياد، بعثه إليكم خالكم عبد اللّه! فقالوا له: أبلغ خالنا السلام وقل له: لا حاجة لنا في أمانكم، أمان اللّه خير من أمان ابن سميّة "[1].

كيف يتنزّل أبو الفضل للدنية وهو ينظر بعين غير أعين الناس، ويسمع بأُذنه الواعية غير ما يسمعونه، يشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع " خلف النّبي المرسل "، ويسمع هتاف الملكوت من شتى جوانبه بالبشرى له بذلك كلٌّهً عند استمراره مع أخيه الإمام.

نعم، وجد " عباس المعرفة " نفسه المكهربة بعالم الغيب، المجذوبة بجاذب مركز القدّاسة إلى التضحية دون حجّة الوقت لا محالة، فرفض ذلك الأمان الخائب إلى أمان الرسول الأعظم.

وهنالك طمع الشمر فيه وفي إخوته أن يفصلهم عن مستوى الفضيلة، فناداهم: أين بنو أُختنا؟ أين العبّاس وإخوته؟ فاعرضوا

(1) تاريخ الطبري 4: 314، الكامل في التاريخ 4: 56.

عنه، فقال الحسين: " أجيبوه ولو كان فاسقاً ".

قالوا: ما شأنك؟ وما تريد؟

قال: يا بني أُختي، أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد.

فقال له العبّاس: لعنك اللّه ولعن أمانك، تؤمننا وابن رسول اللّه لا أمان له[1] ؟! وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء، فرجع الشمر مغضباً[2].

إنّ هذا الجلف الجافي قد أساء الظنّ بهؤلاء الفتية نجوم الأرض من آل عبد المطلب، فحسب أنهّم ممنّ يستهويهم الأمن والدعة، أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا، هيهات! خاب الرّجس ففشل، واخفق ظنهّ، وأكدى أمله، ولم يسمع في الجواب منهم إلاّ لعنك اللّه، وتبتّ يداك، ولعن ما جئت به.

وحيث إنّ ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو الفضل، والنفسية التي يحملها، والسؤدد المتحلّي به، والحفاظ

اللائح على وجناته ; طمع أن يستهوي رجل الغوة ويجوّه إلى الخسف والهوان والحياة مع الظالمين.

أيظنّ أن أبا الفضل ممن يستبدل النور بالظلمة، ويستعيض عن الحقّ بالباطل، ويدع علم النبوة، وينضوي إلى راية ابن هوجانة؟!

كلاّ

(1) الإرشاد للشيخ المفيد 2: 89، بحار الأنوار 44: 391، تاريخ الطبري 4: 315، الكامل في التاريخ 4: 56.

(2) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: 41، اللهوف في قتلى الطفوف: 54، لواعج الأشجان: 116.

ولمّا رجع العبّاس وإخوته إلى الحسين واعلموه بما أراده الماجن منهم، قام زهير بن القين إلى العباّس حدثهّ بحديث، قال فيه:

إنّ أباك أمير المؤمنين (عليه السلام) طلب من أخيه عقيل . وكان علماً بأنساب العرب وأخبارها . أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب، وذوو الشجاعة منهم، ليتزوّجها، فتلد غلاماً فارساً شجاعاً، ينصر الحسين بطف كربلا، وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن نصرة أخيك وحماية إخوتك ".

فغضب العبّاس وقال: " يا زهير، تشجّعني هذا اليوم، فواللهّ لأرينكّ شيئا ما رأيته "[1] .

فجدل أبطالاً، ونكّس رايات في حالة لم يكن همة من القتال، ولا منزلة الأبطال، بل كان همهّ إيصال الماء إلى أطفال أخيه، ولكن لا مردّ للقضاء، ولا دافع للأجل المحتوم.

ولا يَهمّه السهام حُاشا ... مَن همَهّ سقاية العُطاشا

فَجادَ باليمَين والشمالِ ... لِنُصرة الدين وحِفظِ الآلِ

(1) الأنوار العلوية للنقدي: 444، أسرار الشهادة للدربندي 2: 497.

المواساة

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطفّ المقدر فيه (قمر بني هاشم) حقّ قوه إلا الّبخوع له بتحقيق هذه الغزوة الكريمة، أعني المواساة بأجلى مظاهرها، وأنت إذا أعوت لما أفضنا القول في البصرة أُذناً واعية عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيدّ شباب أهل الجنّة، وإيثاره التفاني معه على الحياة الرغيدة، وتهالكه في المفادات، منذ مغادرته الحجاز إلى هبوطه أرض كربلا،

وحتّى لفظ نفسه الأخير تحت مشتبك النصول، فلا تجد مناصاً عن الإذعان بأنهّ (عليه السلام) كان على أعلا ذروة من المواساة لأخيه الإمام، يربوا على المواسين معه جميعاً ; لأنّ مواساته كانت عن بصيرة، هي أنفذ البصائر يومئذ، بشهادة الإمام الصادق (عليه السلام): " كان عمّنا العبّاس نافذ البصيرة، صلب الإيمان "[1].

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان، واقفان على الضمائر، ويعرفان مقادير الرجال، فيقول الحجة عجّل اللّه فرجه في زيارة الناحية: " السلام على أبي الفضل العبّاس، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الواقي له، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه. لعن اللّه قاتله يزيد بن الرقاد الجهني، وحكيم بن الطفيل السنبسي الطائي ".

(1) سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: 89.

ويقول الصادق (عليه السلام) في الزيارة المتلوة عند ضريحه الأقدّس: " أشهد لقد نصحتَ للهّ ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي " فجعل (عليه السلام) الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة نصحه للّه الذي هو مقتضى دينه ويقينه، ونصحه لرسول اللّه الذي هو تمام التوحيد، والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الأخير للعلةّ، وبه كمال الدين وتمام النعمة { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي }[1]، وبه قبول الأعمال.

" لو أنّ عبداً صام وصلىّ وزكىّ ولم يأت بالولاية ما قبل الله لهّ عملا أبداً "، فرضى الرب والرّسول وطاعتهما منوطان بطاعة ولي الأمر { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }[2].

فأراد الإمام الصادق بذلك الخطاب أنّ نصح " عباس الهداية " لأخيه المظلوم على حدّ نصحه للهّ ولرسوله، مع حفظ المرتبة في كُلٍّ منهما، فالطاعة شرع سواء في الثلاثة، تحت جامع واحد، هو وجوب الخضوع لهم، والتسليم لأمرهم، غاية الأمر تختلف المراتب، فإنّه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه وتعالى، وبما أنّ الرسول مبعوث من قبله وجبت بالنسبة إلى الرسول، وبما أنّ الإمام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقائه إلى الأبدّ، وعدم إهمال العباد كالبهائم، وعدم وضوح الكتاب المجيد، لوجود المخصص والمقيد، والناسخ والمتشابه، وعدم

(1) المائدة: 3.

(2) المائدة: 55.

وفائه بالأحكام الشرعية بالبداهة ; وجب على الأُمة إطاعة هذا الإمام، فالمراد من المؤمنين في هذه الآية ومن أُولي الأمر في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }[1]، شَيْءٍ واحِدٌ، وقد انحصر مصداقه في سيّد الوصيين وأبنائه المعصومين الأحد عشر بالتواتر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

فالنصح الذي أشار إليه الإمام في الزيارة هو لازم تلك الطاعة ومقتضى الولاية، تحت جامع واحد، وهو لزوم مناصرة

الدين والصادع به، المنبسط على ذات البارئ تعالى والرسول والإمام كُلٌّ في مرتبته.

وقد أفادنا هذا الخطاب أنّ مفادات أبي الفضل ومواساته لم تكن لمحض الرحم الماسة والإخاء الواشج، ولا لأنّ الحسين (عليه السلام) سيّد أُسرته، وكبير قومه، وإن كان في كلُ منها يمدح عليه هذا الناهض، لكنها جمعاء كانت مندكة في جنب ما أثاره " عباس البصرة " من لزوم مواساة صاحب الدين، والتهالك دون دعوته، سواء كانت المفادات بعين المشرع سبحانه، أو تحت راية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو إمام الوقت، وكُلّ بعين الله وعن مرضاته جل شأنه، وقد اجتمعت في مشهد الطفّ تحت راية الحسين (عليه السلام).

إنّ من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب، ولكن الزمه حقّ اليقين، وقوّة الإيمان أن ينفض الماء من يده، حيث لم يرَ له مساغاً في التأخير عن سقاية حجة الوقت الإمام المعصوم، وحرم النبوة، ولو

(1) النساء: 59.

بمقدار الترويّ من الماء هنيئة، بل عرف أنّ الواجب عليه الإبقاء على مهجة خليفة الرسول بسقايته ولو في أن يسير، إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثره، ولذلك نسب فعله هذا إلى الدين حيث يقول: " تاللّه ما هذا فعال ديني ".

على أنّ شيخنا العلاّمة الشيخ عبد الحسين الحليّ يحدثّ في النقد التريه ج1 ص100 عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ ميرزا هادي الخراساني النجفي نقلاً عن " عدّة الشهور " أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا العباسّ وضمه إليه، وقبل عينيه، وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطفّ أن لا يذوق منه قطرة وأخوه الحسين عطشان. فقول أرباب المقاتل: نفضَ الماء من يده ولم يشرب إنّما هو لأجل الوصيّة من أبيه المرتضى.

لَم يذُقِ الفراتُ أسوةً بهُ ... ميمماً بمائهِ نحوَ الحُبا

لَم يرَ في الدين يبلَ غلةُ ... وصُنوُه فيهِ الظماَ قد الهَبا

والمُرتضَى أوصىَ إليه في ابنِهِ ... وصيّة صدتّهُ عُن أن يشربا

لذَاكَ قدَ أسندهَ: لدُينهِ ... وعَن يقينٍ فيهِ لن يضطربا

هَذا من الشرّع برىَ فعلتهِ ... ومِن صراطِ أحمدَ مَا زَتكبا

وَمثلهُ الحسُين لمُا مَلك الماءَ ... فَقيل رَحله قُد نَهبا

أمَّ الخيامّ نافضَا لمَضائِه ... إذ عَظمُ الأمر بُه واعصوَصبُا

فَكانَ للعبَاسّ فيهِ أسِوةٌ إذ فَاضَ شهَما َغيِر َمفلولَ ُ ِ
الشِبا

عثرة التأريخ

لقد كان من نفوذ بصيرة العبّاس أنّه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه، والجهاد البالغ حدّه، حتى رّاقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج، والدعوة إلى السعادة الخالدة في رضوان اللّه الأكبر، وأن يحظى بأُجور الصابرين، على ما يَلمّ به من المصاب بفقد الأحبة، فدعا أُخوته من أمهُ وأبيه وهم " عبد الله، وجعفر، وعثمان " وقال لهم: " تقدموا حتى أرّاكم قد نصحتم للّه ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم "[1].

فإنّه أراد بذلك تعريف أُخوته حق المقام، وأن مّثولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفا إلّا إلى جهة واحدة وهي: المفادات والتضحية في سبيل الدين، إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسنى من عوارض الدنيا، من مراقبة أمر الأولاد بعدهم، ومَن يرأف بهم ويربيهم، فاللازم حينئذ السير إلى الغاية الوحيدة وهي: الموت دون حياة الشريعة المقدّسة، فكانوا كما شاء ظنّه الحسن بهم، حيث لم يألوا جهداً في الذب عن قدس الدين، حتى قضوا كراما مُتلفعين بدم الشهادة.

(1) الارشاد للشيخ المفيد 2: 209، مثير الأحزان لابن نما: 50، لواعج الأشجان: 178.

لكن هلمّ واقرأ العجيب الغريب فيما ذكر ابن جرير الطبري في التاريخ ج6 ص257 قال: "وزعموا أنّ العباس بن علي قال لأخوته من أُمه وأبيه عبد اللهّ وجعفر وعثمان: يا بني أمي تقدموا حتى أرثكم، فإنه لا ولد لكم، ففعلوا وقتلوا "[1].

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: " قدّم أخاه جعفر بين يديه، لأنّه لم يكن له ولد ليحوز مواريثه العباس، فشد عليه هاني بن ثبيت فقتله "[2].

وفي مقتل العبّاس قال: " قدمّ أُخوته لأمهُ وأبيه، فقتلوا جميعا، فحاز مواريثهم، ثم تقدّم وقتل فورثهم واياه عبيد الله، ونزّعه في ذلك عمّه عمر بن علي، فصولح على شيء رضي به "[3].

هذا غاية ما عندهما، وقد تفرّدا به من بين المؤرّخين وأرباب المقاتل، ولا يخفى على من له بصيرة وتأمّل بعده عن الصواب.

وما أدري كيف خفي عليهما حيلة العبّاس مواريث أُخوته مع وجود أمهُم أم البنين، وهي من الطبقة المتقدمة على الأخ، ولم يجهل العبّاس شريعة تربّى في خلالها؟!

على أنّ هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس، سيمّا في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله، فأي شخص كان يدور في خُلده ذلك اليوم حيلة المواريث بتعويض ذويه وأخوته للقتل؟! وعلى الأخصّ يصدر ذلك من رجل يعلم أنه لا يبقى بعدهم ولا يتهنّأ بمالهم، بل يكون فعله لمحض أن تتمتّع به أولاده.

(1) تاريخ الطبري 4: 342، الكامل في التاريخ 4: 76.

(2) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: 54.

(3) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: 55.

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثّوا بها ساحة ذلك السيّد الكريم.

فهل ترغب أنت أن يقال لك: عوضت أُختك وبني أُمك لحومة الوغى لتحوز مواريثهم؟! أم أنّ هذا من الدناءة والخسة، فلا ترضاه لنفسك، كما لا يرغب به سوقة الناس وأدناهم، فكيف ترضى أيّها المنصف ذلك لمن علّم الناس الشهامة وكرم الأخلاق، وواسى حجّة وقته بنفسه الزاكية؟!

وكيف ينسب هذا لخرّيج تلك الجامعة العظمى، والمدرسة الكبرى، جامعة النبوّة، ومدرسة الإمامة، وتربىّ بحجر أبيه، وأخذ المعارف منه ومن أخويه الاماميين؟!

ولو تأمّلنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه، وغاية مفاداته عن أخيه السبط، فلذة كبد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومهجة البتول، فإنّ من الواضح البيّن أنّ غرضه من تقديمهم للقتل:

1 . إمّا لأجل أن يشتدّ حزنه، ويعظم صوته، ويبرز بهم، ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة، إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

2 .وإمّا لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين، أمام سيّد الشهداء، ويشهد له ماذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم: " تقدّموا حتىّ أراكم قد نصحتم للهّ ولرسوله، فإنه لا ولد لكم "، ولم يقصد بهم المخايل، وإنمّا رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة. وهذا منه (عليه السلام) إرفاق بهم، وحنان عليهم، وأداء لحقّ الأُخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

3 .وإمّا لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه، والتجهيز للجهاد بتقديم أُخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين، ويحوز كلتا السعادتين، وربما يدلّ عليه ماذكره أبو الفرج في مقتل عبداللّه من قول العباّس له: " تقدّم بين يدي حتىّ أراك قتيلاً واحتسبك، فكان أول من قتل من أُخوته ".

وذكر أبو حنيفة الدينوري أنّ العباّس قال لأخُوته: " تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيدكّم حتىّ تموتوا دونه، فتقدموّا جميعاً وقتلوا ".

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيلة مواريثهم .وحاشاه . لم يكن لاحتساب أخيه عبداللّه معنى، كما لا معنى لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال[1] .

وهناك مانع آخر من مواراث العبّاس لهم وحده، حتّى لو قلنا على بعد ومنع بوفاة أمُ البنين يوم الطف، فإن ولّد العباسّ لم يكن هو الحائز لمواريثهم، لوجود الأطراف وعبيد اللّه بن النهشلية، فإنهمّا يشتركان مع العباّس في المواراث، كما يشاركهم سيدّ

شباب أهل الجنّة، وزينب العقيلة، وأم كلثوم، ورقية، وغيرهنّ من بنات أمير المؤمنين، فكيف والحال هذا يختصّ العباسّ بالميراث وحده؟!

هذا كُلّه إن قلنا بوفاة أمُ البنينّ يوم الطف، ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذ وأنها بقيت بالمدينة، وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة.

(1) الأخبار الطوال: 257.

والذي أظنّه أن منشأ ذلك التقوّل على العباسّ أنه أوقفهم السير على قوله لأخوته: " لا ولد لكم "، من غير روية وتفكير في غرضه ومراده، فحسبوه أنّه يريد الميراث، فنوّه به واحد باجتهاده أو احتماله، وحسبه الآخرون رواية، فشوهوا به وجه التاريخ، ولم يفهموا المراد، ولا أصابوا شاكلة الغرض، فإنّ غرضه من قوله: " لا ولد لكم " تراقبون حاله بعدكم، فاسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان.

على أنّ شيخنا العلامّة الشيخ عبد الحسين الحليّ في النقد التزيه ج1 ص99 احتمل تصحيف (إرثكم) من (أُرزأ بكم) أو (أرزأكم)، وليس هذا ببعيد.

وأقرب منه احتمال شيخّنا الحجّة الشيخ آغا بزرك مؤلفّ كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تصحيف (إرثكم) من (أرثيكم)، فكأنّه (عليه السلام) أراد أولاً: أن يفوز بالإرشاد إلى ناحية الحق، وثانيا: تجهيز المجاهدين، وثالثا: البكاء عليهم ورثائهم، فإنّه محبوب للمولى تعالى.

ويشبه قول العبّاس لأخُوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكر: " يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: أُقاتل معك دون ابن بنت رسول اللّه حتىّ أقتلُ! فقال: ذلك الظن بك، فتقدم بيّن يدي أبي عبدالله حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى احتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به منك لسوقيّ أن يتقدم بّين يدي حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلُ ّما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وانما هو الحساب "[1] (الطوي ج6 ص254).

(1) تاريخ الطبري 4: 338.

حديث الصادق

إنّ ما يتعرّف منه مقولة أبي الفضل العالية واثبات الخصال الحميدة له، إخبار أئمة الدين العارفين بضمائر العباد وسرائرهم،

الواقفين على نفسيّات الأُمة على كثب بتحققها فيه، وقد عبثت أيدي التلف في أكثرها، فإن الصدوق يحدثّ في الخصال ج1 ص35 بعد ذكره حديث السجّاد في فضل العباس أنهّ أخرج الخبر بتمامه، مع أخبار في فضائل العباسّ في كتاب مقتل الحسين (عليه السلام).

وظاهره أن هناك أخباراً كثيرة في فضل أبي الفضل رويت عنا ككتابه المقتل،ولا غرو فلقد اندثر بتعاقب الحوادث الكثير من المؤلّفات.

وكيف كان، فلعلّ من تلك الأخبار ما رواه في عمدة الطالب، عن الشيخ الجليل أبي نصر البخاري النسّابة، عن المفضلّ بن عمر أنّه قال: " قال الصادق جعفر بن محمدّ (عليه السلام): كان عمنا العباسّ بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبداللّه وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيدا "[1].

وكذلك قوله (عليه السلام) فيما علّم شيعته أن يخاطبوه به من لفظ الزيارة، المروية بسند صحيح متفق عليه، فإنّه عند التأمّل فيما

(1) عمدة الطالب لابن عنبة: 356، مقتل الحسين لأبي مخنف: 176. الأنوار العلوية للنقدي: 442.

خاطبه به الإمام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال، تظهر لنا الحقيقة، ونعرف منزلة للعبّاس سامية لاتعد ومنزلة المعصومين، فقال (عليه السلام) في صدر سلام الإذن:

" سلام اللّه، وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصديقّين، الزاكيات الطيباّت، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين ".

فإنّه أشار بهذا إلى مصبّ سلام اللهّ الذي هو رحمته المتواصلة والعطف الغير محدود الذين لا انقطاع لهما.

وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملأ القدس وحظيرة الجلال.

وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضات اللّه ووحيه في أفعالهم وتروكهم.

وسلام الصالحين والشهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرسل وأوصيائهم أو بالتجرّد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب، زيادة على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله.

فكُلّ هؤلاء يتقربّون إلى اللهّ تعالى بالدعاء له، واستنزال الرحمة منه سبحانه، واهداء التسليمات إليه، لما عرفوا أنه مّن أقرب الوسائل إليه، وحيث كانت خالصة للزلفة، ماحضة في التقرّب إليه جلّ ذكره، عادت زاكية طيبّة بنصّ الزيارة: " الزاكيات الطيّبات ".

وأمّا على رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيبّات، فيراد بهما العنايات الخاصة التي ليست بدعاء من أحد، ولا بأسباب عادية، ولا يعدم هذه الأنبياء

والأوصياء والأقلّون ممّن اقتفوا أثرهم، وليست هي شرعة لكلّ وارد، وانما يحظى بها الأفذاذ ممن كهربتهم القداسة الإلهية، وجذبتهم جاذبة الصقع الربوبي، وهكذا المقرّبون والأفذاذ عند صعودهم.

وإذا قرأنا زيارة الصادق (عليه السلام) لجدّه الحسين: " سلام اللّه وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو، والزاكيات الطاهرات لك وعليك، سلام الملائكة المقرّبين والمسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك... "[1] وضح لنا أنّ منزلة أبي الفضل تضاهي منزلة الحسين، حيث أثبت له مثل هذا السلام.

ثُمّ قال (عليه السلام): " أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبيّ المرسل "[2].

هاهنا أثبت لأبي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السالكين، وفوق مرتبة الرضا والتوكّل، فإنّ أقصى مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له، موافقاً لطبعه، فالطبع ملحوظ فيه.

وأقصى مراتب التوكّل أن يترك نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميت بين يدي الغاسل، بحيث لا إرادة له إلاّ ما يفعله الغاسل به، فصاحب التوكّل مسلوب الإرادة، وأمّا صاحب التسليم فلا يرى لغير اللّه وجودا مع الله فضلا عن نفسه، ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة، أو نفساً قد تنفّست بالإرادة، فهو قريب من عالم الفناء.

---

(1) كامل الزيارات: 358، بحار الأنوار 98: 148.

(2) كامل الزيارات: 440.

وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكّل التي هي فوق مرتبة الرضا لا تحصل إلاّ بالبصيرة النافذة، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين، تلك المرتبة التي أخبر عنها أمير المؤمنين (عليه السلام): " لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقيناً ".

أمّا العناوين الثلاثة وهي: " التصديق، والوفاء، والنصيحة " فلا شكّ أنّ الإمام يريد أن أبا الفضل في أرقى مراتبها، لانبعاثها عن التسليم، وهو حقّ اليقين، فإنّه المناسب لتصديقه بأخيه الحجة، وبنهضته في ذلك الموقف الحرج، وهكذا وفاؤه ونصيحته، فإنّ وفاء شخص لآخر كما يمكن أن يكون لأجل الأُخوة والرحم والصحبة ويمكن أن يكون لأجل المعرفة التامة، بما أوجب اللّه له من الحرمة والحقّ على الأمّة.

وحيث إنّ الإمام أثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السالكين، وهي التسليم اللازم لحقّ اليقين، فلا بدّ أن يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقّه والمناصحة في العمل، منبعثاً عن حقّ اليقين بذلك الأمر الواجب، لا لأجل أن الحسين أخوه أو رحمه أو ابن رسول اللّه، فإنّ هذه المرتبة وإن مدُح عليها الشخص إلا أنّ المرتبة الأولى أرقى وأرفع، ولا ينالها إلا نورّ النفوس القدسيّة ممّن وجبت لهم العصمة.

ويؤيّد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله (عليه السلام): " لخلف النبيّ المرسل "، فإنّه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب: (لأخيك) أو (للحسين) أو (لابن أمير المؤمنين)، فالتعبير بخلف النبي لا يُراد منه إلا أن الدافع لأبي الفضل على التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة بالمفادات إلاّ كون الحسين إماماً مفروض الطاعة، وهذا

مقوى لا يبعث إليه إلاّ البصوة المميّزة لشوف الغايات المتحويّة لكوائمها.

ثُمّ إنّ من تخصيص الإمام الخطاب له دون غيره من الشهداء بقوله: " لعن الله من جهل حقك واستخف بحرمتك " نعرف أنّ غيره من الشهداء لم يدرك هذا المدى، وإن كان لكلُ منهم حقا وحرمة، إلا أنّ شبل أمير المؤمنين كانت معارفه أوسع، وايمانه أثبت، فكان له حقّ في الدين، وحقّ على الأمُة لا ينكر، فاستحق بكل منهما اللعن على جاهله والمستخف به، فالشهداء وان أخلصوا في التضحية والمفادات، وكان منبعثاً عن طهارة الضمائر والمعرفة بحقّ الإمام، فلهم حقوق وحرمات، لكن لحق العبّاس منعة بين هاتيك الحقوق، ولحرمته بذخ بين تلك الحرمات، بعد ما ثبت منهما لأخيه الإمام المظلوم، لنفوذ بصيرته، وصلابة إيمانه بنصّ الصادق.

ثُمّ قال الصادق (عليه السلام) في الزيارة المتلوة داخل الحرم: " أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون "[1].

لقد جرى التشبيه بالبدريّين مجرى التقريب إلى الأذهان، في الإشادة بموقف أبي الفضل من البصوة، فإنّ أهل بدر أظهر أفواد أهل البصائر ; لأنّهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في المسلمين، وقلّة في العدة والعتاد، فلم يملكوا إلا فرسين أحدهما: لمرثد بن أبي مرثد الغنوي، والآخر: للمقداد بن الأسود الكندي، وكانوا يتعاقبون على سبعين بعير، الاثنان والثلاثة[2].

(1) المزار للشيخ المفيد: 122، المزار للمشهدي: 166، بحار الأنوار 97: 427.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد 2: 12 ، تاريخ الطبري 2: 172 ، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي 4: 24، تفسير البغوي 1: 283.

لكنّهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوّة، بقوّة الإيمان، وعتاد البصوة، إلا من استولى الرين على قلبه، فرموا سيوف قريش مفلولة، ورماحهم محطّمة، وجموعهم بين قتلى وأسرى ومشرّدين، فحظوا بأوّل فتح إسلامي، قويت به دعائمه وشيدت معالمه من الإمداد { بِخَمْسَةِ آلاف من الْمَلآئكَة مسوَمِينَ }[1].

وأعظم من ذلك مشهد الطفّ الذي التطمت فيه أمواج الموت، وكشفت الحرب عن ساقها، وكشفت عن نابها.

وللأخطار وجه مكفهر ... يشيب لهوله المرديُ الغلام

ترى الأبطال من فوق سكرى ... يدار من الردى فيهم مدام

فقابلهم عصبة الحقّ من غير مدد يأملونه، أو نصرة يرقبونها، والعطش معتلج بصدورهم، ونشيج الفواطم من ورائهم، فتلقوا جبال الحديد بكُلِّ صدر رحيب، وجنان طامن، فلم تسل تلك النفوس الطاهرة إلا على قتل أميّة المنقوض، ولا أريقت دماؤهم

الزاكية إلاّ على حبلهم المنتكث، فلم توح آل حرب إلاّ كلعقة الكلب أنفه، حتىّ اكتسحت معوتهم من أديم الأرض، وتفوقوا أيدي سبا، فيوم الطفّ فتح إسلامي بعد الجاهلية المستودة من جواء أعمال الأمويين [2].

(1) آل عمران: 125، قال تعالى: (بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاف مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ).

(2) لقد أجاد العلاّمة السيدّ باقر نجل آية اللهّ السيدّ محمد الهندي (رحمه الله) إذ يقول:

لَو لَم تَكُن جمعت كُلّ العلا فينا — لكَانَ مَا كَانَ يَومَ الطّفِ يَكفِينَا
يَومٌ نَهضنَا كأَمثالِ الأُسودِ بِهِ — وأَقبلَت كالدِّبا زَحفاً أَعادِينَا
جَاؤُوا بسبعين أَلفاً سُلّ بقيتَهم — هَل قَابلوَنا وَقد جِئنَا بِسبعِنَا

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه إلى بني هاشم لمّا حلّ أرض كربلاء: " من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلفّ عنيّ لم يبلغ الفتح " [1].

فإنّه (عليه السلام) لم يرد بالفتح إلاّ ما ترتبّ على نهضته المقدسّة وتضحيته الكريمة، من نقض دعائم الإلحاد، وكسح أشواك الباطل عن صواط الشريعة المطهّرة، وإحياء دين جدّه الصادع به، الذي لاقى المتاعب في تأييده وتشييده.

وأنت أيّها البصير إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في التنقيب تجد سيدّنا أبا الفضل سيدّ القوم بعد أخيه السبط، وهو المسدد لهم في النضال.

كما أنّ الباحث إذا أعطى النظر حقهّ يجد ضحايا (الطف) أشد انقطاعا عن المدد من مجاهدي يوم بدر، وأبلغ بأسا، وأقل عدداً، مع اكتناف الكوارث بهم، واعواز الملجأ أكثر ممّا احتف بأهل بدر.

مع أنّ المناوئين لشهداء (الطف) أوفر عددا، وأقوى عتادا، وأوثق مددا. وان لهّم دولة مؤسسة، تنضددتّ جحافلها، وخفقت بنودها، وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر.

(1) بصائر الدرجات للصفّار: 502، دلائل الامامة للطبري الشيعي: 188، الخرائج والجرائح للراوندي 2: 771، مثير الأحزان لابن نما: 27.

فلقد كان المحاربون للمسلمين شتات، من طواغيت العرب، حداهم إلى الحرب بواعث الحقد والنخوة، ومن المحتمل القريب انحلال جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنّهم كانوا يفقدون أيّ مدد من القبائل، ولم يخرجوا متأهبيّن للاستمداد، حيث ظنّوا خوراً في المسلمين، وحسبوا استئصال شأفتهم وأنهّم كشربة ماء (ولكن لا مبدلّ لحكم الله تّعالى).

فالموقف يوم الطفّ أحرج، والكرب أكثر، والمقاسات أصعب، وبقدر المشقةّ تجزي الأجُور، وتقسم الفضائل، فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة.

وضَرب الإمام (عليه السلام) المثل لهم بأهل بدر إذ يقول: " إنكّ مضيت على ما مضى به البدريون " لا يوجب فضيلة أهل

بدر عليهم، كما هي قاعدة التشبيه، وإنّما ذلك من باب التقريب إلى الأفهام، كما في قوله تعالى: { مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ... }[1].

وأين من النور الإلهي المشكاة ومصباحها، ولكن لمّا لم تدرك الأبصار ذلك النور الأقدس، وإنّما تدركه البصائر، ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه ; تقريباً للأذهان، وهكذا الحال فيما نحن فيه.

وإلى هذه الدقيقة وقع الإيعاز منه (عليه السلام) فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله (عليه السلام): " فجزاك اللّه أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحد ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره "[2].

(1) النور: 35.

(2) كامل الزيارات: 441، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي 6: 66 ، المزار للمفيد: 122 ، المزار للمشهدي: 178.

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل العبّاس لكان هذا الدعاء، أو الإخبار عن أمره شططاً من القول، خارجاً عن ميزان العدل، تعالى عنه كلام المعصوم، فإذن لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً، ولا أكثر جزاء، ولا أوفى بيعة إلاّ من أخرجه الدليل من الأئمة المعصومين.

ثُمّ إنّ هناك مرتبة أخرى ثبتت لأبي الفضل، خصّه بها الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: " أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك اللّه في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً "[1].

فإنّ المبالغة في أمثال المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلى حدوده اللازمة، وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم. ولا شكّ أنّ كلّ واحد من شهداء الطف قد بالغ في النصيحة، ولم يألُ جهداً في أداء ما وجب عليه، ولكل منهم في ذلك المشهد الدامي شواهد من أقواله وأعماله.

ومن المسلّم أنّ المعروف بقدر المعرفة كماً وكيفاً، فصاحب السنام الأرفع في العرفان المتربع على أعلى منصة من الإيمان لا بدّ وأن يقاسي أشد ضروب الجهاد، ويتظاهر بأجمل مظاهرها، من الذوب على الحرب والضرب، وإن طال المدى، وبعد الأمد، إن كان الجهاد نضالاً، كما لا بدّ له من المثابرة على مكافحة النفس

(1) كامل الزيارات: 441، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي 6: 66، المزار للمفيد: 122، المزار للمشهدي: 178.

الأمارة، وكسر شوكتها، وردّ صولتها، وكبح جماحها، وترويض النفس بالطاعة، وإلزامها بلوازمها الشاقة طيلة حياته، إن كان الجهاد نفسياً.

وفي هذين الحالتين لا بدّ وأن يكتنف العمل المقارنات المطلوبة، مثل: نيّة القربة، والإخلاص فيها، المنبعث عن حب المولى

سبحانه، الهادي إلى معرفة توهله إلى الطاعة، وعن معرفة نعم البلي عزّ وجلّ الواجب شكوها، وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ عظمته، إلى أمثال هذه من الملحوظات.

وقصارى القول: كما أنّ مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة مقولة بالتشكيك، كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك المراتب، فصاحب عمل كُلِّ مرتبة محدود بحدودها.

وحينئذ فلا شكّ أنّ كلُ واحد من شهداء الطف، وإن بلغ الغاية في الجهاد، وأدى حق النصيحة، لكن (شهيد العلقمي) لما كانت بصيرته أنفذ، وعلمه أوفر، وإيمانه أثبت، كان مداه أبعد، وغايته أسمى، وحدوده أوسع، ولذلك خاطبه الصادق (عليه السلام) بهذا الخطاب، وخصّه بالمبالغة في التضحية، فكان هذا كفضيلة مخصوصة به ; لأنّ هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره.

ولعلّ من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له (عليه السلام) حقّ في الدين، وحق على الأمةُ، وحرمة لا تنكر، فاستحق أنّ يخاطبه الإمام في سلام الإذن بقوله: " لعن اللّه من جهل حقك واستخف بحرمتك "[1].

(1) المزار للشهيد الأوّل: 165.

وهناك درجة أربى وأربع أشار إليها الصادق بقوله: " ورفع ذكرك في علّيين "[1].

فإنّ " حامي الشريعة " لم يبرح مواصلاً في الخدمات، حتىّ أقبل إلى الله تعالى متلفعاً بدمِ الشهادة، شهادة صك نعوّها مسامع الملكوت، حتّى أشرأب له هنالك من أنبياء، ومرسلين، وحجج معصومين، وملائكة مقرّبين، وحور، وولدان، وأرواح مقدّسة، ومقدّسات زاكيات طيبّات، فلم يلق (عليه السلام) في صعوده إليهم إلا ثغرا باسماً، ووجوها مستبشرة، وايذانا له بالبشرى الخالدة، ونعيم الأبدّ، فطفق يرف بين ذلك الجيل القدسي، الزاهر بنور العصمة، ورونق العلم، وهيبة العظمة، وسمات الجلالة، وشارات النزاهة، وبهجة العطف الإلهي، وبهاء النظر إلى الجلال السرمدي، والاتصال بالرضوان الأكبر، وعليه أُبهة الولاء، وجلالة الطاعة، وبلج التضحية، وزلفى المفادات، وزهو العلم والعمل، ولذكره في ذلك المنتدى الرهيب رفعة ومنعة، وإليه يشير الإمام الصادق (عليه السلام) في لفظ الزيارة: " ورفع ذكرك في علّيين ".

فإنّ الغرض من هذا التعبير ليس إلاّ ما شرحناه، لا مجردّ صعود ذكره الطيبّ إلى ذلك الملأ الأرفع، شأن كل صُالح في عالم الوجود، لكن الشأن كُلّه إن يكون لذكر ما لمجيد هنالك بذخ، واكبار فيرمقه كلُ طرف بنظر الاجلال، ويسمع الهتاف به بإذن التقدير، وتنعقد الضمائر على تقديسه، ولو أراد الإمام مجرّد ذكره إلى ذلك العالم القدسي لقال في الخطاب: " ورفع ذكرك إلى

(1) كامل الزيارات: 441، المزار للشهيد الأوّل: 133.

عليين "، ولكن حيث إنّه أراد رفع الذكر بين أفواد أُولئك الذين أختصّ محلهمّ فيه جاء بفاء الظرفية فقال: " في عليينّ ".

وأما قوله (عليه السلام) في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص165 عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي: " لعن اللّه أُمة استحلتّ منكّ المحارم، وانتهكت فيك حرمُة الإسلام "[1] ; فيرشدنا إلى مكانة سامية لأبي الفضل، تصعد به إلى فوق مرتبة العصمة، فإنّا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشهداء، مع بلوغهم أعلى مرتبة الفضل التي لم يحزها أي شهيد غيرهم، حتّى استحقوّا أن يخاطبهم الإمام في زيارة النصف من رجب بقوله: " السلام عليكم يا مهديون، السلام عليكم يا طاهرون من الدنس "[2]، ويقول أيضاً: " طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم "[3].

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر الذي لا شكّ في عصمته، ومنه يظهر أنّ للعباسّ منزلة ومقاما يشُرف مقام الحجج المعصومين (عليهم السلام)، تناط به حرمة الإسلام، كما تناط بهم صلوات اللّه عليهم، وإنّها تنتهك بمثله كما تنتهك بمثلهم (عليهم السلام)، وهذا مقام فوق العصمة الموجوّة له.

---

(1) بحار الأنوار 98: 219، المزار للمفيد: 124، المزار للمشهدي: 391.

(2) بحار الأنوار 98: 330 ،والوارد في الزيارة: "... السلام عليكم يا طاهرون، السلام عليكم يا مهديون... "، نعم ورد في زيارات أُخرى قوله (عليه السلام): " وطهرّكم من الدنس " كامل الزيارات: 527.

(3) المزار للشهيد الأوّل: 129 ، المزار للمشهدي: 465.

العبّاس في نظر الأئمة

إنّي لا أحسب القارئ في حاجة إلى الإفاضة في هذه الغاية، بعد ما أوقفناه على مكانة أبي الفضل (عليه السلام)، من العلم والتقى والملكات الفاضلة، من إباء وشمم وتضحية في سبيل الهدى، وتهالك في العبادة، فإنّ أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) يُقدرّون لمن هو دونه في تلكم الأحوال فضله، فكيف به وهو من لحمتهم، وفرع أرومتهم، وغصن باسق في دوحتهم؟!

وقد أثبت له الإمام السجاد (عليه السلام) منزلة كرى لم ينلها غيره من الشهداء سوى بها عمّه الطيار، فقال (عليه السلام): "رحم اللّه عميّ العباسّ بن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتىّ قطعُت يداه، فأبدله الله عّزوجلّ جناّحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، إنّ للعباسّ عند اللهّ تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة "[1].

ولفظ " الجميع " يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة، وقد نفى البعد عنه العلاّمة المحقّق المتبحر في الكويت الأحمر ص47 ج3.

---

(1) الأمالي للشيخ الصدوق: 548، الخصال:68.

ولعلّ ما جاء في زيارة الشهداء يشهد له: " السلام عليكم أيّها الربانّيون، أنتم لنا فرط وسلف ونحن لكم أتباع وأنصار، أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة "[1].

وكذلك قوله (عليه السلام) فيهم: إنّهم لم يسبقهم سابق،ولايلحقهم لاحق.

فقد أثبت لهم السيادة على جميع الشهداء، أنّهم لم يسبقهمولا يلحقهم أي أحد،وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل، وقد انفرد عنهم بما أثبته له الإمام السجاد (عليه السلام) من المنزلة التي لم تكن لأيّ شهيد.

ولهذه الغايات الثمينة،والمراتب العُليا كان أهل البيت (عليهم السلام)يدخلونه في أعالي أُمورهم ما لا يتدخّل فيه إنسان عادي، فمن ذلك مشاطرته الحسين (عليه السلام) في غسل الحسن (عليه السلام)[2].

وأنتَ بعد ما علمت مرتبة الإمامة، وموقف صاحبها من العظمة،وأنّه لا يلي أمره إلا إمام مثله، فلا ندحة لك إلا الإيمان بأنّ من له أي تدخل في ذلك بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال أعظمرجل في العالم بعد أئمة الدين، فإنّ جثمان المعصوم عند سموه إلى المبدأ الأعلى . تقدّست أسماؤه . لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه من تقاعس عن تلك المرتبة، إذ هو مقام قاب قوسين أو

(1) كامل الزيارات: 372، تهذيب الأحكام 6: 65، المزار للمفيد: 120، المزار للمشهدي: 388.

(2) ورد في ذخائر العقبى: 141 ، الذرية الطاهرة للدولابي: 120 ، وكشف الغمة 2: 171 ، وبحار الأنوار 44: 137 : " وولى غسله الحسين ومحمّد والعبّاس أخوته.. ". ولم يرد في مصدر أن المشارك للحسين (عليه السلام) العباّس فقط.

أدنى، ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أن يصل إليه حتّى تقهقر،وغاب النبّي الأقدسّ في سبحات الملكوت والجلال وحده إلى أن وقف الموقف الرهيب.

وهكذا خلفاء النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المشاركون له في المآثر كلُّهّا ما خلا النبوةّ والأزواج[1]، ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدّس.

وممّا يشهد له أنّ الفضل بن العباّس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، معاونا لأمير المؤمنين (عليه السلام)على غسله، ولكنّه عصب عينيه خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر.

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف على ضريح رسول اللّه، حذراً أن يرى الناظر شيئا فيعمى[2]، وقد اشتهر ذلك بين أهل المدينة، فكان إذا سقط في الضريح شيء أرسلوا صبياً وشدوّا عينيه بعصابة فيخرجه.

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر، وليس لنا إلاّ التسليم على الجملة،ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرّد بعُدنا عن إدراك مثلها، خصوصاً بعد استفاضة النقل في أنّ للنبيّ والأئمة بعد وفاتهم أحوالا غريبة، ليس لسائر الخلق معهم شركة، كحرمة

(1) في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): " كلّ ما كان للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلنا مثله، إلاّ النبوّة والأزواج " المحتضر: 47.

(2) فقه الإمام الرضا لابن بابويه: 188 ، مستدرك الوسائل 2: 197 ، المسترشد لابن جرير: 336 ، بحار الأنوار 22: 492.

لحومهم على الأرض، وصعود أجسادهم إلى السماء، ورؤية بعضهم بعضاً، وإحيائهم الأموات منهم بالأجساد الأصلية عند الاقتضاء، إذ لا يمنع العقل منه مع دلالة النقل الكثير عليه، واعتراف الأصحاب به[1] ، فيصار التحصل أنّ الحواس الظاهرة العادية لا تتحمّل مثل تلك الأمثلة القدسّية، وهي في حال صعودها إلى سبحات القدس إلا نّفوس المعصومين بعضها مع بعض دون غيرهم، مهما بلغ من الخشوع والطاعة.

لكنّ (عباس المعرفة) الذي منحه الإمام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقرّبون وهي: " العبد الصالح) تسنىّ له التوصّل إلى ذلك المحل الأقدس، من دون أن يذكر له تعصيب عين أو إغضاء طرف، فشارك السبط الشهيد، والرسول الأعظم، ووصيه

(1) قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات: 72 : " والأئمة من عترته خاصّة لا يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدنيا، بإعلام الله تعالى لهم ذلك، حالاً بعد حال، ويسمعون كلام المناجي لهم في مشاهدهم المكرمة ".

وقال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار 27: 301 بعد ما نقل كلام الشيخ المفيد المتقدّم: "وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة وحملة الآثار منهم. ولست أعرف فيه لمتكلّميهم من قبل مقالاً.. ".

وفي كنز الفوائد للكراجكي 1: 246 ، ومنهج الرشاد لمن أراد السداد: 562 ، وبصائر الدرجات للصفار: 445: أنّ لحومهم محرّمة على الأرض، وأنّها ترتفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام.

وحكي عن الشيخ الأعظم قدوة السالكين المولى فتح علي بن المولى حسن السلطان آبادي: أنّه لمازار أمير المؤمنين (عليه السلام) ورجع إلى مشهد الحسين أسف على عدم مذاكرته مع علماء النجف في مسألة بقاء جسد الإمام طرياً أو أنّه يبلى، فرأى في المنام أنّه داخل إلى الروضة فرأى جسداً موضوعاً على الحصير والدم يجري من أعضائه، فسأل عنه؟ قيل: إنه جسد الحسين، أما علمت أنّ أجسادهم لا تبُلى.

المقدّم مع الروح الأمين، وجملة الملائكة في غسل الإمام المجتبى الحسن السبط صلوات اللّه عليهم أجمعين[1] .

وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها إلاّ ذوو النفوس القدسية، من الحجج المعصومين، ولا غرو إن غبط أبا الفضل الصدّيقون والشهداء الصالحون.

وإذا قرأنا قول الحسين للعبّاس، لمازحف القوم على مخيمّه، عشية التاسع من المحرم: " اركب بنفسي أنت يا أخي " حتىّ

تلقاهم وتسألهم عمّا جاءهم، فاستقبلهم العبّاس في عشرين فارساً فيهم حبيب وزهير، وسألهم عن ذلك؟ فقالوا: إن الأمير يأمر إمّا النزول على حكمه أو المنازلة، فأخبر الحسين، فأرجعه ليوجئهم إلى غد[2].

---

(1) روي الصفّار في بصائر الدرجات: 245 عن الباقر (عليه السلام): أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) شاهد جبرائيل والملائكة يعينونه على غسل النّبي وتكفينه وحفر القبر ونزولهم معه في القبر، وكذا شاهدهم مع النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين يعينونهما على غسل أمير المؤمنين وتكفينه، وشاهدهم الحسين مع النّبي وأمير المؤمنين يعينونه على غسل الحسن، وشاهدهم الباقر مع النّبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين يعينونه على غسل أبيه السجّاد.

(2) تاريخ الطبري ونصّ العبارة: " قال: وأقبل العبّاس بن علي يركض حتىّ انتهى إليهم فقال: يا هؤلاء القوم إن أبا عبد اللّه يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة حتىّ ينظر في هذا الأمر، فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء اللّه، فاما رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه.

وإنّما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتىّ يأمر بأمره، ويوصي أهله، فلما أتاهم العباسّ بن علي بذلك، قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما ترى أنت، أنت الأمير والرأي رأيك! قال: أردت ألاّ أكون، ثمّ أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان اللّه، واللّه لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها.. وكان العبّاس بن علي حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشيّة، لعلناّ نصليّ لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار ".

فإنّك ترى الفكر يسف عن مدى هذه الكلمة، وأنّى له أن يحلق إلى ذروة الحقيقة من ذات مطهرة تفتدى بنفس الإمام، علة الكائنات، وهو الصادر الأوّل، والممكن الأشرف، والفيض الأقدس للممكنات: " بكم فتح اللهّ وبكم يختم "[1].

نعم، عرفها البصير الناقد بعد أن جرّبها بمحكّ النزاهة، فوجدها غير مشوبة بغير جنسها، ثمّ أطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا يعرف الفضل إلاّ أهله).

ولا يذهب بك الظنّ . أيّها القارئ الفطن . إلى عدم الأهميّة في هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث: " بأبي أنتم وأُمي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم ".

فإنّ الإمام في هذه الزيارة لم يكن هو المخاطِب لهم، وانمّا هو (عليه السلام) في مقام تعليم صفوان الجمالّ عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك الخطاب، فإنّ الرواية جاءت كما في مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي أن صفوان قال: استأذنت الصادق (عليه السلام) لزيارة الحسين وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه.

فقال له: " يا صفوان، صُم قبل خروجك ثلاثة أيام " إلى أن

(1) الكافي 4: 576، ح2، عيون أخبار الرضا 1: 308، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي 6: 55.

قال: " ثُمّ إذا أتيت الحائر فقل: اللهّ أكبر كبوا "، ثم سُاق الزيارة إلى أن قال: " ثم اخُرّج من الباب الذي يلي رجلي علي بن الحسين وتوجّه إلى الشهداء وقل: السلام عليكم يا أولياء اللهّ.. " إلى آخرها.

فالصادق (عليه السلام) في مقام تعليم صفوان أن يقول في السلام على الشهداء ذلك، وليس في الرواية ما يدلّ على أنّ الصادق ماذا يقول لو أراد السلام عليهم.

وهنا ظاهرة أُخرى دلّت على منزلة كبُرى للعباسّ عند سيد الشهداء، ذلك أن الإمام الشهيد لما اجّتمع بعمر بن سعد ليلا وسط العسكرين ; لإرشاده إلى سبيل الحقّ، وتعريفه طغيان ابن ميسون، وتذكيره بقول الرسول في حقّه ; أمر (عليه السلام) من كان معه بالتنحّي إلاّ العباسّ وابنه علياً، وهكذا صنع ابن سعد، فبقي معه ابنه وغلامه.

وأنت تعلم أنّ منزّة أبي الفضل على الصحب الأكرم، وسروات المجد من آل الرسول الذي شهد لهم الحسين باليقين والصدق في النيّة والوفاء[1] ، غير أنّه (عليه السلام) أراد أن يبرز إلى الملأ من بعده ما لأبي الفضل وعلي الأكبر من الصفات التي لا تحدها العقول.

ومن هذا الباب لمّا خطب يوم العاشر، وعلا صراخ النساء وعويل الأطفال حتّى كان بمسامع الحسين، وهو ماثل أمام العسكر، أمر أخاه العبّاس أن يسكتهنّ، حذار شماتة القوم إذا سمعوا ذلك العويل، وغيرة على نواميس حرم النبوّة أن يسمع أصواتهنّ الأجانب.

(1) لعلّ جواب قول المصنّف: " وأنت تعلم... " وارد هنا وقد سقط من الطبعة السابقة، وتقديره: " معلومة "، أي أنّ منزلة أبي الفضل... معلومة.

الصفحة 206

ولو رمتَ تحليلاً لتأخرّ شهادة العباسّ عن جميع الشهداء، وهو حامل تلك النفس الزاعة إلى المفادات والتهلكة دون الدين، فلا يمكنه حينئذ التأخر آناً ما، فكيف بطيلة تلك المدّة، وبمرأى منه مصارع آل اللهّ، ونشيج الفواطم، واقبال الشر ّمن جميع نواحيه، واضطهاد حجّة الوقت، بما يراه من المناظر الشبحية ;والواحدة من ذلك لا تترك (لحامل اللواء) مساغاً عن أخذ التراث آناً ما.

لكن أهميّة موقفه عند أخيه السبط هو الذي أرجأ تأخره عن الإقدام، فإنّ سيدّ الشهداء يعد بقّاءه من ذخائر الإمامة، وأن موتته تفتّ في العضد فيقول له: " إذا مضيتَ تفرق عسكري "، حتىّ إنه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلا بعدّ أخذ ورد.

وإنّ حديث (الإيقاد) لسيدّنا المتتبعّ الحجةّ السيد محمّد علّي الشاه عبد العظيم (قدس سره) يوقفنا على مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين، ذلك لمّا حضر السجّاد (عليه السلام) لدفن الأجساد الطاهرة ترك مساغاً لبني أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلّها الأخير، عدى جسد الحسين وجثةّ عمة العباسّ، فتولىّ وحده إرتالهما إلى مقرهما، أو إصعادهما إلى حضرة القدس وقال: " إن معي من يعينني ".

أما الإمام فالأمر فيه واضح ; لأنّه لا يلي أمره إلاّ إمام مثله، ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته وكنهه، فعله بعمة الصدّيق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصيّ، وليس ذلك إلا لأن تلك الهيكل المطهر لا يمسه إلا نواّت طاهرة، في ساعة هي أقرب حالاته إلى المولى سبحانه، ولا يدنو منه مَن ليس من أهل ذلك المحلّ الأرفع.

الصفحة 207

ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنياً وآخرة، حتىّ إنّ الصديقة الزهراء سلام اللهّ عليها لا تبتدأ بالشكاية بأيّ ظلامة من ظلامات آل محمدّ .وهي لا تحُصى . إلا بكّفي أبي الفضل المقطوعتين، كما في الأسرار ص325 ، وجواهر الإيقان ص194 ، وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لربّ العالمّين.

الصفحة 208

العصمة

إنّ من الممكن جداً وليس بمحال. على اللهّ تعالى، أن ينشيء كيانا لاً تقترب منه العيوب، أو يخلق إنسانا لاً يقترف الذنوب، ولقد أوجد جلّ شأنه ذواتاً مقدسّة، ونفوسا طاهرة، وجبت فيهم العصمة من الآثام، وتنزهاّ عن كل رُجسّ: { إِنَّمَا يرِيدُ اللهُ لِيذْهِبَ عَنكمَ الرُّجسَ أَهْلَ البيَتْ وَ يطَهرِّكمِ تطهِيرَا }[1].

وقد اتفق أرباب الحديث والتراجم على حصر هؤلاء المزهّين بالخمسة أصحاب الكساء، وهم: محمدّ، وعلي، وفاطمة،

والحسن، والحسين (عليهم السلام).

ثُمّ أثبت أصحاب السوة ما يضحك الثكلى ويلحق بالخرافات، فكان للغير مجال ألطعن والمناقشة، ذكروا أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لمّا بلغ من العمر سنتين، وكان خلف البيوت عند بني سعد مع أتراب له، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض، مع أحدهما طست من ذهب، مملوء ثلجاً، فشقّا بطنه وقلبه، واستخرجا منه علقة سوداء هي مغمز الشيطان.

وطوبوا لذلك حيث إنّ اللّه بلطفه وكرمه قدّس نبيه الكريم من هذه العلقة.

ولكن ما أدري لماذا صنع به هذه العملية الدامية وهو طفل صغير لا يقوى على تحمّل الآلام ومعانات الجروح الدامية؟! ألم

---

(1) الأحزاب: 33.

يكن في وسع القوة الإلهية إيجاد ذات مقدّسة طاهرة من الأرجاس حتّى عن هذه العلقة المفسوّة بمغمز الشيطان؟ كيف لا وقد خلقه اللّه من نور قدسه، ورأه من جلال عظمته، واصطفاه من بين رسله، وفضلّه على العالمين، وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّ اللّه خلقني من صفوة نوره، ودعاني فاطعته. وحينئذ فهل يتصور نقص في النور الأقدس؟! تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً.

تِلكَ نفسٌ عزتّ على اللّه قدراً ... فَرتَضاها لنفسه واصطفاها

حَازَ من جوهَر التقدسَ ذاتاً ... تاهت الأنبياء فِي معَناها

لا تَجل في صفات أحمد فكراً ... فَهي الصورة ألتي لن تَراها

وأغرب من ذلك جواب السبكي عن هذه المشكلة بأنّ اللّه أراد أن يخلق نبيّاً كاملاً لا نقصان فيه عن سائر الناس حتّى في مثل هذه العلقة، لكونها من الأجزاء، ثمّ بعد ذلك طهره منها.

والعجب عدّ هذه العلقة من أجزاء بدن الإنسان التي يوجب فقدها نقصان الخلقة، وقد تنزّه عنها جلال النبوة!

على أنّه أثبت ولادة النبّي مختوناً، وهذا أظهر في النقصان عما وجد عليه البشر من العلقة، لكونها غير مرئية.

وجواب الحلبي في السوة ج1 ص115 بأنّه إنمّا ولد مختونا لئلا يطّلع عليه المحرم وتنكشف عورته، لا يرفع إشكال النقصان عمّا عليه الناس.

وكيف كان فقد ثبت إمكان أن يخلق اللّه تعالى نواتاً مقدسّة، منزّهة عن الأرجاس، معصومة عن الخطأ، وقد يجب ذلك كما في الهداة المعصومين، لكي يهدي بهم الناس[1].

---

(1) السيرة الحلبية 1: 87، البداية والنهاية 2: 325، امتاع الاسماع للمقريزي 4: 57، مجمع الزوائد للهيثمي، وهو ليس تعليلاً من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما حديث مروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد فيه: " من كرامتي على ربي عزوجل أن ولدت مختوناً،

ولم يرَ أحد سوأتي " وقد اختلفوا في تصحيح هذا الخبر وتضعيفه، ففي السيرة الحلبية في نفس المصدر قال: "..جاءت أحاديث كثيرة في ذلك، قال الحافظ ابن كثير: فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها.. ".

الصفحة 210

وأمّا في غيرهم من الأطهار فلا يجب، ولكنّه غير ممتنع، فمن الممكن أن يمنح البارئ سبحانه أفذاذاً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم، وتكون بهم الأُسوة في عمل الصالحات، وإن كان في مرتبة نازلة عن مرتبة الأنبياء المعصومين، فإنّهم وإن بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل والتصفية والرياضة إلى حيث لا يبارحون طريق الطاعة ولا يسلكون إلى المعصية طريقاً، لكنّهم في حاجة إلى مَن يسلك بهم السبيل الواضح، ويميزّ لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة، بخلاف الحجج المقيّضين لإنقاذ البشر، المعنيوّن بالعصمة هاهنا.

فمن كانت عصمته واجبة. كما في المعصومين. سمّيت عصمته استكفائية ; لأنّه لا يحتاج في سلوكه إلى الغير، لكونه في غنىً عن أيّ حجةّ، لتوفرّ ما أفيضُ عليهم من العلم والبصائر، ومن لم تكن فيه العصمة واجبة وكان محتاجا إلىً غيره في سلوكه وطاعته سُمّيت عصمته غير استكفائية، على تفاوت في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين.

وحينئذ ليس من البدع إذا قلنا: إنّ (قمر بني هاشم) كان متحلياً بهذه الحلية، بعد أن يكون مصاغاً من نور القداسة الذي لا يمازجه أيّ شين، وعلى هذا كان معتقد شيخ الطائفة وإمامها

الصفحة 211

الحجّة الشيخ محمدّ طه نجف (قدس سره)، فإنهّ قال بترجمة العباسّ من كتاب (إتقان المقال) ص75 : " هو أجلّ من أن يذكر في المقام، بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام ".

فتراه لم يقل عند ذكر رجالات أهل بيته الأعاظم، بل أثبت المعصومين منهم، وليس هذا العدول إلاّ لأنهّ يرتأي أن يجعله في صفهم، ويعده منهم.

وتابعه على ذلك العلاّمة ميرزا محمدّ علي الأُردبادي فقال من قصيدته المتقدمّة:

أجل عباسُ الكتِابَ وَالهدىُ ... والعِلمَ والدين وأَصحابَ العبا

عَن أن يُطيش سَهمَه فُينثَني ... والإثمَ قدَ أثقلَ مَنهِ منكبا

لِم نشَترطِ في ابن النبيّ عُصمة ... ولا نَقولُ: إنهّ قد أذنبا

وَلا أقَولُ غيرَ مَا قال بَه ... (طَه الإمامُ) في الرِجالَ النُجبا

فَالفعِلَ مُنهِ حجُةُ كقولُه ... فِي الكلُ يُروَي عن نَويه النُقبَا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشيعة، نعرفه بالثقافة العلميّة، والتقدّم بالأفكار الناضجة، وقد استضأنا من أُجوزة آية اللّه الحجة الشيخ محمدّحسين الأصفهاني (رحمه الله) التي ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة، وكوائم نفيسة، سمت بأبي الفضل إلى أوج العظمة، وأخذت به إلى حظائر القدس، وصعدت به إلى أعلى مرتبة من العصمّة.

وممّا يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق: " لعن اللّه أمةُ استحلتّ منك المحرم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام ".

فإنّ حرُمة الإسلام لا تنتهك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً، ومهما كان أثره في الإسلام مشكورا، إلا أنّ يكون هو الإمام المعصوم، فلو لم يبلغ العبّاس المراتب السماوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت لما استحقّ هذا الخطاب، وهذا معنى العصمة. نعم، هي غير واجبة، وممّا يستأنس منه العصمة له ما تقدّم من قول السجاّد (عليه السلام): "وانٍ لعميّ العباسّ منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة "[1].

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي " أبو الحسن علي الأكبر " الذي أفضنا القول في عصمّته.

وإذا كان العبّاس غير معصوم كيف يغبطه المعصوم على ما أُعطي من رفعة ومقام عالي؟ لأنّ المعصوم لا يغبط غيره، فلا بدّ أن للعباّس أعلى مرتبة من العصمة كما عرفت، ومن هنا غبط منزلته التي أعدت له جميع الشهداء، حتىّ من كان معصوما كعلي الأكبر وأمثاله، غير الأئمة صلوات اللّه عليهم أجمعين.

(1) الأمالي للشيخ الصدوق: 548 ، الخصال: 68 ، بحار الأنوار 22: 274 ، والنصّ: " وإن للعبّاس عند اللّه تبارك وتعالى منزلة عظيمة، يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة ".

الكرامات

من سنن اللّه الجارية في أوليائه: { وَ لَن تجَدِ لسَنةِ اللَّهِ تحوَّيلا }[1] إكرامهم بإظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفى منه، وذلك غير ما ادّخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآجلة، تقديراً لعملهم، وإصحارا بحقيقة أمرهم، ومبلغ نفوسهم من القوة، وحثا للملأ على اقتفاء آثارهم في الطاعة.

ومهما كان العبد يخفي الصالحات من أعماله فالمولى سبحانه وراغم ذلك الإخفاء بإشهار فضله، كما يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبرّه المتواصل، وأنّه جلتّ آلاؤه يظهر الجميل من أفعال العباد، ويزوي القبيح، رأفة منه، وحنانا عليهم.

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد المقرّبين وقباب المستشهدين في سبيل طاعته، من آثار العظمة، وآيات الجلالة، من

إنجاح المتوسّل بهم إليه تعالى شأنه، وإجابة الدعوات تحت قبابهم المقدّسة، وإزالة المثلات ببركاتهم، وتتأكدّ الحالة إذا كان المشهد لأحد رجالات البيت النبويّ ; لأنّه جلتّ حكمته نزّل العالمين لأجلهم، ولأن يعرفوا مكانتهم، فيحتنوا أمثالهم في الأحكام والأخلاق، فكان من المحتّم في باب لطفه وكرمه . عظمت نعمه أن يصحر الناس بفضلهم الظاهر.

(1) فاطر: 43.

ومن سادات ذلك البيت الطاهر الذي أذن اللّه أن يرفع فيه اسمه أبو الفضل العبّاس، فإنهّ في الطليعة من أولئك السادات، وقد بذل في اللّه ما عزّ لديه وهان، حتىّ اتصلت النوبة إلى نفسه الكريمة التي لفظها نصب عينه . عز ّذكره .، فأحيى سنته الجارية في الصديقين فيه بأجلى مظاهرها، ولذلك تجد مشهده المقدّس في آناء الليل وأطراف النهار مزدلف أرباب الحوائج: من عاف يستمنحه برّه، إلى عليل يتطلبّ عافيته، إلى مضطهد يتحرّى كشف ما به من غم،ّ إلى خائف ينضوي إلى حمى أمنه، إلى أنواع من أهل المقاصد المتنوّعة، فينكفأ ثلج الفؤاد بنجح طلبته قرير العين بكفاية أمره إلى منتجزّ بإعطاء سؤله، كل ّهذا ليس على اللّه بعزيز ولا من المقرّبين من عباده ببعيد.

ولكثرة كراماته وآيات مرقده التي لا يأتي عليها الحصر، نذكر بعضاً منها تيمناً، ولئلا ّيخلو الكتاب منها، وتعريفا للقراء بما جاد به قطب السخاء على من لاذ به واستجار بتربته.

الأُولى:

ما يحدّث به الشيخ الجليل العلاّمة المتبحرّ الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفى سنة 1313 هـ، من تلامذة الشيخ الأنصاري أعلى اللّه مقامه، قال:

زرت الإمام الشهيد أبا عبد اللّه الحسين، ثمُ ّقصدت أبا الفضل العباسّ، وبينا أنا في الحرم الأقدس إذ رأيت زائرا منً الأعراب ومعه غلام مشلول، وربطه بالشباك، وتوسّل به وتضرّع، وإذا الغلام قد نهض وليس به علةّ، وهو يصيح: شافاني العبّاس، فاجتمع الناس عليه، وخرقوا ثيابه للتبرك بها.

فلمّا أبصرت هذا بعيني تقدمّت نحو الشباك وعاتبته عتابا ًمقذعا، ًوقلت: يغتنم المعيدي الجاهل منك المنىُ وينكفأ مسرورا، ً وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك، والتأدّب في المثول أمامك، أرجع خائباً لا تقضي حاجتي؟! فلا أزورك بعد هذا أبداً، ثمُ ّراجعتني نفسي، وتنبهّت لجافي عتبي، فاستغرت ربي سبحانه مما أسأت مع (عباس اليقين والهداية).

ولمّا عدُت إلى النجف الأشرف أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري قدسّ اللهّ روحه الزاكية، وأخرج صرتينّ وقال: هذا ما طلبته من أبي الفضل العبّاس، اشتري دارا،ً وحجّ البيت الحرام، ولأجلهما كان توسليّ بأبي الفضل[1].

ومَا عَجبِت مُن َأبي الفضل عَجبتُ من أستُاذنَا إذَ علما َ

كَما

لأنّ شبل َالمرتضَى لم يَغربَ إذا أتى بمُعجزِ أو معجْبَ

بِكُلِّ يومَ بل َبكل سُاعِّة لَمن أتاهَ قاصَدا رِباعِه

وهُوَ من الشيخَ عِجيبَ بينُ لكن نُورَ اللهّ يرنوَ المُؤمن (2)

الثانية:

ما في أسوار الشهادة ص325 قال: حدّثني السيّد الأجل العلامّة الخبير السيد أحمد ابن الحجة المتتبع السيد نصّر الله المدرّس الحاؤي قال: بينا أنا في جمع من الخدّام في صحن أبي الفضل، إذرأينا رجلا خارجا من الحرم، مسرعا، واضعا يده على أصل خنصره والدم يسيل منها، فأوقفناه نتعرّف خبره،

(1) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الأنصاري، وذكرها في الكبريت الأحمر ج3 ص50 قال: وذكرها عنه جماعة من أكابر العلماء والثقات المتديّنين.

(2) للعلاّمة الشيخ محمّد السماوي.

فأعلمنا بأنّ العبّاس قطعها، فرجعنا إلى الحرم فإذا الخنصر معلق بالشباك ولم يقطر منه دم، كأنهّ قطع من ميت، ومات الرجل من الغد، وذلك لصدور إهانة منه في الحرم المقدّس.

الثالثة:

ما حدّثني به العلاّمة البارع الشيخ حسن دخيل حفظه اللهّ عما شاهده بنفسه في حرم أبي الفضل (عليه السلام)، قال: زرت الحسين (عليه السلام) في غيّر أيام الزيارة، وذلك في أواخر أيامّ الدولة العثمانية في العراق، في فصل الصيف، وبعد أن فرغت من زيارة الحسين (عليه السلام) توجّهت إلى زيارة العبّاس (عليه السلام)، قرب الزوال، فلم أجد في الصحن الشريف والحرم المطهّر أحداً لحرارة الهواء، غير رجل من الخدمة واقف عند الباب الأولّ، يقدرّ عمره بالستينّ سنة، كأنه مرّاقب للحرم، وبعد أن زرت صلّيت الظهر والعصر، ثمّ جلست عند الرأس المقدسّ، مفكرا فيّ الأبهةُ والعظمة التي نالها قمر بني هاشم عن تلك التضحية الشريفة.

وبينا أنا في هذا إذرأيت امرأة محجّبة من القرن إلى القدم، عليها آثار الجلالّة، وخلفها غلام يقدرّ بالستةّ عشر سنة، زي أشراف الأكراد، جميل الصورة، فطافت بالقبر والولد تابع.

ثُمّ دخل بعدهما رجل طويل القامة، أبيض اللون مشوبا بحمرة، ذو لحية، شعره أشقر، يخالطه شعرات بيض، جميل الزيّ، كودي اللباس والزي، فلم يأت بما تصنعه الشيعة من الزيارة أو السنّة من الفاتحة، فاستدبر القبر المطهّر، وأخذ ينظر إلى السيوف والخناجر والدرق المعلقة في الحضرة، غير مكترث بعظمة صاحب الحرم المنيّع، فتعجّبت منه أشد العجب، ولم أعرف الملّة التي ينتحلها، غير أنّي اعتقدت أنه من متعلقيّ المرأة والولد.

وظهر لي من المرأة عند وصولها في الطواف إلى جهة الرأس الشريف التعجّب مما عليه الرجل من الغواية، ومن صبر أبي الفضل (عليه السلام) عنه، فما رأيت إلاّ ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن الأرض، ولم أرَ من رفعه وضرب به الشباك المطهّر، وأخذ ينبح ويدور حول القبر وهو يقفز، فلا هو بملتصق بالقبر ولا بمبتعد عنه، كأنّه متكهرب به، وقد تشنجّت أصابع يديه، وأحمر وجهه حُمرّة شديدة، ثمُ صار أزرقا، وكانت عنده ساعة علقها برقبته بزنجيل فضة، فكلما يُقفز تضرب بالقبر حتّى تكسرّت، وحيث إنهّ أخرج يده من عباءته لم تسقط إلى الأرض. نعم، سقط الطرف الآخر إلى الأرض، وبتلك القوات تخرّقت.

أمّا المرأة فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل (عليه السلام) قبضت على الولد، وأسندت ظهرها إلى الجدار، وهي تتوسّل به بهذه اللهجة: (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي).

فأدهشني هذا الحال، وبقيت واقفاً لا أدري ما أصنع، والرجل قويّ البدن، وليس في الحرم أحد يقبض عليه، فدار حول القبر مرّتين، وهو ينبح ويقفز، فرأيت ذلك السيدّ الخادم الذي كان واقفاً عند الباب الأولّ دخل الروضة الشريفة، فشاهد الحال، فرجع وسمعته ينادي رجلاً اسمه جعفر من السادة الخدام في الروضة، فجاءا معاً، فقال السيدّ الكبير لجعفر: اقبض على الطرف الآخر من الخزام، وكان طول الخزام يبلغ ثلاثة أذرع، فوقفا عند القبر حتّى إذا وصل إليهما وضعا الخزام في عنقه وأدراه عليه، فوقف طيعاً لكنهّ ينبح، فأخرجاه من حرم العباسّ وقالا للمرأة: اتبعينا إلى (مشهد الحسين)، فخرجوا جميعا وأنا معهم، ولم يكن أحد في

الصحن الشريف، فلمّا صرنا في السوق بين (الحرمين) تبعنا الواحد والإثنان من الناس ; لأنّ الرجل كان على حالته من النبح والاضطراب، مكشوف الرأس، ثُمّ تكاثر الناس.

فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (علي الأكبر)، فهدأت حالته ونام، وقد عرق عرقاً شديداً، فما مضى إلاّ ربع ساعة فإذا به قد انتبه مرعوباً، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلاّ اللهّ وأشهد أن مّحمداً عبدُه ورسوله، وأن أميّر المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة رسول اللّه بلا فصل، وأنّ الخليفة من بعده ولده الحسن، ثمُ أخوه الحسين، ثم عُلي بن الحسين، وعد الأئمة إلى الحجّة المهدي عجّل اللهّ فرجه.

فسُئل عن ذلك قال: إنّي رأيت رسول اللهّ الآن وهو يقول لي: اعترف بهؤلاء وعدهمّ علي، وان لم تفعل يهلكك العباسّ. فأنا

أشهد بهم وأتوسّأ من غورهم.

ثُمّ سئل عمّا شاهده هناك فقال: بينا أنا في حرم العباسّ إذ رأيت رجلا طَويل القامة قبض علي وقال لي: يا كلب إلى الآن بعدك على الضلال، ثُمّ ضرب بي القبر، ولم يزل يضربني بالعصا في قفاي وأنا أفرّ منه.

ثُمّ سألت المرأة عن قصة الرجل فقالت: إنهّا شيعية من أهل بغداد، والرجل سنيّ من أهل السليمانية ساكن في بغداد، متدين بمذهبه، لا يعمل الفسوق والمعاصي، يحب الخصال الحميدة، ويتوّه عن الذميمة، وهو بندرجي تتن، وللمرأة أخوان حرفتهما بيع التتن، ومعاملتهما مع الرجل، فبلغ دينه عليهما ماءتا (لورة عثمانية)، فاستقرّ رأيهما على بيع الدار منه والمهاجرة من بغداد،

فأحضراه في دارهما (ظهراً)، واطلعاه على رأيهما، وعرّفاه أنهّ لم يكن دين عليهما لغيره، فعندها أبدى من الشهامة شيئاً عجيباً، فأخرج الأوراق وخرقها، ثمُ أحرقها وطمئنهما على الإعانة مهما يحتاجان.

فطارا فرحاً، وأرادا مجازاته في الحال، فذاكرا المرأة على التزويج منه، فوجدا منه الرغبة فيه، لوقوفها على هذا الفضل مع ما فيه من التمسّك بالدّين واجتناب الدنايا، وقد طلب منهما مراراً اختيار المرأة الصالحة له، فلما تذكرا له ذلك زاد سروره، وانشرح صدره بحصول أُمنيته، فعقدا له من المرأة وتزوّج منها.

ولمّا حصلت عنده طلبت منه زيارة الكاظميين إذ لم تزرهما مدةّ كونها بلا زوج، فلم يجبها، مدعيا أنهّ من الخرافات، ولما ظهر عليها الحمل سألته أن ينذر الزيارة إن رُزق ولداً، ففعل، ولما جاءت بالولد طالبته بالزيارة فقال: لا أفي بالنذر حتىّ يبلغ الولد، فأيست المرأة، ولمّا بلغ الولد السنةّ الخامسة عشر طلب منها اختيار الزوجة، فأبت ما دام لم يفِ بالنذر، فعندها وافقها على الزيارة مكرهاً، وطلبت من الجوادين الكرامة الباهرة ليعتقد بإمامتهما، فلم ترَ منهما ما يسرهّا، بل أساءها سخريته واستهزاؤه.

ثُمّ ذهب الرجل بالمرأة والولد إلى العسكريين، وتوسلّت بهما، وذكرت قصة الرجل، فلم تشرق عليه أنوارهما، وزادت السخرية منه.

ولمّا وصلا كربلاء قالت المرأة: نقدمّ زيارة العباسّ (عليه السلام)، وإذا لم تظهر منه الكرامة وهو أبو الفضل وباب الحوائج لا أزور أخاه الشهيد، ولا أباه أمير المؤمنين، ولرجع إلى بغداد، وقصّت على

أبي الفضل قصّة الرجل، وعرّفته حال الرجل وسخريته بالأئمة الطاهرين، وأنهّا لا تزور أخاه ولا أباه إذا لم يتلطفّ عليه بالهداية وينقذه من الغواية، فانجح سؤلها، وفاز الرجل بالسعادة.

الرابعة:

ما في كتاب " إعلام الناس في فضايل العبّاس " تأليف الراكي التقي السيدّ سعيد بن الفاضل المهذبّ الخطيب السيدّ

(1)

إبراهيم البهبهاني قال:

تزوّجت في أوائل ذي القعدة سنة 1351 هـ، وبعد أن مضى أُسبوع من أيام الزواج أصابني زكام صاحبته حمّى، وباشرني أطباء النجف فلم انتفع بذلك، والمرض يزايد، ومن جملة الأطباء الطبيب المرحوم (محمّد زكي أباظة).

وفي أول جماد الأول من سنة 1353 هـ خرجت إلى " الكوفة " وبقيت إلى رجب، فلم تنقطع الحمّى، وقد استولى الضعف على بدني حتّى لم أقدر على القيام، ثُمّ رجعت إلى النجف وبقيت إلى ذي القعدة من هذه السنة بلا مراجعة طبيب، لعجزهم عن العلاج.

وفي ذي الحجّة من هذه السنة اجتمع الطبيب المرحوم

(1) هو ابن السيّد محمّد ابن السيّد جعفر ابن سيّد محمّد ابن سيّد هاشم ابن سيّد محمّد ابن سيّد عبدالله بن سيّد محمّد الكبير بن سيّد عبدالله البلادي بن سيّد علوي، عتيق الحسين، بن سيّد حسين الغريفي بن سيّد حسن بن سيّد أحمد بن سيّد عبدالله بن سيّد عيسى بن سيّد خميس بن سيّد أحمد بن سيّد ناصر بن سيّد علي بن كمال الدّين بن سيّد سلمان بن سيّد جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمّد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبسي علي محمّد الحسن بن محمّد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد بن الإمام الكاظم (عليه السلام)، ولهذه الكرامة كتب السيّد سعيد كتاباً في أحوال العبّاس يزيد على أربعمائة صفحة، أجهد نفسه، وسهر الليالي في جمعه وتبويبه، جزاه اللّه خير الجزاء.

المذكور مع الدكتور محمّد تقي جهان وطبيبين آخرين جاؤوا من بغداد وفحصوني، فاتفقوا على عدم نفع كُلّ دواء، وحكموا بالموت إلى شهر.

وفي محرّم من سنة 1354 هـ خرج والدي إلى قرية القاسم ابن الإمام الكاظم (عليه السلام)، للقراءة في المآتم التي تقام لسيّد الشهداء، وكانت والدتي تمرّضني، ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً.

وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهيباً وسيماً جميلاً، أشبه الناس بالسيد الطاهر الزكي (السيد مهدي الرشتي)، فسألني عن والدي، فأخبرته بخروجه إلى القاسم، فقال: إذن مَن يقرأ في عادتنا يوم الخميس، وكانت الليلة ليلة خميس، ثُمّ قال: إذن أنت تقرأ.

ثُمّ خرج وعاد إلى وقال: إنّ ولدي السيد سعيد [1] مضى إلى كربلاء يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العبّاس، وفاء لنذر عليه، فأُمضي إلى كربلاء واقرأ مصيبة العبّاس، وغاب عنيّ.

فانتبهت من النوم ونظرت إلى والدتي عند رأسي تبكي، ثُمّ نمت ثانياً، فأتاني السيد المذكور وهو يقول: ألم أقل لك: إن

(1) ولد السيّد مهدي الرشتي سنة 1303 هـ، توفّي في النجف يوم 14 رجب سنة 1358 هـ، ودفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القزّازين، وكان السيّد رحمه اللّه باذلاً نفسه ونفيسه في خدمة أجداده الأئمة المعصومين، وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق)، يقيمون فيها مراسيم العزاء والفرح للأئمة (عليهم السلام) لا يعدلون بها بدلاً، وفّقهم اللّه لما يرضيه.

وأما ولده السيّد سعيد فكانت ولادته في سنة 1322 هـ وتوفّي في 15 ذي القعدة سنة 1355 هـ، ودفن في الحجرة مع أبيه، وقام السيّد صالح أبيه في إقامة الأفراح والمآتم، فنعم الخلف لذلك السيّد الطاهر.

ولدي سعيد ذهب إلى كربلاء وأنت تقرأ في مأتم أبي الفضل، فأجبته إلى ذلك، فغاب عنّي، فانتبهت.

وفي المرّة الثالثة نمت فعاد إليّ السيدّ المذكور وهو يقول بزجر وشدة: ألم أقل لك امضي إلى كربلاء، فما هذا التأخير؟! فهبته في هذه المرّة وانتبهت مرعوباً.

وقصصت الرؤيا من أوّلها على والدتي، ففرحت وتفاءلت بأنّ هذا السيدّ هو أبو الفضل، وعند الصباح عزمَتِ على الذهاب بي إلى حرم العبّاس، ولكن كلّ من سمع بهذا لم يوافقها، لما رآه من الضعف البالغ حدهّ، وعدم الاستطاعة على الجلوس حتىّ في السيارة، وبقيت على هذا إلى اليوم الثاني عشر من المحرم، فأصرّت الوالدة على السفر إلى كربلاء بكلّ صورة، فأشار بعض الأرحام على أن يضعوني في تابوت، ففعلوا ذلك، ووصلت ذلك اليوم إلى القبر المقدّس، ونمت عند الضريح الطاهر.

وبينا أنا في حالة الإغماء في الليلة الثالثة عشر من المحرّم، إذ جاء ذلك السيدّ المذكور وقال لي: لماذا تأخرتّ عن يوم السابع وقد بقي سعيد بانتظارك، وحيث لم تحضر يوم السابع فهذا يوم دفن العبّاس وهو يوم 13 ، فقم واقرأ، ثُمّ غاب عنيِّ، وعاد إلّي ثانياً وأمرني بالقراءة وغاب عنيِّ، وعاد في الثالثة ووضع يده على كتفي الأيسر ; لأنيّ كنت مضطجعا علًى الأيمن، وهو يقول: إلى متى النوم؟ قم واذكر (مصيبتي)، فقمت وأنا مدهوش مذعور من هيبّته وأنواره، وسقطت لوجهي مغشياً علىَّ وقد شاهد ذلك من كان حاضراً في الحرم الأطهر.

وانتبهت من غشوتي وأنا أتصبّب عرقاً، والصحة ظاهرة علىَّ وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشر من المحرّم سنة 1354 هـ.

فاجتمع علىَّ مَن في الحرم الشريف، وأقبل منَ في الصحن والسوق، وازدحم الناس في الحضرة المنورة، وكثر التكبير والتهليل، وخرق الناس ثيابي، وجاءت الشرطة فأخرجوني إلى البهو الذي هو أمام الحرم، فبقيت هناك إلى الصباح.

وعند الفجر تطّهرت للصلاة، وصليّت في الحرم بتمام الصحة والعافية، ثمُ قرأت مصيبة أبي الفضل (عليه السلام)، وابتدأت بقصيدة السيّد راضي بن السيدّ صالح القزويني وهي:

أبَا الفضَل ِيا مَن َأسْس َالفَضل َوالإبا أَبا الفضل إلاّ أن تكَونُ لَه أَبا ُ

والأمر الأعجب أنّي لمّا خرجت من الحرم قصدت ُدارا لبعض أرحامنا بكربلاء وبعد أن قرأت مصيبة العباسّ خلوت بزوجتي، وببركات أبي الفضل حملت ولداً سميّته " فاضل "، وهو حيّ يرزق، كما رزقت عبدالله وّحسنا ومًحمدا وّفاطًمة كنيتها أُم البنين.

هَذه ِمن علاه ُإَحدى َالمعاليَ ِ وعَلَى هذَه ِفقسَ ِما سوَاها ِ َ

وذكر أنّ السيّد الطاهر الزاكي السيدّ مهدي الأعوجي، وكان خطيبا نائحا لهً مدائح ومراثي لأهل البيت (عليهم السلام) كثيرة، ورد النجف يوم خروجي إلى كربلاء، فبات مفكّراً في الأمر، وكيف يكون الحال؟! وفي تلك الليلة الثالثة عشر رأى في المنام كأنّه في كربلاء، ودخل حرم العبّاس، فرأى الناس مجتمعين علىّ وأنا أقرأ مصيبة العباسّ، فارتجل في المنام:

لَقد كنُت َبالسلِ الّموحُ دوّاه فشافانَي العباسُ من مرض ِالسل ِ
ففضلت بينَ الناسِ قدرَا وانماً لي الفضل إذ أنّي عتيقُ أبي الفضلِ

وانتبه السيّد من النوم يحفظ البيتين، فقصد دارنا وعرّفهم بمارآه، وفي ذلك اليوم وضح لهم الأمر.

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الأُدباء الذين رأوا السيدّ سعيد في الحالين الصحة والمرض.

فمنهم السيّد الخطيب العالمّ السيدّ صالح الحليّ (رحمه الله).

بأبِي الفضَلِ استجرَنا فَحبانا َمنهِ منُحهُ
وطَلَبنا أن يداوِي ألَمَ القلبَ ّوجرحهُ
فكسا اللهّ سعيَدا بعد سُقم ثوَبُ صحِه
بدل الرحمن منه قرحة القلب بفرحه

وقال الخطيب الفاضل الأُستاذ الشيخ محمدّ علي اليعقوبي:

بأبي الفَضلُزال َعنيّ سقامي مُذ كسَاني من َالشفاء بِرودُا
وحَباني منَ السعادة ِحتىّ صرُت في النشَأتين ادُعى سعيدا

وقال العلاّمة الشيخ علي الجشي أيده اللهّ:

سعيدٌ سعدتَ وجزت َالخطر من السلِّ في مثلِ لمح ِالبصَر ْ

غداةَ التجأتَ لمثوى بهِ أبو الفضلِ حلَّ فؤد القدرَ

وقال السيّد حسون السيدّراضي القزويني البغدادي:

سعيدٌ لقدْ نالَ الشفاِ من أبي الفضَلْ ِ ولولاه كانَ السقم يأذنُ بالقتلِ

ولا غروَ أن نال الشفا منهُ أنهّ ُ أبو الفضلِ أهلَ للمكارمِ والفضَل ْ ِ

وله أيضاً:

ذا سعيد بالوءِ أضحى سعيداً وحَباه الإله عُمْراً َجَديدا ً

من أبي الفضلِ بالشفا نالَ فضَلاً ً وامتناناً ونالَ عيَشْاً رغًيدا ً

وللأديب الكامل السيّد محمدّ بن العلامّة السيدّرضا الهندي (رحمه الله).

لَمْ أنسَ فضلك يَا أبا الفضل الِذى ِ هيهات أن يُحصى ثناه مفُصلا

يكفيكَ يوم الطفِّ موقفكُ اَلذي قَدْ كان ألمع َما يكون وأفضلا

ولقدْ نصرتَ به ِالنبى بّسبطه ِ وغدوتَ في دنيا الشهادةِ أولا

وأَنا الذىِ قد ْكان دائي مهلْكا ِ ً وأجرْتني لمّا استجرت ُمؤملاّ

ألبستَني ثوبَ الشفِاء وعدت ُ حيّاً فيك َيا ساقي عطاشى كربلا

وللخطيب الذاكر الفاضل الشيخ عبد علي الشيخ حسين.

سعيد التجى من ضوّه ِوسقامه ِ بقبر أبي الفضلِ المفدّى فعافاه

لعمري ترى الأقدارَ طوع َيمينه ِ كوالِده ِالكرارّ يمناه يمناه

فآب وإبراهيم قرّت عيونهُ ُ بوءِ سعيدِ الندب ِيشكر مولاه

سعيد سعيداً عش بظلِّ لوائهِ بأسعدِ يوم لا يزال وأهناه

بفضلِ أبي الفضلِ الفضيلة حزتها ولولاه لم تنجُو من الضرِّ لولاه

وللشيخ جعفر الطويفي:

عجزَ الطبيبُ لعلتّي وقلاني وعجزتُ من سقميِ وطولِ زماني

هجرَ الصديقُ زيارتي وكأنني ما زرتُه في سقمهِ فجفاني

حتّى إذا قالوا فقلوّا خفية هجروا الأواني خيفةَ العدوان

فقصدتُ باباً للحوائج والشفا العبّاس باباً للشفا فشفاني

لَولاه ولاني التوابُ بحفوتي نِعمَ الطبيب الأوحد الوبانّي

وللشيخ كاظم السوداني:

فكَمْ لأبي الفضلِ الأبي كرامات لها تليت عند البريّة آيات

وشراته كالشَمس في الأفق لها من نباتِ المجدِ أومت

شوهدت إشارات

سعيد سعيداً عادَ منها إلى الشفا به انسلّ عنه السِلّ إذ كم به ماتوا

أبو الفضلِ كَمْ فضل له ومناقب فيا جاحديه مثل برهانه هاتوا

هو الشبل شبل من عليّ وفي الوغى له أثر من بأسه وعلامات

لقد شعّت الأكوان من بدر فضله بأنواره أرّخ (وفيها مضيئات)

وللخطيب الشيخ حسن سبتي:

ألا عش سعيداً يا سعيدَ منعمّا مدى الدهرِ إذ عُوفيت من فتكة السلِّ

عتيق حسين كان جدّك أوّلا لذا صرتَ ثانيه عتيقَ أبي الفضلِ

وللسيّد نوري ابن السيدّ صالح ابن السيدّ عباسّ البغدادي:

بُشرى لأواهيم في نجلهِ من مرضِ السلِّ غدا سالما

أرأه العبّاس من فضلهِ وفضلُهُ بينَ الورى دائماِ

الخامسة:

حدّثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن ابن العلاّمّة الشيخ محسن ابن العلامّة الشيخ شريف آل الشيخ المقدسّ، صاحب الجواهر (قدس سره)، عن حاج منيشد ابن سلمان آل حاج عبودة، من أهل الفلاحيّة، وكان ثقة في النقل، عارفاً بصيراً، شاهد الكرامة بنفسه، قال:

كان رجل من عشيرة الواجعة يسمّى (مخيلف) مصاباً بمرض في رجليه، وطال ذلك حتىّ يبستا وصارتا في رفع الأصبع، وبقي على هذا ثلاث سنين، وشاهده الكثير من أهل المحمّرة، وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين (عليه السلام)، ويستعين بالناس، وهو يزحف على إليتيه ويديه، وقد عجز عن المباشرة ويئس.

وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمّرة (حسينية) يقيم فيها عزاء الحسين (عليه السلام) في العشرة الأولى من المحرم، ويحضر هناك خلق كثير، حتّى النساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحسينية، والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها أنّ (الخطيب النائح) إذا وصل في قراءته إلى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة، وهكذا النساء في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العبّاس، وهذا الرجل أعني (مخيلف) يأتي الحسينية (ويجلس تحت المنبر لأنّ رجليه ممدودتان)[1]، وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً، وبينا هم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانة في رجليه (مخيلف) واقفاً معهم يلطم، ولهجته: " أنا مخيلف قيّمني العبّاس ".

وبعد أن تبيّن الناس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتوا عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها، وازدحموا عليه يقبلوّن رأسه ويديه،

فأمر الشيخ جرجس غلمانه أن يرفعوه إلى إحدى الغرف ويمنعوا الناس

(1) هذه الجمّلة التي بين قوسين حدّثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور ملاّ عبد الكريم، وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم.

عنه، وصار ذلك اليوم في المحرّة أعظم من اليوم العاشر من المحرّم، وصار البكاء والعويل والصواخ من الرجال، وأمّا النساء فمنهنّ من تهلهل، وأُخرى تصوخ، وغيرها تلطم.

وذكر لي ملاّ عبد الكريم الخطيب من أهل المحرّة، وكان حاضراً وقت الحديث، أن الشيخ جرجس في كل يوم يصنع طعاماً لأهل المجلس في الظهر، وفي ذلك اليوم تأخّر الغداء إلى الساعة التاسعة من النهار لبكاء الناس وعويلهم.

وقال العلاّمة الشيخ حسن المذكور: ثمّ إنه سئلُ مخيلف عمارآه وشاهده؟ فقال: بينا الناس يلطمون على العباس أخذتني سنة وأنا تحت المنبر، فرأيت رجلاً جميلاً طويل القامة، على فرس أبيض عال في المجلس وهو يقول: يا مخيلف لمِ لا تلطم على العبّاس مع الناس؟

فقلت له: يا أغاتي لا أقدر وأنا بهذا الحال.

فقال لي: قم والطم على العبّاس!

قلت له: يا مولاي أنا لا أقدر على القيام.

فقال لي: قم والطم!

قلت له: يا مولاي أعطني يدك لأقوم؟

فقال: " أنا ما عندي يدين "!

فقلت له: كيف أقوم؟

قال: الزم ركاب الفرس وقم، فقبضت على ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر وغاب عنّي، وأنا في حالة الصحة، وعاش سنتين أو أكثر ومات.

وحدّثني المهذّب الكامل ميرزا عباس الكرماني أنهّ تعسرّت عليه حاجة، فقصد أبا الفضل واستجار بضريحه، فما أسرع أن فتحت له باب الرحمة وعاد بالمسرّة بعد اليأس مدّة طويلة فأنشأ:

أبا الفضل إنّي جئتكَ اليوم سائلا ً لتيسير ما أرجو فأنتَ أخُو الشبلِ

فلا غروَ إن أسعفتَ مثلْي بائسِا ً لأنّكَ للحاجات تدُعى أبو الفضلِ

هذا ما أردنا إثباته من الكرامات، وهو قطرة من بحر، فإنّ الإتيان عليها كلّهاً يحتاج إلى مجلد كبير ; لأن الله سبحانه منح (حامي الشريعة) جزيل الفضل، وأجرى عليه من الفيض الأقدس ما لم يحوه بشر غير الأنبياء المقرّبين والأئمة المعصومين، جزاءً لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرنّ رجع صداه المؤلم في مسامع القرون والأجيال، مذكراً بما أبداه أبو الفضل من إباء وشمم وكر واقدام، وتضحية دون الشرع القويم.

اللواء

اللواء: ما يُعقد على رمح أو عصا، ويقال له: (الراية)، كما يطلق عليهما (العلم)، هذا عند أهل اللغة.

وعند المؤرّخين أنهما شيئان، فذكروا أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عقد لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في رمضان أول الهجرة، وفيه يقول حمزة:

فما برحوا حَتّى انتدبت لغزة لهم حيث حلوا ابتغي راحة الفضل
بأمر رسول اللّه أول خافق عليه لواء لم يكن راح من قبل
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فضله أفضل الفعل

وأوّل راية عقدها للمسلمين في شوال من هذه السنة[1].

والمعقود على رمح أو غيره إن كان واسعاً فهو الراية، وإلاّ فاللواء، ويقال للعلم الكبير: البند والعقاب، إن خصّ الثاني بما

(1) السيرة النبوية لابن هشام 2: 428، الاستيعاب عبد البر 1: 370، تاريخ خليفة بن خياط: 34، المعارف لابن قتيبة: 422، تاريخ الطبري 2: 121 . لكن ابن هشام وغيره قال: " وقد زعموا أنّ حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أنّ رايته أوّل راية عقدها رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق إن شاء اللّه.. فأمّا ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث أوّل من عقد له ".

يعقده للولاة[1]، والتسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم، فإنّ العقاب والنسر شارة الرومان يرسمونها على أعلامهم وينقشونها على أبنيتهم[2].

وكان أعلام الروم كبيراً تحت كلّ علم عشرة آلاف أو أكثر[3].

وكانت راية كسرى يوم الجسر سنّة 13 هجرية من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً، وهي المسمّاة " درفش كابيان "[4].

وهذه الراية كانت محفوظة في خزائنهم، ولم تكن بهذه السعة وإنّما زادوا عليها تبركاً، والأصل فيها أن الضحاكّ بيوراسف خرجت من منكبيه سلعتان، فكان إذا اشتد عليه الألم طلاهما بدماغ إنسان يذبحه، فلاقى الناس منه عناء ونكد وجور، فأخذ ابنين لرجل من أهل أصبهان اسمه " كابي " فشقّ عليه، فدعا الناس للخروج على الضحّاك، وأخذ عصا وعلقّ عليها جرابا وتبعه الناس، فتغلّب على الضحّاك وخلعوه عن الملك، واستراحوا من جوره، فعظموّا ذلك العلم، وتفألوا به، وزادوا فيه حتىّ صار عند ملوك العجم العلم الأكبر الذي يتبرّكون به وسموّه " درفش كابيان "[5].

(1) تاج العروس بمادة عقب 2: 253، نقلاً عن لسان العرب لابن منظور 1: 621.

(2) المصدر غير موجود.

(3) لسان العرب 3: 97، تاج العروس 4: 366.

(4) تاريخ الطبري 2: 639، الكامل في التاريخ لابن الأثير 2: 438.

(5) تاريخ الطبري 1: 136، البداية والنهاية لابن كثير 7: 33.

كما احتفظ الأمويون براية ابن زياد التي أخرجها يوم الطفّ، ففي تاريخ (يزد) للآيتي ص72 : أن أبا العلاء الطوفي كان هو وأبوه من عمّال الأمويين، طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلقّب (بالطوفي)، وكان معلمّاً لهشام بن عبد الملك، فلما ولّي هشام المُلك أراد أن يكافأه على خدمته، فبعثه عاملاً (على يزد) ودفع إليه تلك الراية، فسار أبو العلاء إلى (يزد)، ونصب الراية في البستان المشهور باسمه، ودعا أهل يزد إلى بيعة الأمويين، وكانوا على طريقة أهل البيت (عليهم السلام)، وأخذهم على ذلك أخذاً شديداً، وعاملهم بالقسوة والجور، وبقوا يتقلبوّن على حسك الظلم إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني أيامّ مروان الحمار، وتصرّف في خراسان وفارس سنة 132 وسنة 133 هجرية، فراسله اليزديوّن وطلبوا إنقاذهم من مخالب الطوفي، فبعث أبو مسلم محمّد الزمجي إلى أصفهان ويزد.

وبلغ الطوفي إقباله بجيش جرار، وأن اليزديّين معه، فخرج ليلاً من يزد إلى قرية " ابرند آباد "، فبعث محمدّ الزمجي جماعة فقبضوا عليه وأتوا به إلى يزد، وتجمهر اليزديوّن رجالاً ونساء عليه، واستقرّ الرأي على إحراقه والراية معه، ففعل بهما ذلك وانتهبوا القصر والبستان.

وإنّ المصادر التاريخية لم ترشدنا إلى أوّل من رفع اللواء، ويقوي في الظن أنّ (كابي) المتقدمّ أوّل من اتخذه، كما أن الخليل ابراهيم (عليه السلام) أوّل من اتخذ الرايات، وذلك لما غلب الروم على لوط

وأسروه رفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم، فغلبهم واسترجع لوطاً[1].

ولمّا جاء الإسلام، وانتشر العرب في أنحاء الشام وفارس ومصر، وتعددّت دولهم، كثرت ضروب الألوية عندهم، وتنوعت أشكالها، وتعدّدت ألوانها وأطالوها وسموّها بأسماء مختلفة، حتىّ تفاخروا بتعدادها، فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما

خوج إلى فتح الشام خمسمائةراية ومثلها البوقات.

وكانوا ينقشون علىراياتهم أسماء الخُلفاء والسلاطين والقواد، رُهاباً واعزازاً وتفؤلا بالظفر، فقد كتب ابن بشكم علىرايته (الوائقي) نسبة إلى ابنرائق، وربما كتبوا آيات القرآن عليها، فقد وجد في دير الظاهر مدينة وغوس في الأندلسراية من الحرير الخالص مطرزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية[2].

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحبر على لوائه: { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }[3]، ثُمَّ إِنَّهُ عقد لواء بعثه إليه إبراهيم الإمام اسمه " الظل " علىرمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد آخر بعث به إليه اسمه " السحاب " علىرمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً[4].

---

(1) تهذيب الأحكام 6: 170، باب النوادر، مستدرك الوسائل 11: 9.

(2) التمدّن الإسلامي 1: 196 . وفي الصفحة 168 ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق، فمن ذلك أنّهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له: " خزانة البنود " اختزنوا فيها الأعلام والرايات والأسلحة والسروج واللجم المذهبة والمفضّضة، وكانوا ينفقون عليها في كلّ سنة ثمانين ألف دينار، ولما احترقت الدار بما فيها قدّرت الخسارة بثمانية ملايين دينار، وكان في جملتها لواء يسمّونه: لواء الحمد.

(3) الحجّ: 39.

(4) تاريخ الطوي 6: 25.

أمّا الوان الألوية والرايات فلا يُعرف عنها شيء في الجاهلية سوىراية العقاب فإنهّا سوداء، وكذلكراية النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويقال: إنّرايات العرب كانت بيضاء[1].

أمّارايات النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مغازيه فمختلفة، ففي بدر كانتراية حمزة حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء، ويوم أُحد وخيبر اللواء والراية أبيضان[2]، وفي عين الوردة الراية بلقاء[3].

وكانت أعلام بني أُميّة حمر، وكلُ مّن دعا إلى الدولة العلوية فعلمه أبيض، ومن دعا إلى الدولة العباسية فعلمه أسود، ويقرب في الظنّ أنّ شعار العلويين الخضرة حتىّ فيراياتهم، فإن المأمون لما عقدولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام) ألزم الناس بالخضرة وترك شعار العباسيين.

نعم، لمّا عقد المتوكّل لبنيه البيعة عقد لكلُواحد منهم لوائين، أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل[4].

وكيف كان، فالراية: عقد نظام العسكر وآيةزحفهم، فلا يخالون انجفالاً ما دامت تسوي أمامهم، فهي بتقدّمها شارة الظفر وعلامة الفوز، فلن تجد جحفلاً منثالاً وفيلقاً ملتاثا إلّا إذّا انكفأت الراية أو أصيُب حاملها، فخرت، ولذلك لا تعطىُ إلا للأكفّاء الحُماة الغيارى على المبدأ، ممنّ لا يجبنه الخور أو يفشله الضعف أو يخذله الطمع.

(1) آثار الدول للقرماني.

(2) مناقب آل أبي طالب 3: 84.

(3) تاريخ الطوي 4: 469.

(4) التمدّن الإسلامي 1: 166.

وفي قول سيّد الوصيين (عليه السلام) شاهد عدل على هذا، فإنّه كان يحرّض الناس يوم صفين ويقول: "ولا تميلوا راياتكم ولا تزيلوا،ولا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم، فإنّ المانع للذمار والصابر عند نزول الحقايق هم أهل الحفاظ..واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحتفون راياتهم ويكتنفونها، ويصيرون حفافيها ووراءها وأمامها،ولا يضيعونها،ولا يتأخّرون عنها فيسلمونها،ولا يتقدّمون عنها فيفردونها "[1].

ولقد كان حملة الرايات يتهالكون دون حملها إلى آخر قطرة تسقط من دمائهم، حذراً من وصمة الجبن، وشية العار، وسمة الخزي،ولا يدع لهم ثبات الجأش، وحمى الذمار، واصرة الشرف أن يلقوها ما دامت أيديهم تقلّها.

لا عَيبَ فيهم غيرَ قبضَهم اللوا عندَ اشتباكِ السمُر قبضَ ضَنينَ

من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين في جميع مغازي الرسول ولم يفته مشهد إلاّ " تبوك " حيث لم يقع فيها قتال[2]، وإلاّ لمّا تركه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة مع ما يعلمه من بلائه واقدامه.

وفي يوم بدر أعطاه الرسول (راية الإسلاّم)، فزحف بها والمسلمون خلفه ولمّا يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، فأظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) فيها من البسالة والنجدة والبأس ما أطاش

(1) الكافي للكليني 5: 39، ونحوه في نهج البلاغة 2: 3، تاريخ الطبري 4: 11.

(2) السوة الحلبية 3: 119 ، أمتاع الاسماع للمقريزي 9: 264 ، وكذلك يظهر من تاريخ الطوي 2: 373.

الألباب، وحيّر العقول، وجبّن الشجعان، ووضع من قوها، فطار (أبو الحسن) بذكرها، وحاز مجدها، واستأثر بفضلها.

وإنّ عمله في هذا اليوم الذي كسر اللّه به شوكة المشركين، وفلّ خدهم، لمن خوارق العادة، وأجل الكرامات، إذ لم يباشر قبله حرباً ولا نزل قرناً، فعمل في ذلك الجمع من النكاية والقتل الذريع ما لم يشاهد مثله، مع أنّ أكثر الجمع قد مارس الحرب، وقاسى الأهوال، وخاض الغمرات، وبارز الشجعان.

وأمّا يوم أُحد فكان اللواء مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار، وانمّا أعطاه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) جرا

لقلوب من آمن به من بني عبد الدار، خصوصاً لمّا كان لواء المشركين مع قومهم من بني عبد الدار، وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وأدّى حقّ اللواء حتىّ قطعت يده اليمنى، ثم أُليسرى، واذ قطعت ضم اللّواء إلى صدره حتى طّعن بالرمح في ظهره فسقط إلى الأرض قتيلاً، دفع النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء إلى صاحبه (أبي الريحانتين)، فكان لأمير المؤمنين (عليه السلام) من البلاء العظيم والمقامات المحمودة ما لم يكن لأحد قط، حتّى عجبت من ثباته وحملاته الملائكة بقتله أصحاب الألوية.

ولمّا كانت الدوة على المسلمين كان له الموقف المشهود، أبصر النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة فقال لعلي: " فرّقهم "، ففرّقهم، وقتل عمرو بن عبد اللهّ الجمحي، ثم أُبصر جماعة أخرى فقال له: " فرقهم "، فحمل عليهم، وقتل شيبة بن مالك، فقال جوائيل: هذه المواساة.

قال النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " وما يمنعه، إنّه منيّ وأنا منه ".

فقال جوائيل: وأنا منكما.

وسمعوا صوتاً:

لا سَيفُ َإلا ذّو الفقار ولا فَتىً إلا ّعلي [1]

وفي يوم خيبر لمّا شاهد النبّي خور المسلمين وضعفهم وانتصار اليهود، لانكسار (الرجلين) في اليوم الأولّ والثاني، ساءه ذلك فقال: " لأعطينّ الراية غداً رجلا ًيحُب اللّه ورّسوله ويحبه اللّه ورسّوله "، فاستطالت لها أعناق الرجال رجاء أن يُدعوا ُ لها، فيحظون بالفتح والسعادة الخالدة.

فأتاه الوصيُّ أرمدَ عين فسقاها من ريقه فشفاها

ومضى يطلب الصفوف فولّت عنه علماً بأنّه أمضاها

ورى مرحباً بكفّ اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفاها

ودحى بابها بقوّة بأس لو حمتها الأفلاك منه دحاها

وأمّا يوم حنين فلم يلق المسلمون أشدّ منه، فلقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وبلغت القلوب الحناجر، وعاتبهم اللهّ على فرارهم عن حبيبه وخاتم رسله، ولكن ظهرت في هذا اليوم عظمة (صاحب الراية)، ومكانته من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وموقفه من الدّين، ومبلغه من الدفاع، وثباته في وجه الخطوب حتّى تراجع المسلمون.

(1) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 42 : 76 ، تاريخ الطبري 2 : 197 ، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي 6 : 157 ، وقد نقل المصادر التي ذكرت ذلك.

ثُمّ لفتّ هذه الراية خمسا وعشرين سنة، ونشرها أمير المؤمنين يوم (الجمل)، وأعطاها لولده محمد ابن الحنفية وقال له: هذه راية رسول اللّه لا تردّ قطّ، فزحف بها ابن حيوة والجيش خلفه وقيس بن سعد بن عبادة يقول [1]:

هذا اللواء الذي كنّا نحفّ به ... مع النّبي وجبريل لنا مددا

ما ضرّ من كانت الأنصار عيبته ... أن لا يكون له من غيرها أحدا

قوم إذا حربوا طالت أكفّهم ... بالمشرفيّة حتّى يفتحوا البلدا

وأدّى شبل علي (عليه السلام) حقّها حتّى كان الفتح، كما أنها كانت معه يوم النهروان.

أمّا يوم صفيّن فكانت راية الهمدانيين مع سفيان بن يزيد، فلما قتلُ أخذها أخوه عبيد، ثم أخوه كرب، ثم عُمَيّر بن بشير، ثم الحرث بن بشير، ثُمّ وهب بن كرب، وكلُهُمّ قتلوا دونها [2].

وفي هذا اليوم الباهر كان لحملة الرايات من أهل العراق المقام المشكور، حتّى تضعضع من أقدامهم عرش معاوية لولا القضاء وإرام المحتوم.

(1) كتاب الجمل للشيخ المفيد: 165 ، ويظهر من مناقب الخوارزمي: 195 ، وقد أشار إلى هذه الأبيات وأنها قيلت في صفّين كلّ من: أُسد الغابة 4: 216 ، الوافي بالوفيات 24: 213 ، كتاب الفتوح لابن أعثم 3: 161 (2) تاريخ الطبري 4: 14، رجال الطوسي: 67، خلاصة الأقوال للحلّي: 159 ، رجال ابن داود: 104 ، نقد الرجال للتفرشي 2: 338 ، وقعة صفين للمنقري: 252 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 5: 201، واسم أبي سفيان لم يحدد بيزيد بل اختلف بين كونه زيد أو يزيد كما في المصادر المتقدمة.

فكان ذوو ألويات يحرصون على رفعها، لكونها معقد الجيش، وبها يتمّ نظامهم، وتتطامن نفوسهم، ولم ينكسر الجيش إلاّ بقتل صاحب الراية وسقوطها.

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة، وموقفه من الشهامة، ومحلّه من الشرف، ومبوءه من الدين، ومنزلته من الغيرة، ومرتقاه من السؤدد، يوم عبّأ الحسين أصحابه، فأعطى رايته أخاه " العباس "، مع أن للعباسّ أخوة من أمه وأبيه، وهناك من أولاد أبيه من لا يسلم اللواء، كما أنّ في الأصحاب من هو أكبر سناً منه، مع صدق المفادات، ولكن سيد الشهداء وجد أخاه أبا الفضل أكفى ممّن معه لحملها، وحفظهم لذمامه، وألأفهم به، وإدعاهم، إلى مبدئه، وأوصلهم لرحمه، وأحماهم لجواره، وأثبتهم للطعان، وأربطهم جأشاً، وأشدّهم مراساً.

فكان " صاحب الراية " عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر، وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن، وإلاّ فما موقف الأسد منه! ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفر عنه الضرغام.

ولولا احتقار الأسد شبّهتها به ولكنّها معدودة في البهائم

نعم، أنسب تشبيه يليق بمقامه أنّه كان يصول ومعه صولة أبيه المرتضى.

وللعبّاس مزيّة على من حمل اللواء، وبارز الأبطال، وتقدّم للطعان، فإنه (عليه السلام) قد ألمتّ به الكوارث والمحن من نواحي متعدّدة: من جروح، وعطش، وفئة صوعى، وحرائر ولهى، وأطفال أمضّ

الصفحة 241

بها الظما، والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً، وإلى الباسل فراراً، لكن صريخة بني هاشم بالرغم من كلّ هاتيك الرزايا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه، وصارم من عزمه، وكان في حدّ حسامه الأجل المتاح، وملك الموت طوع يمينه، إذاً فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول:

قسماً بصارمه الصقيل وإنّني في غير صاعقة السما لا أُقسم

لولا القضا لمحا الوجود بسيفه واللّه يقضي ما يشاء ويحكم

الصفحة 242

موقفه قبل الطفّ

يستوسل بعض الكتّاب عن موقفه قبل الطفّ فيثبت له منزلة الأقران والضرب والطعن، وبالغوا في ذلك حتىّ حكي عن المنتخب أنّه يقول: كان كالجبل العظيم، وقلبه كالطود الجسيم ; لأنّه كان فارساً هماماً وجسوراً على الضرب والطعن في ميدان الكفّار.

ويحدّث صاحب الكوبت الأحمر ج3 ص24 عن بعض الكتب المعتبرة لتتبّع صاحبها: أنّه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين يوم حمل على الفرات وأزاح عنه جيش معاوية وملك الماء.

قال: وممّا يروى: أنّه في بعض أيّام صفينّ خرج من جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) شاب على وجهه نقاب، تعلوه الهيبة، وتظهر عليه الشجاعة، يقدّر عمره بالسبع عشر سنة، يطلب المبارزة، فهابه الناس، وندب معاوية إليه أبا الشعثاء، فقال: إنّ أهل الشام يعدونني بألف فارس، ولكن أرسل إليه أحد أولادي، وكانوا سبعة، وكلّما خرج أحد منهم قتله حتىّ أتى عليهم، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، ولمّا برز إليه ألحقه بهم، فهابه الجمع ولم يجرأ أحد على مبارزته، وتعجّب أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من هذه البسالة التي لاتعدو الهاشميين، ولم يعرفوه لمكان نقابه، ولمارجع إلى مقرّه دعا أبوه أمير

المؤمنين (عليه السلام) وأزال النقاب عنه، فإذا هو " قمر بني هاشم " ولده العبّاس (عليه السلام).

قال صاحب الكويت بعد هذه الحكاية: وليس ببعيد صحة الخبر، لأنّ عمره يقدر بالسبع عشر سنة، وقد قال الخوارزمي: كان تاماً كاملاً.

وهذا نصّ الخوارزمي في المناقب ص147 : " خرج من عسكر معاوية رجل يقال له: كويب، كان شجاعاً قوياً يأخذ الرهم فيغزه بابهامه فتذهب كتابته، فنادى ليخرج إليّ علي، فبرز إليه مرتفع بن وضّاح الزبيدي فقتله، ثمّ برز إليه شوحبيل بن بكر فقتله، ثُمّ برز إليه الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله، فساء أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك، فدعا ولده العباس (عليه السلام)، وكان تاماً كاملاً من الرجال، وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه، فلبس علي (عليه السلام) ثياب ولده العباس وركب فرسه، وألبس ابنه العبّاس ثيابه وأركبه فرسه، لئلا يجبن كويب عن مبارزته إذا عرفه، فلمّا برز إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكّره الآخرة، وحذّره بأس اللهّ وسخطه.

فقال كويب: لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك، ثمّ حمل على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فاتقاه بالدرقة وضربه علي على رأسه فشقّه نصفين، ورجع أمير المؤمنين وقال لولده محمّد بن الحنفية: قف عند مصرع كويب، فإنّ طالب وتره يأتيك، فامتثل محمّد أمر أبيه، فأتاه أحد بني عمّه وسأله عن قاتل كويب؟ قال محمّد: أنا مكانه، فتجاولا ثم قُتله محمد، وخرج إليه آخر فقتله محمّد حتّى أتى على سبعة منهم " [1].

وفي ص105 من المناقب ذكر حديث العبّاس بن الحرث بن عبد المطلب: " وقد برز إليه عثمان بن وائل الحمري فقتله

(1) المناقب للخوارزمي: 228، والنقل بالمعنى.

العبّاس، فبرز إليه أخوه حمزة، وكان شجاعاً قوياً، فنهاه أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مبارزته، وقال له: انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك، وأنا أخرج إليه، فتنكّر أمير المؤمنين (عليه السلام) وبرز إليه وضربه على رأسه، فقطع نصف رأسه ووجهه وابطه وكتفه، فتعجّب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العبّاس بن الحرث " [1].

هذا ما حدّث به في المناقب، ومنه نعرف أنّ هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع ولده العباس ومع العباسّ بن الحرث.

فانكار شيخنا الجليل المحدّث النوري في حضور العبّاس في صفينّ، مدعيّا اشتباه الأمر على بعض الرواة بالعباسّ بن الحرث في غير محلّه، فإنّ الحجة على تفنيد الخبر غير تامة ; لأن آحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقوا الكل فُيّ الفضائل جميعها، وجاؤوا بالخوارق في جميع المراتب، فليس من البدع إذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان، وإن لم يبلغوا مبالغ الرجال.

فهذا القاسم بن الحسن السبط لم يبلغ الحلم يوم الطفّ، وقد ملأ ذلك المشهد الرهيب هيبةً وأهدى إلى قلوب المقارعين فرقاً،

وإلى الفوائص لرتعاداً، وإلى النفوس خوراً، غير مبال بالجحفل الجرّار، ولا بمكتوث بمزدحم الرجال حتىّ قتل خمسة وثلاثين فارساً[2]، وبطبع الحال فيهم من هو أقوى منه، لكن البسالة وراثة بين أشبال (علي)، على حدّ سواء، فهم فيها كأسنان المشط

(1) المناقب للخوارزمي: 231 ، والنقل بالمعنى (2) لواعج الأشجان للأمين: 174 ، بحار الأنوار 45: 34 ، وفيها: " فقتل على صغر سنّة خمسة وثلاثين رجلاً " بدل فارس.

صغيرهم وكبيرهم، كما أنّهم في الأنفة عن الدنية سيان، فلم يغتالوا الشبل الباسل حتىّ وقف يشد شسع نعله، وهو لا يزن الحرب إلاّ بمثله، وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان.

أهوى يشد حذاءه ... والحرب مشرعة لأجله

ليسومها ما إن غلت ... هيجلؤها بشراك نعله

متقلّداً صمصامه ... متفيئاً بظلال نصله

لا تعجبن لفعله ... فالفرع مرتهن بأصله

السحُب يَخلفهُا الحيا ... واللّيث منظور بشبله

يُردي الطليعة منهمُ ... ويُريهمُ آيات فُعلِه[1]

وهذا عبد اللّه بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بارز يوم الطفّ الألوف مع صغر سنهّ، حتىّ قتل منهم على رواية محمد بن أبي طالب ثلاثة وتسعين رجلاً بثلاث حملات.

وهذا محمّد بن الحنفية فإنّ له مواقفاً محمودة في الجمل وصفين والنهروان، وكانت الراية معه، فأبلى بلاء حسنا سجّله له التاريخ وشكره الإسلام، وكان صغير السن على ما يظهر من السبط في تذكرة الخواص وابن كثير في البداية ج9 ص38[2]، فإنّهما نصّا على وفاته سنة 81 عن خمس وستين فتكون ولادته سنة 16 وله يوم البصرة الواقع سنة 36 عشرون سنة.

(1) للعلاّمة السيّد مير علي أبو طبيخ (رحمه الله).

(2) البداية والنهاية لابن كثير 9: 32 ، تذكرة الخواص 2: 298.

وحينئذ فلا غرابة في التحدّث عن موقف أبي الفضل وما أبداه من كر وإقدام خصوصاً بعد ما أوقفنا النصّ النبوي الآتي على ما حواه ولد أبي طالب من بسالة وبطولة.

وأمّا يوم شهادة أخيه الإمام المجتبى فله أربع وعشرون سنة وقد ذكر صاحب كتاب " قمر بني هاشم " ص84 أنّه لمّا رأى

جنازة سيّد شباب أهل الجنة ترمى بالسهام عظم عليه الأمر، ولم يطق صبرا دون أن جرد سيفه وأراد البطش بأصحاب " البغلة " لولا كراهية السبط الشهيد الحرب، عملاً بوصية أخيه " لا تهرق في أمري محجمة من دم "[1]، فصبر أبو الفضل على أحرّ من جمر الغضا، ينتظر الفرصة، ويترقب الوعد الإلهي، فأجهد النفس، وبذل النفس في مشهد (الفواويس)، وحاز كلتا الحسنيين.

(1) دلائل الإمامة: 162، الإرشاد للشيخ المفيد: 17، عمدة الطالب لابن عنبة: 67. باختلاف الألفاظ.

موقفه في الطفّ

ربما يستعصي البيان عن الإفاضة في القول في هذا الفصل لشدّة وضوحه، وربما أعقب الظهور خفاءً، فإنّ من أبرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة وقد جُبلوا عليها، وبالأخص الطالبيين، وقد أوقفنا على هذه الظاهرة الحديث النبويّ: " لو ولد الناس أبو طالب كُلّهم لكانوا شجعانا "[1].

إذا فما ظنّك بطالبي أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) قاتل عمر بن عبد ودّ، ومزهق مرحب، وقالع باب خيبر، وقد عرق في ولده البسالة كُلّها والشهامة بأسرها، وعلمّه قراع الكتائب، فنشأ بين حروب طاحنة، وغارات شعواء، وخؤولته العامريونّ الذين شهد لهم عقيل بالفروسية، وللخؤولة كالعمومة عرق ضارب في الولد، ومن هنا قالت العرب: (فلان معم مخول) إذا كان كريمهم وحوى المزايا الحميدة عنهما[2]، ولم يعقد أمير المؤمنين (عليه السلام) على أُمّ البنين إلاّ

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10: 78، كشف الغمة 2: 235 باختلاف الفاظ الرواية بلفظ: " للّه در أبي طالب لو ولد الناس كلّهم كانوا شجعاناً " كما في كشف الغمة للأربلي، أو: " لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً " كما في شرح النهج.

(2) لسان العرب 11: 224، تاج العروس 14: 216. وقد نظم هذه الخاصة أبو بكر محمّد بن العبّاس الخوارزمي المتوفّى سنة 373، ففي معجم البلدان 1: 57 بمادة (آمل) أنّه قال:

بآمل مولدي وبنو جرير ... فأخوالي ويحكي المرء خاله
فها أنا رافضي عن تراث ... وغيري رافضي عن كلاله

عرّض بابن جرير صاحب التاريخ فإنّه أخو أمُه، وكان من أهل السنة، وانما نسبه إلى التشيع الحنابلة لتصحيحه حديث الغدير، فتشيّعه ادعائي وهو المعبرّ عنه (بالكلالة)، فإنهّا في اللغة ما لم يكن من النسب لحاً، فقول الحموي في المعجم: (كذب الخوارزمي ; لأنّ ابن جرير من أعلام السنة) مبني على عدم فهمه الغرض من البيت، فالخوارزمي لم يعترف بتشيعه.

وقال الذهبي في تاريخه 27: 68 : " وقال الحاكم في تاريخه: كان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر، وكان يذاكرني

بالأسماء والكنى حتّى يحيرّني حفظه.. ".

الصفحة 248

لتلد له هذا الفارس المغوار والبطل المجرّب، فما أخطأت إرادته الغرض،ولا عدى سهمه المرمى.

فكان أبو الفضل رمز البطولة، ومثال الصولات، يلوح البأس على أسارير جبهته، فإذا يمّم كمياً قصده الموت معه، أو التقى بمقبل ولاّه دبره، ولم يبرح هكذا تشكوه الحرب والضرب، وتشكوه الهامات، والأعناق ما خاض ملحمة إلاّ وكان ليلها المعتكر، ولم يلف في معركة إلاّ وقابل ببشره وجهها المكفهر.

يمثّل الكرار في كراته بل في المعاني الغرّ من صفاته

ليس يد اللّه سوى أبيه وقدرة اللّه تجلّت فيه

فهو يد اللّه وهذا ساعده تغنيك عن إثباته مشاهده

صولته عند النزال صولته ولا الغلوّ قلت: جلّت قدرته

وهل في وسع الشاعر أن ينضد خياله، أو يتسنّى للكاتب أن يسترسل في وصف تلك البسالة الحيدرية، وجوهر الحقيقة؟ قائم بنفسه، ماثل أمام الباحث، بأجلى من كُلّ هاتيك المعرفات في مشهد يوم الطف.

الصفحة 249

ولعمري إنّ حديث كربلاء لم يبق لسابق في الشجاعة سبقاً ولا للاحق طريقاً إلا الالتحاق به، فلقد استملينا أخبار الشجعان في الحروب والمغازي يوم شرّ الأقران في الفروسيّة، فلم يعدهم في الغالب الاستظهار بالعدد، وتوفرّ العتاد وتهيء ممدّات الحياة من المطعم والمشرب، وفي المغالب أنّ الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة.

يسترسل المؤرّخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها، واهتزوا طرباً لقصة ربيعة بن مكدم، وهي: أن ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان من بني مالك بن كنانة كان أحد فرسان مضر المعدودين، خرج بالضعينة وفيها أُمه أُم سنان من بني أشجع بن عامر بن ليس بن بكر بن كنانة، وأُخته أُم غزة، وأخوه أبو القرعة، ورأى الظعينه دريد بن الصمة فقال لرجل معه: صح بالرجل أن خَلّ الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه، فلما رأى ربيعة أن الرجل قد ألح عليه ألقى زمام الناقة وحمل على الرجل فصرعه، فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة، فبعث الثالث ليعلم خبر الأولين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه، فلمّا وافاه دريد ورأى الثلاثة صرعى ورمحه مكسوراً قال له: يا فتى مثلك لا يقتل، وهؤلاء يثأرون، ولا رمح لك، ولكن خذ رمحي وانج بنفسك والظعينة، ثُمّ دفع إليه رمحه ورجع دريد إلى القوم وأعلمهم أنّ الرجل قتل الثلاثة وغلبه على رمحه، وقد منع بالظعينة، فلا طمع لكم فيه [1].

هذا الذي حفظته السيرة مأثرة لربيعة بن مكدم بتهالكه دون الضعائن حتّى انكسر رمحه، ولكن أين هو من (حامي الظعينة)

(1) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني 16: 312.

قاتل الألوف، وزعزع الصفوف عن المشرعة حتّى ملك الماء وملأ القربة، والكلُّ يرونه ويحذرونه؟!

وأنّى لربيعة من بواسل ذلك المشهد الرهيب فضلاً عن سيدّهم أبي الفضل، فلقد كان جامع رأيهم، فلم يقدهم إلا إلّى محل الشرف، منكباً بهم عن خطة الخسف والضعة، على حين أن الأبطال تتقاذف بهم سكرات الموت؟!

هذا وللسبط المقدّس طرف شاخص إلى صنوه البطل المقدام كيف يرسب ويطفو بين بهم الرجال، ووجهه متهلّل لكراته، ولحرائر بيت النبوّة أمل موطد لحامية الظعائن.

وإليك مثالاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي، وهي لا تدعك إلاّ مذعناً بما له من ثبات ممنع عند الفواهز، وطمأنينة لدى الأهوال.

الأوّل:

في اليوم السابع من المحرّم حوصر سيدّ الشهداء ومن معه، وسدّ عنهم باب الورود، ونفذ ما عندهم من الماء، فعاد كلُّ منّهم يعالج لهب الأوام[1]، وبطبع الحال كانوا بين أنّة وحنّة، وتضورّ، ونشيج، ومتطلبّ للماء إلى متحر مّا يبل غلّته، وكل ذُلكّ بعين " أبي علي "، والغيارى من آله، والأكارم من صحبه، وما عسى أن يجدوا لهم وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وبوارق مرهفة، في جمع كثيف يرأسهم عمرو بن الحجاج، لكن " ساقي العطاشى " لم يتطامن على تحمّل تلك الحالة.

أَوتشتكيَ العطش الفواطم عنده ... وبصدرِ صعدته الفراتُ المفعَم

ولو استقى نهرَ المحمرة لارتقى ... وطويل ذابله إليها سلّمُ

(1) الأوام: العطش، راجع: لسان العرب 12: 38، القاموس المحيط 4: 77، مجمع البحرين للطريحي 1: 135، تاج العروس 16: 38.

لو سدَ ذو القرنين دونَ وروده ... نسفتهُ همتّه بما هو أعظمُ

في كفّه اليسرى السقاء يقلّه ... وبكفّه اليمنى الحسام المخذم

مثلُ السحابةِ للفواطمِ صوبه ... فيصيبُ حاصبةَ العدوُ فيوجمُ

هناك قيض الحسين لهذه المهمة أخاه العبّاس، في حين أنّ نفسه الكريمة تنازعه إلى ذلك قبل الطلب، ويحنو إليه حفاظه المرّ، فأمره أن يستقي للحرائر والصبية، وإن كان دونه شقّ المرائر، وسفك المهج، وضمّ إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قربة، وتقدّم أمامهم نافع بن هلال الجملي، فمضوا غير مبالين وكلٌّ بحفظ الشريعة ; لأنهمّ محتفون بشتيم من آل محمّد، فتقدّم نافع باللواء وصاح به عمرو بن الحجّاج: من الرجل؟ وما جاء بك؟

قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه.

فقال له: أشرب هنيئاً.

قال نافع: لا واللّه لا أشرب منه قطرة والحسين ومن ترى من آله وصحبه عطاشا.

فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، وإنّما وضعنا هاهنا لنمنعهم الماء، ثُمّ صاح نافع بأصحابه: إملأوا قربكم، وشدّ عليهم أصحاب ابن الحجّاج، فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل، وحاميهم " ابن بجدتها " مسدّد الكماة، المثقب في حجر البسالة الحيدرية، والمرتضع من لبانها " أبو الفضل "، فجاؤوا بالماء وليس في القوم المناوئين من تحدّثه نفسه بالدنوّ منهم، فرقاً من ذلك البطل المغوار، فبلت غلّة الحرائر والصبيّة الطيبة من ذلك الماء، وابتهجت به النفوس [1].

(1) تاريخ الطبري 4: 312، مقتل الحسين لأبي مخنف: 98.

ولكن لا يفوت القارئ، معرفة أنّ تلك الكميّة القليلة من الماء ما عسى أن تجدي أولُئك الجمع الذي هو أكثر من مائة وخمسين رجالاً ونساء وأطفالاً، أو أنهّم ينيفون على المائتين على بعض الروايات، ومن المقطوع به أنه لم ترو أكبادهم إلا مرّة واحدة، أو أنّها كمصة الوشل، فسرعان أن عاد إليهم الظما، والي اللهّ سبحانه المشتكى.

الثاني:

كان أصحاب الحسين (عليه السلام) بعد الحملة الأُولى التي استشهد فيها خمسون، يخرج الاثنان والثلاثة والأربعة، وكلٌّ يحمي الآخر من كيد عدوّه، فخرج الجابريان وقاتلا حتّى قتلا، وخرج الغفاريان فقاتلا معاً حتىّ قتلا، وقاتل الحر الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتّى فعلا ذلك ساعة، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر واستنقذه حتىّ قتل الحر [1].

وفي تاريخ الطبري ج6 ص255 : " إنّ عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، وجابر بن الحارث السلماني، ومجمع ابن عبد اللّه العائذي شدّوا جميعاً على أهل الكوفة، فلماّ أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كلّ جانب، وقطعوهم عن أصحابهم، فندب إليهم الحسين أخاه العبّاس، فاستنقذهم بسيفه، وقد جرحوا بأجمعهم، وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو، فشدّوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتّى قتلوا في مكان واحد، وفازوا بالسعادة الخالدة.

(1) تاريخ الطبري 4: 340، مقتل الحسين لأبي مخنف: 160.

الشهادة

لم يفتأ قمر بني هاشم يؤوب على مناصرة الحقّ في شمم وإباء عن النزول على حكم الدنية، منذ كان يرتضع لبان البسالة، ويتربّى في حجر الإمامة، فيترعرع ونصب عينه أمثلة الشجاعة والتضحية دون النواميس الإلهية، لمطاردة الرجال، ومجالدة الأبطال، فإمّا فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة، فمن الصعب عنده النزول على الضيم، وهو يرى الموت تحت مشتبك الأسنّة أسعد من حياة تحت الأضطهاد، فكان لا يرى للبقاء قيمة "وإمام الحقّ " مكدور، وعقائل بيت الوحي قد بلغ منهنّ الكرب كلُ مّبلغ.

ولكن لمّا كان سلام اللّه عليه أنفس الذخائر عند السبط الشهيد، وأعزّ حامته لديه، وطمأنينة الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر، ولوائه الخفاق، وبطولته المعلومة ; لم يأذن له إلى النفس الأخير من النهضة المقدّسة، فلا الحسين يسمح به، ولا العائلة الكريمة تألف بغيره، ولا الحالة تدعه لأن يغادر حوائر أبيه بين الوحوش الكواسر.

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع إلى الكفاح بمقتضى غريزته، وتأخّر عن الحركة لباعث ديني وهو طاعة الإمام (عليه السلام)، حتّى بلغ الأمر نصابه، فلم يكن لجاذب الغيرة أو دافعها مكافئ، وكان مِلءْ سُمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة، ومن البلاء المقبل أُخرى، (ومركز الإمامة) دارت عليه الدوائر، وتقطّعت عنه خطوط المدد، وتفانى صحبه وذووه.

هنالك هاج (صاحب اللواء) .ولا يلحقه الليث عند الهياج . فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه، فلم يجد أبو عبد اللّه بدّاً من الإذن، حيث وجد نفسه لتسبق جسمه إذ ليس في وسعه البقاء على تلك الكوارث الملمّة من دون أن يأخذ ثأره من أُولئك المردة، فوّفه الحسين أنّه مهما ينظر اللواء مرفوعا كأنه يرى العسكر متصلا، والمدد متتابعا، والأعداء تحذر صولته، وتهاب إقدامه، وحوائر النيوّة مطمئنة بوجوده، فقال له: " أنت صاحب لوائي "، ولكن اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

فذهب العبّاس إلى القوم ووعظهم وحذّرهم غضب الجبارّ، فلم ينفع، فرجع إلى أخيه وأخبره، فسمع الأطفال يتصارخون من العطش، فنهضت (بساقي العطاشى) غيرته الشمّاء، وأخذ القربة، وركب فرسه، وقصد الفرات، فلم يرعه الجمع المتكاثر، وكشفهم شبل علي عن الماء، وملك الشريعة، ومذ أحسّ ببرده تذكّر عطش الحسين، فرأى من واجبه ترك الشرب ; لأن الإمام ومن معه أضرّ بهم العطش، فرمى الماء من يده واسرع بالقربة محافظاً على مهجة الإمام ولو في آن يسير وقال [1] :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعدَه لا كنتِ أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تاللّه ما هذا فعال ديني

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه، فلم يبالِ بهم، وجعل يضرب فيهم بسيفه ويقول:

(1) بحار الأنوار 45: 42، مقتل الحسين لأبي مخنف: 179، ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي 3: 67.

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أُرى في المصاليت لقا

إنّي أنا العبّاس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الوقاد الجهني، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي، فضربه على يمينه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وجعل يضرب فيهم ويقول:

واللّه إن قطعتموا يميني إنّي أُحامي أبدا ً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النّبيّ الطاهر الأمين

فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة، فضربه على شماله فواها، فضمّ اللواء إلى صدره.

فعند ذلك أمنوا سطوته، وتكاثروا عليه، وأتته السهام كالمطر، فأصاب القربة سهم وأُريق ماؤها، وسهم أصاب صدره، وسهم أصاب عينه، وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه على رأسه المقدّس.

وهو بجنب العلقمي فليتَهُ للشاربين به يُداف العلقم

ونادى بصوت عال: عليك منّي السلام يا أبا عبد اللّه [1] ، فأتاه الحسين (عليه السلام)، ويا ليتني علمت بماذا أتاه، أبحياة مستطارة منه بذلك الفادح الجلل، أو بجاذب من الأُخوة إلى مصوع صنوه المحبوب!

نعم، حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكل البسالة وقربان القداسة فوق الصعيد، وقد غشيته الدماء السائلة، وجلّلته النبال، ورأى ذلك الغصن الباسق قد ألمّ به الذبول، فلا يمين تبطش، ولا

(1) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي 3: 68.

منطق يرتجز، ولا صولة تزهب، ولا عين تبصر، وترتكز الدماغ على الأرض مبدّد.

أصحيح أنّ الحسين ينظر إلى تلكم الفجائع ومعه حياة تقدمه، أو عافية تنهض به؟ لا واللّه لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلا هيكلاً شاخصاً، معرّى عن لوازم الحياة، وقد أعرب سلام اللّه عليه عن هذا الحال بقوله: " الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشمت بي عدوي ".

وبان الانكسار في جبينه	فانكدّت الجبال من حنينه
كافل أهله وساقي صبيته	وحامل اللوا بعالي همّته
وكيف لا وهو جمال بهجته	وفي محيّاه سرور مهجته

ورجع إلى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه كي لا تراه النساء[1]، وقد تدافعت الرجال على مخيمه، فنادى بصوت عال: أما من مجير يجيرنا؟ أما من مغيث يغيثنا؟ أما من طالب حقّ ينصرنا؟ أما من خائف من النار فيذبّ عنا؟

كُلّ هذا لإبلاغ الحجة، واقامة العذر، حتىّ لا يعتذر أحد بالغفلة يوم يقوم الناسّ لربّ العالمين.

ولمّا رأته سكينة مقبلاً أخذت بعنان جواده، وقالت: أين عميّ العباسّ، أراه أبطأ بالماء؟

فقال لها: إن عمّك قتُل، فسمعته زينب فنادت: واأخاه! واعباساه! واضيعتنا بعدك! وبكين النسوة وبكى الحسين معهنّ، ونادى: واضيعتنا بعدك أبا الفضل.

---

(1) بحار الأنوار 45: 42.

المشهد المطهَّر

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام الشهيد أبا عبد الله (عليه السلام) لم يترك القتلى في حومة الميدان، وانما كان يأمر بحملهم إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه، وهذا وإن لم نجده صريحاً في كُلّ واحد من المستشهدين إلا أنّ التأمل فيما يؤثر في الواقعة يقتضيه، وإنّ طبع الحال يستدعيه، ويؤيّده ما في البحار من حمل الحرّ حتىّ وضع بين يدي الحسين، وعند سقوط علي الأكبر أمر الحسين فتيانه أن يحملوه إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه، وقد حمل القاسم بنفسه المقدّسة حتّى وضعه مع ابنه الأكبر، وقتلى حوله من أهل بيته.

هذا لفظ ابن جرير وابن الأثير، ومن البعيد جداً أن يحمل سيّد الشهداء أهل بيته خاصة إلى الفسطاط ويترك أولئك الصفوة الأكارم الذين قال فيهم: " لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي "، ففضلهم على كلُ أحد حتى على أصحاب جده وأبيه، وإن كُلّ أحد لا يرضى من نفسه هذه الفعلة، فكيف بذلك السيدّ الكريم الذي علم الناس الشمم والإباء والنجدة؟!

على أنّ الفاضل القزويني يحكي في تظلّم الزهراء (عليها السلام)ص118 عن غيبة النعماني: أنّ أبا جعفر الباقر (عليه السلام) يقول: " كان الحسين يضع قتلاه بعضهم مع بعض، ويقول: قتلة مثل قتلة النبيّين وآل النبيّين "[1].

(1) الغيبة للنعماني: 219 والنصّ: " كان الحسين بن علي يضع قتلاه بعضهم إلى بعض ويقول: قتلانا قتلى النبيّين ".

نعم، ممّا لا شكّ فيه أنهّ (عليه السلام) ترك أخاه العباسّ في محل سّقوطه قريبا منً المسناة، لا لما يمضي في بعض الكتب من كثرة الجروح وتقطع الأوصال، فلم يقدر على حمله، لأنّ في وسع الإمام أن يحرك ذلك الشلو المبضع إلى حيث أراد ومتى شاء.

وإلاّ لما قيل: من أنّ العباسّ أقسم عليه بجده الرسول أن يتركه في مكانه ; لأنه وعّد سكينة بالماء ويستحي منها[1] ; لعدم الشاهد الواضح على كُلٍّ منهما.

بل إنّما تركه لسرّ دقيق، ونكتة لا تخفى على المتأملّ ومن له ذوق سليم، ولولاه لم يعجز الإمام عن حمله مهما يكن الحال، وقد كشفت الأيام عن ذلك السرّ المصون وهو: أن يكون له مشهد يقصد بالحوائج والزيارات، وبقعة يزدلف إليها الناس، وتتوّلف إلى المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء، فتظهر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأُمة مكانته السامية ومنزلته عند اللّه، فتقوّم حق قدره، وتؤديّ ما وجب عليهم من الحب المتأكد، والزورة المتواصلة، ويكون (عليه السلام) حلقة الوصل بينهم وبين اللّه تعالى، وسبب الزلفى لديه.

فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجّته أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الآخروية، فكان

كما شاءا وأحبا.

(1) الدمعة الساكبة 4: 324 قال: " أقول: وفي بعض الكتب المعتبرة: إن من كثرة الجراحات الواردة على العبّاس (عليه السلام) لم يقدر الحسين (عليه السلام) أن يحمله إلى محل الشهداء، فترك جسده في محلّ قتله ورجع باكياً حزيناً إلى الخيام".

الصفحة 259

ولو حمله سيّد الشهداء إلى حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجّة (عليه السلام)، ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجّج الطاهرين، خصوصاً بعد ما أكدّ ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) بإفراد زيارة مختصة به، وإذناً بالدخول إلى حرمه الأطهر، كما شرع ذلك لأئمة الهدى غير ما زار به جميع الشهداء بلفظ واحد، وليس هو إلاّ لمزايا اختصّت به.

وقد أرشدتنا آثار أهل البيت (عليهم السلام) على هذا الموضع من مرقده الطيّب، ففي كامل الزيارة لابن قولويه ص256 بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق (عليه السلام) قال: " إذا أردت زيارة العبّاس بن علي وهو على شطّ الفرات بحذاء الحير، فقف على باب السقيفة وقل: سلام اللّه وسلام ملائكته... ".

وحكى المجلسي أعلى اللّه مقامه في مزار البحار عن الشيخ المفيد وابن المشهدي زيارة أُخرى له في هذا المشهد، الذي أشار إليه الصادق برواية، غير مقيّدة بوقت من الأوقات.

وهكذا حكي عن المفيد والشهيد والسيّد ابن طاووس في زيارة النصف من رجب، وليلة القدر، ويومي العيدين، ومثله العلاّمة النوري في تحية الزائر.

وعبارة المفيد في الإرشاد صريحة فيما نصّت به رواية أبي حمزة الثمالي، فإنّه قال عند ذكر من قتل من آل الحسين: " وكلّهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين (عليه السلام) في مشهده، حفر لهم حفرة وألقُوا فيها جميعاً.. إلا العبّاسّ بن علي رضوان اللّه عليه، فإنّه دفن في موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضرية، وقبره ظاهر،

الصفحة 260

وليس لقبور أخوته وأهله الذين سمّيناهم أثر، وإنّما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين، ويومئ إلى الأرض التي نحو رجليه بالسلام، وعلي ابن الحسين في جملتهم، ويقال: إنّه أقربهم دفناً إلى الحسين (عليه السلام).

فأمّا أصحاب الحسين الذين قتُلوا معه، فإنهّم دفنوا حوله، ولسنا نحصل لهم أجداثا عًلى التحقيق، إلا أنّا لا نشك أنّ الحّائر محيط بهم.. "[1].

وعلى هذا مشى العلماء المحقّقون والمنقبّون في الآثار من كون مشهده بحذاء الحائر الشريف، قريبا مًن شط الّفرات، نص عليه الطوسي في إعلام الورى ص147، والسيّد الجزائري في الأنوار النعمانية ص344، والشيخ الطريحي في المنتخب، والسيّد الداودي في عمدة الطالب ص349، وحكاه في رياض الأحزان ص39 عن كامل السقيفة[2].

وهو الظاهر من ابن إدريس في السرائر، والعلاّمة في المنتهى، والشهيد الأول في مزار الدروس، والأردبيلي في شرح[3]

الإرشاد، والسبزواري في الذخيرة، والشيخ آغا رضا في مصباح الفقيه، فإنّهم نقلوا كلام المفيد ساكتين عليه .

(1) الإرشاد للشيخ المفيد 2: 126.

(2) مناقب آل أبي طالب 3: 256.

(3) السرائر 1: 342 ، منتهى المطلب 1: 395 ، ذخيرة العباد: 413 ، غنائم الأيام 2: 132 ، جواهر الكلام 14: 340، مصباح الفقيه 2: 761 ، كتاب الصلاة للشيخ الحائري: 655 ، مستمسك العروة الوثقى للحكيم 8: 188.

وفي مزار الدروس 2: 25 : ".. ثمّ يزور الشهداء، ثمّ يأتي العباّس بن علي (عليه السلام) فيزوره.. ".

ملاحظة

تقدّم في نقل البحار أنّ الحرّ الرياحي حمل من الميدان ووضع أمام الحسين (عليه السلام)، وعليه يكون مدفونا فيً الحائر الأطهر.

ولكن في الكويت الأحمر ج3 ص124 جاءت الرواية عن مدينة العلم للسيّد الجزائري: أنّ السجاّد دفنه في موضعه، منحرفاً عن الشهداء، وفي ص75 ذكر أنّ جماعة من عشيرته نقلوه عن مصرع الشهداء لئلا يوطأ بالخيل إلى حيث مشهده، ويقال: إنّ أُمه كانت معه، فأبعدته عن مجتمع الشهداء.

وإذا صحّ حمل العشيرة إياه إلى حيث مشهده، فلا يتمّ ما في مدينة العلم من دفن السجاّد له، فإنه من البعيد جدا أنً تحمله العشيرة ثُمّ تترك عميدها في البيداء عرضة للوحوش، بل لم يعهد ذلك في أي أمُةّ وملة.

وعلى كُلّ، فهذا المشهد المعروف له مماّ لاريب في صحته ; للسيرة المستمرة بين الشيعة على زيارته في هذا المكان، وفيهم العلماء والمتديّنون.

ويظهر من الشهيد الأوّل المصادقة عليه، فإنّه قال في مزار الدروس: "واذازار الحسين فليزر علي بن الحسين وهو الأكبر على الأصح، وليزر الشهداء وأخاه العبّاس والحرّ بن يزيد " [1] .

(1) الدروس للشهيد الأوّل 2: 11 والعبارة بالمعنى، الينابيع الفقهية 30: 493.

ووافقه العلاّمة النوري في اللؤلؤ والمرجان ص115 ، واعتماد السلطنة محمّد حسن المراغي . من رجال العهد الناصري . في حجّة السعادة على حجة الشهادة ص56 طبع تبريز.

وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله (عليه السلام) في زيارة الشهداء العامّة: " فإنّ هناك حرمة الشهداء "، المراد منه

معظمهم أو أكثرهم، لخروج العبّاس والحرّ عنهم .

ويشهد له ما في الأنوار النعمانية ص345 أنّ الشاه إسماعيل لما ملك بغداد، وزار قبر الحسين (عليه السلام)، وبلغه طعن بعض العلماء على الحرّ، أمرَ بنبشه لكشف الحقيقة، ولماّ نبشوه رآه بهيئته لما قتل، ورأى على رأسه عصابة قيل له: إنهاّ للحسين، فلمّا حلّها نبع الدم كالمزاب، وكلُماّ عالج قطعة بغيرها لم يتمكنّ، فأعادها إلى محلها، وتبينت الحقيقة، فبنى عليه قبة، وعيّن له خادماً، وأجرى لها وقفاً.

(1) بحار الأنوار 45: 65، و98: 369، المزار للمشهدي: 486، إقبال الأعمال 3: 73.

الحائر

جاء في حديث الصادق (عليه السلام) لفظ الحَيْر فإنهّ قال: "وهو على شط الفرات بحذاء الحيرَ".

والحير، بالفتح فالسكون كالحائر: هو المكان المنخفض الذي يسيل إليه ماء الأمطار ويجتمع فيه.

وفي تاج العروس بمادة حور: الحائر: اسم موضع فيه مشهد الإمام المظلوم الشهيد أبي عبد اللّه الحسين [1].

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر المقدّس حين أُجري عليه بأمر المتوكل العباسي ; لأن لفظ الحائر والحير وقع في لسان الصادق والكاظم قبل استخلاف المتوكّل.

نعم، إنّ اللّه سبحانه أحكم حجتّه، ووليه المذوح دون دينه القويم، ممنوعا مِن ورود الماء الذي جعل شرع سواء لعامة المخلوقات ; باستدارة الماء حول قبره يوم أُجري عليه، لإعفاء أثره ومحو رسمه (ولن يزداد أثره إلاّ علوا)[2].

(1) لسان العرب 4: 223، تاج العروس 6: 321، مجمع البحرين 1: 605.

(2) أقول: (وأنا العبد الفقير إلى اللّه تعالى محققّ هذا الكتاب محمدّ الحسونّ) من بعد غيبة طويله وفراق مرير انجلت سحب الآهات عن قلبي، وارتوى ضماي بمعين النظر إلى قبر ضمّ خير ناصر لأبي الأحرار الحسين (عليه السلام)، وشفي غليلي بالنزول بقعةِ مغيبّه، فاستشممت عُطر الملائكة الحافين بتربته، حيث وفقني البارئ تعالى أن أزور قبر قمر بني هاشم أبي الفضل العبّاس (عليه السلام)، الواقع في السرداب المقدّس الكائن تحت القبة الشريفة، فتغشتني رحمة ربي تعالى بمشاهدة الماء الذي يأتي في سَاقية من جهة قبر سيدّ الشهداء أبي عبداللهّ الحسين (عليه السلام) . الذي لم يذق من برده شربة، وقد مضى بقلب حزّته أشفارُ الضما كما حزّ خنجر الضبابي منحرَ الشريف . ثم يدوّر حول قبر السقاء الذي آثر ألم الضما على الرواء، وارتوى بروح الوفاء لأخيه وابن بنت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث الكلمة الخالدة

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين
واللّه ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين

ومن بعد قرون متطاولة يستمر دوران الماء دورة كاملة حول قبر الشهيد الضامي والأخ المواسي لأخيه، ثمّ يخرج من خلال ساقية إلى خارج كربلاء المقدّسة.

ولقد شعّت هذه الآية الباهرة، فاستضاءت منها الحقف والأعوام، واهتزّت لها الأندية والمحافل ارتياحاً، وتناقلها العلماء المنقّبون في جوامعهم، منهم الشهيد الأول في الذكرى، والأردبيلي في شرح الإرشاد، والسبزواري في الذخيرة، والشيخ الطريحي في المنتخب، والشيخ المحقّق في الجواهر.

وكم لآل الرسول من براهين كاثرت النجوم بكثرتها، وقد اجتهد أهل العناد في إغفالها أو افتعال نظائرها لأئمتهم، حقداً وحسداً {وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ}[1].

مَن يباريهم وفي الشمس معنى ... مجهد متعب لمن يباراها

ورثوا من محمّد سبق أوّلا ... ها وحازوا مالم تحز اخواها

قادة علمهم ورأي حجاهم ... مسمعاً كلّ حكمة منظواها

علماء أئمة حكماء ... يهتدي النجم باتباع هداها

(1) التوبة: 32.

يتحدّث اليافعي في مرآة الجنان ج4 ص273 عن كرامة لأحمد بن حنبل فيقول: "زادت دجلة زيادة مفرطة حتّى خربت مقبرة أحمد بن حنبل، سوى البيت الذي فيه ضريحه، فإنّ الماء دخل في الدهليز علوّ ذراع ووقف بإذن اللهّ، وبقيت الورد عليها الغبار حول القبر، صح الخبر ".

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحّح الخبر، ولكنّه يتوقفّ عن إثبات تلك الكرامة لسيدّ شباب أهل الجنة، وفلذة كبد الإسلام، وريحانة النبيّ الأعظم.

وما أدري بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت أثره حتّى لم يعرف له ضريح إلى اليوم[1].

وقد أجاد العلاّمة الشيخ محمدّ السماوي إذ يقول:

ألا من عذيري يا بني العلم والحجى من اليافعي الحنبلي المجلّلِ

يكذّبني إن قلت: قبر ابن فاطم عليه استدار الماء للمتوكّلِ

وزعم حارَ الما ولم تجل غوة على حصر كانت بقبر ابن حنبل

وإنّ لأمثال ذلك في كتبهم أنُشيء الكثير، رأوا به المقابلة لما صدر من آل النبيّ المعصومين، والإشارة إلى بعض ما أوقفنا البحث عليه وإن يخوجنا عن وضع الوسالة، إلاّ أنّ الغوض تعويف القاوئ بأن ّالعداء كيف يأخذ بالشخص إلى إنكار البديهي والتعامي عن النوات.

(1) بغداد في عهد العباسيين: 146.

ذكر اليافعي في موآة الجنان ج3 ص113 : " إنّ أبا إسحاق الشوازي المتوفّى سنة 476 هجوية لمّا ورد بلاد العجم، خوج أهلها إليه بنسائهم وأطفالهم للتبرّك به، فكانوا يمسحون أردانهم به، ويأخذون من تواب نعله فيستشفون به ".

وإذا صحّ مثل هذا، فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين (عليه السلام) .وهو سيّد شباب أهل الجنةّ . بدعة وضلالة؟!

ثُمّ في ج3 ص133 منه يعدّ من فضائل أحمد وكواماته، وما حباه اللّه عن خدمته في الدين: " إن إبواهيم الحوبي رأى في المنام بشر الحافي خارجاً من مسجد الوصافة، وفي كمّه شيء، فسأله عنه، فقال: لماّ قدم علينا روح أحمد بن حنبل نثر عليه الدر والياقوت، فهذا ممّا التقطته ".

أصحيح أن تُعدّ هذه الرؤيا من الكوامات، ويعُد مّن الباطل حديث الوسول الأعظم في حق سّيد الوصيين،ّ ومن هو منه بمتولة هارون من موسى، ولولاه لما قام للدّين عمود، ولمّا أخضرّ له عود، وذلك لما تزوجّ أمير المؤمنين من سيدةّ نساء العالمين، بأنّ اللّه تعالى أمر شجوة طوبى أن تحمل صكاكا فيها واءة لمحبيّ علي وفاطمة من النار، وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نثرته عليهم، يحفظونه إلى يوم القيامة، كوامة لعلي وفاطمة؟!

ثُمّ يومي راوي هذه الكوامة بالجهالة والوفض ويعد ّالحديث من الموضوعات [1] ، مع شهوة الحديث بين المحدّثين والمنقبين في الآثار.

(1) اللألئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي 1: 364.

وجاء السبكي فعد في طبقات الشافعية ج1 ص215 من فضائل أحمد بن نصر الخواعي، الذي قتله الواثق على مسألة خلق القوآن: تكلّم رأسه بالقوآن لمّا قطُع وبقي يقوأه إلى أن ألحُق بالجسد ودفن.

وإذ سمعوا بأنّ رأس الحسين الذي قتُل في سبيل الدعوة الإلهية واحياء الدين يتكلم ّبالقوآن، لإتمام الحجة،ّ وتعويفا للأمة

طغيان أُولئك الأُمراء، ولئلا تّذهب تلك التضحية المقدسّة أدراج التمويهات، طعنوا في الحديث، ونسبوا راويه إلى الرفض والجهالة، مع أنّ الحسين لم يخرج عن كونه ابن الرسول، وقد شهد الصادق الأمين له ولأخيه المجتبى بأنّهما إماما هذه الأمُة، إن قاما وإن قعدا، وأنّهما سيدّا شباب أهل الجنةّ، ولم يخرج أشِرا ولًا بطرا، ولًا ظالما للعِباد، ولا غاصبا للحقُوق.

ولم يقتنع بذلك حتّى ادّعى كرامة لإسماعيل الحضرمي وأنهّا من المستفيض، قال في ج5 ص51 من طبقات الشافعية: " إنّ إسماعيل بن محمّد ابن إسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه، فأشرفت الشمس على الغروب، فقال لخادمه: قلُ ْ للشمس تقف حتّى نصَل المنزل ونصليّ! فقال الخادم: إن الفقيه إسماعيل يقول لك: قف، فوقفت حتى بّلغ المنزل وصلى، ثّم ُ ّ قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس، فأمرها الخادم بالغروب، فغابت وأظلم الليل في الحال!!

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارى ما يتخيّل فيه أنّه أحد الأولياء، وينكر حديث رد ّالشمس لأمير المؤمنين، وكان من أعلام النبوّة!

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج4 ص423 إلى حديث الوركاني بوقوع المآتم والنوح في أربعة أصناف من الناس: المسلمين، واليهود، والنصارى، والمجوس، يوم وفاة أحمد بن حنبل![1] ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن أخلاق المؤمنين! كما تحاملوا بذلك على الشيعة في إقامتهم المآتم والنياحة على سليل الرسول وريحانته حتّى قال الغزالي في مكاشفة القلوب ص187 : " إياك أن تشتغل ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن، فإنّ ذلك ليس من أخلاق المؤمنين "!! وضوب على وتره غير واحد من المؤرّخين.

وما ذنب الشيعة والمشرّع الأعظم بكى على ولده الحسين وهو حيّ يرزق لمجردّ تذكرّ ما يجري عليه، فيخرج إلى المسجد ودموعه جارية، فتبكي الصحابة لبكائه، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وأبو ذر، وعمّار، ويسأل عن سبب بكائه؟ فيقول: " الآن حدّثني جبرائيل بما يجري على الحسين "[2].

ويمرّ أمير المؤمنين بوادي كربلاء في ذهابه إلى صفيّن، فيقف هناك ويرسل عبرته ويقول: " هذا مناخ ركابهم، ومهراق دمائهم، طوبى لكِ من تربة تراق عليك دماء الأحبة "[3].

(1) تاريخ بغداد 5: 188، الجرح والتعديل للرازي 1: 313، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 5: 333، تهذيب الكمال للمزي 1: 468.

(2) الخصائص الكبرى للسيوطي 2: 125.

(3) ثقب الإسناد: 26 ، كامل الزيارات: 453 ، ذخائر العقبى: 97 ، بحار الأنوار 41: 295 ، كشف الغمة 2: 222، الخصائص الكبرى للنسائي 2: 126 ، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 761 ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي للدمشقي: 263، باختلاف الألفاظ.

إذن، فهلاّ تحسن مواساة صاحب الشريعة ووصيّه المقدمّ بعد وقوع الحادثة على فلذة كبده صاحب النهضة المقدسّة، والله ّ

عزّ وجلّ يقول: { لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }[1].

على أنّ الأحاديث الصحيحة عندهم عن أئمتهم تحثّهم على التظاهر بما فيه إحياء أمرهم من الدعوة إلى سبيل الدين، واظهار الجزع والبكاء والنوح على سيّد شباب أهل الجنة.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) في دعائه الطويل وهو ساجد: " اللهمّ ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهمّ إنّ أعداءنا عابوا علينا خروجهم إلينا، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، رغبة في برّنا، وصلة لرسولك، وخلافاً منهم على ما خالفنا، اللهمّ أعطهم أفضل ما يأملون في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم "[2].

ويقول (عليه السلام) لحمّاد الكوفي: " بلغني أنّ أناساً ممّن الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في النصف من شعبان، فبين قارئ يقرأ، وقاصّ يقصّ، ومادح يمدح، ونساء يندبنه "؟

فقال حمّاد: قد شهدت بعض ما تصف.

فقال (عليه السلام): " الحمد للّه الذي جعل في شيعتنا من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل في عدوّنا من يقبّح ما يصنعون "[3].

---

(1) الأحزاب: 21.

(2) كامل الزيارات: 228، والدعاء فيه تقديم وتأخير.

(3) كامل الزيارات: 539، وسائل الشيعة 14: 599، بتقديم وتأخير.

ولمّا قال له زريح المحاربي: إنّي إذا ذكرت فضل زيارة الحسين لقومي وبني عمّي كذبوني؟ فقال: " دع الناس يذهبون حيث شاؤوا وكن معنا "[1].

فإذا كان هذا وأمثاله الكثير ممّا أوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر، فلماذا يُطعن عليهم عند إيمانهم بها، وما ذنبهم؟! أفلا يتأوّل عملهم والحال هذا كما أوّلوا عمل خالد وغيره؟ أين المنصفون؟

نعم، ليس السرّ فيما حكموا به على الشيعة من الرياء والتصنّع والشنعة والبدعة إلا قيامهم بهذه الشعائر التي فيها إظهار مظلومية أهل البيت العلوي، وتفظيع أعمال المناوئين لهم، وإعلام الملأ بما نشروه من الجور، واسترداد الجاهلية الأُولى، كما اعترف به ابن كثير في البداية والنهاية ج8 ص202 قال: " إنّ الشيعة لم يريدوا بهذه الأعمال إلاّ أن يشنعّوا على دولة بني أُمية، لأنّه قتل في دولتهم "[2].

وعليه فلا يكون العمل المستلزم للتشنيع على عمل الجبارة وطواغيت الأُمة بقتلهم سيّد شباب أهل الجنة، وتلاعبهم بالدين الحنيف تلاعب الصبيان بالإكر ; مقرباً للمولى زلفة، ورضى لرب العالمين.

---

(1) كامل الزيارات: 272، بحار الأنوار 98: 75.

(2) البداية والنهاية لابن كثير 8: 220.

نهر العلقمي

لم يذكر أصحاب المعاجم هذا الوصف، وأهمله المؤرّخون، كما لم يصفه حديث الصادق (عليه السلام) في الزيارة المتقدّمة فإنّ فيها: "وهو مدفون بشط الفرات بحذاء الحير "[1].

لكن شيخنا الطريحي ذكر في المنتخب ص91 : أنّ رجلاً من أهل الكوفة حدادّ قال: خرجت في البعث الذي سار إلى كربلاء، فخيّمنا على شاطئ العلقمي، وحموا الماء عن الحسين ومن معه حتّى قتلوا، وأهله وأنصاره عطاشا، ثم رُجّعنا إلى الكوفة، وبعد أنّ سيرّ ابن زياد السبايا إلى الشام رأيت في المنام كأنّ القيامة قامت، والناس يموجون، وقد أخذهم العطش، وأنا أعتقد بأنّي أشدّهم عطشاً، مع شدة حرارة الشمس، والأرض تغلي كالقار، إذ رأيت رجلا عمّ الموقف نوره، وفي أثره فرس، وجهه أنور من البدر، وبينا أنا واقف إذ أتاني رجل وقادني بسلسلة إليه فقلت له: أُقسم عليك بمن أمرك مَن تكون؟

قال: أنا من الملائكة.

قلت: ومن هذا الفرس؟

قال: هذا علي أمير المؤمنين.

قلت: ومَن ذلك الرجل؟

قال: محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم).

(1) كامل الزيارات: 440، بحار الأنوار 98: 277 ، والعبارة: " إذا أردت زيارة قبر العبّاس (عليه السلام)، وهو على شط الفرات بحذاء الحائر.."

ثُمّ رأيت عمر بن سعد وقوما لَم أعرفهم في أعناقهم سلاسل من حديد، والنار تخرج من أعينهم وآذانهم، ورأيت النبيينّ والصدّيقين قد أحدقوا بمحمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال رسول اللهّ لعليّ: " ما صنعت "؟

قال: " لم أترك أحداً من قاتلي الحسين إلاّ جئت به "، فقدموهم أمام رسول اللهّ وهو يسألهم عما صنعوا بولده يوم كربلاء، فواحد يقول: أنا حميت الماء عنه.

والآخر يقول: أنا رميته.

والثالث يقول: أنا وطأت صدره.

ورابع يقول: أنا قتلت ولده.

وهو يبكي حتّى بكى مَن حوله لبكائه، ثم أمر بهم إلى النار، وجي برجل قال له: ما صنعت؟

قال كنت نجاراً، وما حاربت، ولا قتلت.

فقال: " لقد كثّرت السواد على ولدي "، فأمر به إلى النار.

ثُمّ قدمّوني إليه، فحكيت له فعلي، فأمر بي إلى النار، فلما قصّ الرؤيا على من حضر عنده، يبس لسانه، ومات نصفه، وهلك بأسوأ حال، وقد تبرّأ منه كلّ من سمع وشاهد.

وفي مدينة المعاجز ص263 باب 127 روي عن رجل أسدي قال: " كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني أمُية، فرأيت عجائباً لا أقدر أن أحكي إلا بعضاً منها: إذ هبت الريح تمرّ على نفحات كنفحات المسك والعنبر، ورأى نجوماً تنزل من السماء وتصعد مثلها من الأرض، ورأيت عند غياب الشمس أسداً هائل المنظر، يتخطّى القتلى حتىّ وقف على جسد جلّله الأنوار،

فكان يمرّغ وجهه وجسده بدمه، وله صوت عال، ورأيت شموعاً معلقّة، وأصواتاً عالية، وبكاء وعويلا، ولا أرى أحداً[1]".

وفي مناقب ابن شهرآشوب ج2 ص190 : روى جماعة من الثقات: أنّه لمّا أمر المتوكلّ بحرث قبر الحسين، وأن يجري عليه الماء من العلقمي، أتى زيد المجنون وبهلول المجنون إلى كربلاء ونظرا إلى القبر لم يتغيّر بما صنعوا[2].

وفي هذا دلالة على وصف النهر بالعلقمي في تلك الأيام، ويؤكّد ذلك ما في مزار البحار ص161 عن مزار المفيد وابن المشهدي من ورود رواية بزيارة العبّاس (عليه السلام) غير مقيدّة بوقت، وفيها: " إذا وردت أرض كربلاء فأنزل منهما بشاطئ العلقمي، ثُمّ اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل الزيارة مندوباً وقل... "[3].

وفي تحيّة الزائر ص135 ذكر عنهما وعن الشهيد الأوّل وابن طاووس، ورود رواية بزيارة للحسين وقالوا: " إذا وردت قنطرة العلقمي فقل: إليك اللهمّ قصد القاصد.. "[4].

والظاهر منه ورود لفظ العلقمي في الرواية وليس من كلام العلماء، خصوصاً بعد العلم بأنّهم لا يذكرون إلا ما يعتمدون عليه في الروايات، ومنه نعرف أن نهر العلقمي كان معروفاً في الأزمنة السابقة على زمان ابن العلقمي الذي هو في القرن السابع.

(1) مدينة المعاجز 4: 70، الباب 127، بحار الأنوار 45: 193.

(2) مناقب آل أبي طالب 3: 221 ،وعنه بحار الأنوار 45: 401 ،والعوالم: 727.

(3) المزار للشيخ المفيد: 99 ، المزار للمشهدي: 370.

(4) المزار للمشهدي: 418 ، بحار الأنوار 98: 232.

وجاء في نصّ الشيخ الطوسي، ففي مصباح المتهجد ص499 : " إنّ الصادق (عليه السلام) قال لصفوان الجمّال: إذا أتيت الفوات (أعني شوعة الصادق بالعلقمي) فقل: اللهمّ أنت خير من وفد.. " [1].

وعلى هذا يكون قول الفاضل السيّد جعفر الحلّي على الحقيقة:

وهَوى بجنبِ العلقميّ فليته ... للشاربين بِهِ يداف العلقم

نعم، لم يُعرف السبب في التسمية به، وما قيل في وجهها: (إنّ الحافر للنهر رجل من بني علقمة، بطن من تميم، ثمّ من دارم جدّهم علقمة بن زرارة بن عدس) لا يعتمد عليه، لعدم الشاهد الواضح.

ومثله في ذكر السبب كثرة العلقم حول حافتي النهر، وهو كالقول بأنّ عضد الدولة أمر بحفر النهر ووكله إلى رجل اسمه علقمة، فإنّها دعاوى لا تعضدها قرينة، على أنك عرفت أنّ التسمية كانت قبل عضد الدولة.

وحكي في الكويت الأحمر ج2 ص112 عن السيّد مجد الدين محمّد المعروف بمجدي من معاصري الشيخ البهائي في كتابه زينة المجالس المؤلّف سنة 1004 : " أنّ الوزير السعيد ابن العلقمي لمّا بلغه خطاب الصادق (عليه السلام) للنهر: " إلى الآن تهوي وقد حُرم جدي منك" أمر بسدّ النهر وتخريبه، ومن أجله حصل خراب الكوفة، لأنّ ضياعها كانت تسقى منه ".

---

(1) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: 718، المزار للشهيد الأوّل: 118.

مشهد الرأس

ذكر أرباب المقاتل أنّ عمر بن سعد أمر بالرؤوس فقطّعت، فكانت ثمانية وسبعين رأساً، أخذت كندة ثلاثة عشر، وأقبلت هوازن باثني عشر، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وأقبلت بنو أسد بستّة عشر رأساً، واختصت مذحج بسبعة، ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً[1].

وساروا بها إلى الكوفة، ثُمّ سيرّ ابن زياد رأس الحسين ورؤوس من قتلُ معه من أهله وصحبه مع السبايا إلى يزيد بالشام[2].

(1) اللهوف في قتلى الطفوف: 85، لواعج الأشجان: 197.

(2) تاريخ الطوي 4: 351 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير 4: 83 الثقات لابن حبّان 2: 313 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي 3: 29 ، شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 14: 280، بلاغات النساء لابن طيفور: 21، البداية والنهاية لابن كثير 8: 209.

وقد تعصّب ابن تيمية فأنكر بعث ابن زياد للسبايا والرؤوس إلى يزيد، وهو إنكار باطل ردّه كثير من المحدثّين والمؤرخين.

قال الذهبي في السير 3: 319 : " أحمد بن محمّد بن حوزة: حدثّني أبي، عن أبيه، قال: أخبرني أبي حوزة بن يزيد الحضرمي قال: رأيت إمرأة من أجمل النساء وأعقلهن، يقال لها: (ريا)، حاضنة يزيد، يقال: بلغت مئة سنة، قالت: دخل رجل على يزيد، فقال: أبشر، فقد أمكنك اللّه من الحسين، وجي برأسه، قال: فوضع في طست، فأمر الغلام فكشف، فحين رآه خمر وجهه كأنه شمّ منه، فقلت لها: أقرع ثناياه بقضيب؟ قال: أي واللّه.

وقد حدّثني بعض أهلنا أنّه رأى رأس الحسين مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام، وحدثتّني ريا أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتّى ولي سلمان، فبعث فجي به، وقد بقي عظاما أبيض، فجعله في سفط، وطيبّه وكفنهّ ودفنه في مقابر المسلمين، فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه، فاللّه أعلم ما صنع به.

وذكر باقي الحكاية، وهي قوية الإسناد.

يحيى بن بكير، حدّثني الليث قال: أبى الحسين أن يستأسر حتّى قتل بالطف، وانطلقوا ببنيه علي وفاطمة وسكينة إلى يزيد، فجعل سكينة خلف سروه لئلا ترى رأس أبيها، وعلي في غلّ، فضرب على ثنيتي الحسين وتمثل بذلك البيت.. ".

وفي مجمع الزوائد للهيثمي 9: 195 رواية الليث المتقدّمة، وقال عقبها: " رواه الطواني ورجاله ثقات ".

والرواية في المعجم الكبير للطواني 3: 104 ، وكذلك في تاريخ الإسلام للذهبي 7: 442 ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 70: 15، الكامل في التاريخ لابن الاثير 4: 86.

وفي الإصابة 2: 71 : " كان آخر ذلك أن قتل وأُتي برأسه إلى عبيد اللّه، فأرسله ومن بقي من أهل بيته إلى يزيد، ومنهم علي بن الحسين وكان مريضاً، ومنهم عمته زينب، فلمّا قدموا على يزيد أدخلهم على عياله ".

وكذلك في تاريخ الطبري 4: 352 ،وغيرها من المصادر الكثيرة التي نطقت بهذا الأمر، فالتعلّل بعدم إرسالهم إليه تعلّل باطل لم يستند إلى دليل بعدما أثبت المحدّثون والمؤرّخون ذلك.

الصفحة 276

ولم يترك سيّد الشهداء الدعوة إلى الدين، وتفنيد عمل الظالمين حتىّ في هذا الحال، وهو مرفوع على القناة، فكان متمماً لنهضته المقدّسة التي أراق فيها دمه الطاهر، وقد استضاء خلق كثير من إشراقات رأسه الأزهر.

لهفي لرأسكَ فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلبابا

يتلوا الكتاب على السنان وإنّما رفعوا به فوق السنان كتابا

الصفحة 277

ولا غرابة بعد أن كان سيّد الشهداء دعامة من دعائم الدين، ومنار هداه، وعنه يأخذ تعاليمه، ومنه يتلقىّ معارفه، وهو صراطه المستقيم، ومنهجه القويم، دونه كانت مفاداته، وفي سبيله سبقت تضحيته، فهو حليف القرآن منذ أُنشئ كيانه، لأنّهما ثقلا رسول اللّه، وخليفتاه على أُمته، وقد نصّ المشرّع الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنهمّا لن يفترقا حتى يَردا عليه الحوض، فبذلك كان سلام اللّه عليه غير مبارح تلاوته طول حياته، في تهذيبه وإرشاده، في دعوته وتبليغه، في حلّه وترحاله حتّى في موقفه يوم الطفّ، ذلك المأزق الحرج، بين ظهراني أولُئك الطغاة المتجمهرين عليه، ليتم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجّة.

هكذا كان يسير إلى غايته المقدّسة سراً حثيثاً، حتىّ طفق يتلو القرآن رأسه الكريم، فوق عامل السنان، عسى أن يحصل من يكهربه نور الحقّ، غير أنّ داعية الحق والرشاد لم يصادف إلا قصراً في الإدراك، وطبعاً في القلوب، وصمماً في الآذان: { خَتَمَ اللهُ عَلىَ قُلُوبهِمْ وَعلىَ سَمعَهِم وعلىَ أبصارهم غَشاوَةٌ }[1].

وبلغ من غلواء ابن زياد وتيهه في الضلال أن أمر بالرأس الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسككها[2].

يقول زيد بن أرقم: " كنت في غرفة لي، فمروا بالرأس على رحبي، فسمعته يقرأ: { أَمْ حَسِبتَ أَنَ أَصحَابَ الكهفِ وَالرَقيمِ كَانوُا من آياتنا عَجبا }[3]، فوقف شعري، وقلت: رأسك أعجب و أعجب "[4].

(1) البقرة: 7.

(2) تاريخ الطبري 4: 348.

(3) الكهف: 9.

(4) الإرشاد للشيخ المفيد 2: 117 ، إعلام الورى بأعلام الهدى للطوي: 473، الدر النظيم: 561.

ولمّا صلّب في سوق الصيّرفة، وهناك ضوضاء، فأراد (عليه السلام)لفت الأنظار نحوه، تنحنح تنحنحا عاليا، فأتجه الناس نحوه، وأبهوهم الحال، فشرع في قراءة سورة الكهف إلى قوله تعالى: { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى }[1] "[2].

وعجب الحاضرون ; إذ لم تعهد هذه الفصاحة والإتيان على مقتضى الحال من رأس مقطوع، وبقي الناس واجمون لا يدرون ما يصنعون.

ولمّا صلّب على شجرة بالكوفة سمع يقرأ قوله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ }[3].

قال هلال بن معاوية: سمعت رأس الحسين يخاطب حامله ويقول: فرّقت رأسي وبدني إفرق اللّه بين لحمك وعظمك، وجعلك آية ونكالاً للعالمين، فرفع اللعين سوطاً وأخذ يضرب بين رأسه المطهّر[4].

وحدّث سلمة بن الكهيل أنّه سمع رأس الحسين بالكوفة يقرأ وهو مرفوع على الرمح: { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[5][6].

(1) الكهف: 13.

(2) مناقب آل أبي طالب 3: 218.

(3) الشعراء: 227.

(4) مدينة المعاجز للبحراني 4: 100.

(5) البقرة: 137.

(6) نهاية الدراية للصدر: 217 ، الوافي بالوفيات للصفدي 15: 201 ; نفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي: 362، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي 33: 694.

كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشكّ أنّه صوته حيث لم يعهد مثله يتكلّم، فإذا الإمام (عليه السلام) يخاطبه: " يا بن وكيدة، أما علمت أنّ معاشر الأئمة أحياء عند ربّهم يرزقون، فأراد تعجبّه وحدثّ نفسه أن يسرق الرأس ويدفنه، فنهاه الإمام وقال: يا بن وكيدة ليس إلى ذلك سبيل، إنّ سفكهم دمي أعظم عند اللّه من إشهارهم رأسي، فإنهم سوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون "[1].

وفي طريقهم إلى الشام نزلوا عند صومعة راهب، وفي الليل أشرف عليهم الراهب، فرأى نوراً ساطعاً من الرأس الشريف، وسمع تسبيحاً وتقديساً وتهليلاً وقائلاً يقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، فتعجب الراهب! ولم يعرف الحال حتى إذا أصبح وأراد القوم الرحيل سألهم عن الرأس؟ فأخبروه أنّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وأُمه فاطمة، وجدّه محمد المصطفى،

فطلب الرأس من خولي الأصبحي، فأبى عليه، فاستوضاه بمال كثير دفعه إليه، وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبّله وبكى وقال: تباً لكم أيتّها الجماعة، لقد صدقت الأخبار في قولها: إذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً، ثم أُسّلم ببركة الرأس الطاهر، وبعد أن ارتحلوا نظروا إلى الرواهم فإذا هي خزف مكتوب عليها: {وَسيَعلَمْ الَذينَّ ظَلمَوا أَيَ مُنقلَبَّ يَنقلبونَ }[2].

(1) مدينة المعاجز للبحراني 3: 462.

(2) مدينة المعاجز 4: 104.

وحدّث المنهال بن عمر قال: "رأيت رأس الحسين بدمشق أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف فلما بلغ { أَمْ حسَبتْ أنَ أَصْحاب الكهْفَ وْ الرقيمَ كَانوا منَ آياتنا عْجباَ } ، وإذ الرأس يخاطبه بلسان فصيح: وأعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي"[1].

وفي هذا الحال كُلّه لم ينقطع الدم من الرأس الشريف، وكان طرياً، ويشم منه رائحة طيبة[2].

وبالرغم من جدّ يزيد في محو آثار أهل البيت واحتقار حرم النبوّة حتىّ أنزلهم في الخربة التي لا تكنهمّ من حر ولا برد[3]، واستعماله القسوة بالرأس المقدّس، من صلبه على باب الجامع الأُموي[4]، وفي البلد ثلاثة أيّام[5]، وعلى باب داره[6].

ولم يزل أهل الشام – ومن حضر فيها من غيرهم – يشاهدون كرامات باهرات من الرأس الزاهر لا تصدر إلا من نبيّ أو وصيّ نبيّ، فأحرجهم الموقف، خصوصاً بعد ما وقفت العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والأضاليل، فأفادت الناس بصورة بنوايا ابن ميسون السيئة، وموقفه من الشريعة الطاهرة، وأنّه لم يرد إلا استئصال آل الرسول، حيث لم يعهد في

(1) الخرائج والجرائح للراوندي 2: 577، الصراط المستقيم للعاملي: 179، فيض الغدير في شرح الجامع الصغير للمناوي 1: 265، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي 11: 76.

(2) الخطط المقريزية 4: 284.

(3) الأمالي للشيخ الصدوق: 232، روضة الواعظين: 192، إقبال الأعمال لابن طاووس 3: 101، الأنوار النعمانية 3: 246.

(4) الأمالي للشيخ الصدوق: 230، روضة الواعظين: 191.

(5) الخطط المقريزية 2: 129.

(6) العوالم: 443.

الإسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبيّ الكريم، ذلك الذي مازال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرّض لها بسوء، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يشدّد النكير إذا بلغه في مغازيه قتل النساء[1].

حتّى إنّ جماعة من المسلمين لمّا استأذنوه لقتل ابن أبي الحقيق أذن لهم، وأمرهم بعدم التعرّض للنساء والصبيان وهم مشركون[2].

وعلى سيرته مشى المسلمون، وإنّ سيّدهم أمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا أتوا عائشة في الدار، قال له رجل من الأزد: واللّه لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: " صه، لا تهتكن ستراً، ولا تدخلن داراً، ولا تهيجنّ إمرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أُمراءكم وصلحائكم، فانهنّ ضعاف، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات، وان الرّجل ليكافئ المرأة بالضرب، فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد تعرض لامرأة فانكل به "[3].

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل، فاكثروا اللائمة عليه حتّى من لم ينتحل دين الإسلام.

وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في مجلسه أحدث ضجّة

---

(1) مسند أحمد بن حنبل 1: 256، صحيح مسلم 4: 21 و 5: 144، سنن ابن ماجة 2: 947، وغيرها من المصادر.

(2) تاريخ الطبري 2: 184، البداية والنهاية لابن كثير 4: 157، السيرة النبوية لابن هشام 3: 747.

(3) تاريخ الطبري 3: 544، الكامل في التاريخ 3: 257، وقسم منه في نهج البلاغة بشرح محمّد عبده 3: 515 الكافي للكليني 5: 39.

في المجلس، وعرف يزيد الإنكار منهم، وأنّه لم تجد فيهم تلك التمويهات. وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدّس لمّا أمر يزيد بقتل ذلك الرسول: " لا حول ولا قوة إلا باللّه "[1].

وأيّ أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين (عليه السلام) رأساً مقطوعاً ينطق بالكلام الفصيح؟ وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسوار اللّه؟ أو يطفئ نوره تعالى شأنه؟ كلا.

ولقد أنكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل، وكانت عند عبد اللّه ابن عامر بن كريز، وهو ابن خال عثمان بن عفان، فإنّ عامراً والى أُمّ عثمان أمهم أم حُكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فاجره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد بها[2].

فإنّها لمّا أبصرت الرأس الزاهي مصلوباً على باب دارها، ورأت الأنوار النبويّة تتصاعد إلى عنان السماء، وشاهدت الدم يقطر منه طرياً، أدهشها الحال، وعظم مصابه في قلبها، فلم تتمالك دون أن دخلت على يزيد في مجلسه، مهتوكة الحجاب، وهي تصيح رأس ابن بنت رسول اللّه على دارنا، فقام إليها وغطاها وقال لها: اعولي وابكي على الحسين، فإنّه صريخة بني هاشم، عجّل عليه ابن زياد[3].

---

(1) العوالم: 443.

(2) مقتل الحسين للخوارزمي 2: 81، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 62: 85، تاريخ الطبري 4: 456، الكامل في

التاريخ 4: 84 ، وفي هذه المصادر وغيرها اسمها هند بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز، وليس عبد اللّه بن عامر زوجها بل أبوها.

(3) المصادر المتقدّمة باختلاف في بعض الألفاظ.

ورأت في منامها كأنّ رجالاً نزلوا من السماء وطافوا وأس الحسين يسلمّون عليه، ولماّ انتبهت جاءت إلى الرأس، فأبصرت نوراً حوله، فطلبت يزيد لتقصّ عليه الرؤيا، فإذا هو في بعض الغرف يبكي ويقول: مالي ولحسين. وقدرأى مثل ما رأت [1] ، فأصبح يزيد ومِلءُ إذنه حديث الأندية عن القسوة التي استعملها والجور الشديد، فلم ير مَناصا منَ إلقاء التبعة على عاتق ابن زياد وتبعيداً للسبةّ عنه، ولكنّ الثابت لا يزال، وهذا هو السر في إنشاء كتاب صغير وصفه المؤرخوّن بأنه مثّل (إذن الفأرة)، أرفقه بكتابه الكبير إلى الوالي بأخذ البيعة من المدينة عامّة، وفي الكتاب الصغير إلزام الحسين (عليه السلام) بالبيعة وإن أبى تضرب عنقه [2] .

وليس الغرض من إنشاء الكتاب الصغير إلا أنّ يزيد لماّ كان عالما بأن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجعله خليفة، ولا كانت بيعته ممّا اتفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الأمُةّ، وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنماّ هو للوعيد والتهديد، فأراد يزيد أن يخلي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين (عليه السلام) بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطّأه، تورّع بالعذر بخلوّ كتابه للعامل بهذا الفعل، وانماّ هو شي جاء به من قبل نفسه، وكان له المجال حينئذ في إلقاء التبعة على العامل.

ولكن هلمّ واقرأ العجيب الغريب في إحياء العلوم ج3 ص106 في الآفة الثامنة من آفات اللسان، فهناك ترى الغزالي تائهاً

(1) بحار الأنوار 40: 80.

(2) تاريخ الطبري 4: 250 ، الكامل في التاريخ 4: 14 ، البداية والنهاية 8: 157.

في الغلواء لمّا وشجت عليه عروق النصب والتحيزّ إلى الأمويينّ، فأبى أن يلعن قاتل الحسين (عليه السلام) حتىّ على الإجمال فيقال: " لعنة اللّه على قاتل الحسين "، معللّا باحتمال موته بعد التوبة. وقد فاته أن التائب إن قبلتُ توبته لا يشمله اللعن، فإذن أىّ بأس إذا قيل: لعنة اللّه على قاتل الحسين (عليه السلام)، لولا ذلك العداء المحتدم بين الحوائج والبغض لأهل هذا البيت الطاهر؟!

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشي قاتل حمزة أسد اللّه وأسد رسوله، فقال فيه: إنّ وحشي تاب عن الكفر والقتل جميعاً، ولا يجوز أن يلعن، مع أنّ القتل كبيرة، فإذا لم يقيدّه بالتوبة وأطلق كان فيه خطر... إلى آخره [1] .

لا قياس بين يزيد ووحشي، فإنّ وحشياً قتل حمزة وهو كافر، فلماّ أسلم سقطت عنه كلُ تبّعة كانت عليه، لأن الإسلام يجب ما قبله، بخلاف يزيد فإنّه قتل الحسين (عليه السلام) وهو يظهر الإسلام، وقد ارتدّ بقتله ; إما لأنّ الحسين (عليه السلام) إمام

معصوم، أو لتشفّيه بذلك من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بما صنعه مع خاله وجدّه يوم بدر.

على أنّ من المقطوع به أنّ من باء بذلك الإثم العظيم وهو قتل الحسين (عليه السلام) لا يتوفّق للتوبة نهائيا، فإنه من الذنوب التي لا تدع صاحبها أن يتحيّز إلى خير أبداً.

كما أنّ من المقطوع به أنّ وحشيا وإن أظهر الإسلام أمام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

(1) إحياء علوم الدين للغزالي 3: 186، الآفة الثامنة في اللعن.

وسكت عنه النبّي وقال: " غيّب وجهك عني "[1] فلا يختم له بالصلاح والسعادة أبداً، ولا يأتي يوم القيامة وعليه شارة الهدى، وقد قتل سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الشاهد للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة.

كيف لا يلعن يزيد وقد جوّز العلماء المنقبّون لعنه، وصرّحوا بخروجه عن طريقة الإسلام، كما أفصح عن ذلك شعره، فإنه لمّا وردت عليه سبايا آل الرسول وأشرفوا على ثنية جيرون ونعب الغراب قال[2]:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربى جيروني

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني؟!

(1) فتح الباري 7: 284، المعجم الأوسط للطبراني 2: 222، الاستيعاب لابن عبد البر 4: 65، أُسد الغابة لابن الاثير 5: 84، تهذيب التهذيب لابن حجر 11: 100، الكامل في التاريخ لابن الاثير 2: 251، الوافي بالوفيات للصفدي 27: 253، وذكر ابن الاثير في أُسد الغابة 5: 84: " قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: مات وحشي في الخمر، أخرجه الثلاثة "، وفي شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري: 528، وابن كثير في البداية والنهاية 4: 22، السيرة النبوية لابن هشام 3: 592، السيرة الحلبية للحلبي 2: 538، واللفظ للأوّل: " وقال ابن الهمام: بلغني أنّ وحشياً لم يزل يجد في الخمر حتّى خلع من الديوان، فكان ابن عمر يقول: لقد علمت أنّ اللّه تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة رضي اللّه عنه هذا.. ".

(2) روح المعاني للآلوسي 26: 72، في تفسير قوله تعالى: (فهل عسيتم أن توليتم).

فمن أُولئك العلماء القاضي أبو يعلى، وأحمد بن حنبل، وابن الجوزي[1]، والكيا الهراسي[2]، والشيخ محمّد البكري، وسعد

(1) قال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص 2: 266: " وذكر جدّي أبو الفرج في كتاب الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد، وقال: سألني سائل فقال: ما تقول في يزيد بن معاوية؟

فقلت له: يكفيه ما به.

فقال: أتجوّز لعنته؟

فقلت: قد أجازها العلماء الورعون، منهم أحمد بن حنبل، فإنّه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة.

قال جدي: وأخبرنا أبو بكر محمّد بن عبد الباقي الزاز، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر،

أنبأنا أحمد بن محمّد الخلال، حدثّنا محمدّ بن علي، عن مهنا ّابن يحيى قال: سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية؟

فقال: هو الذي فعل ما فعل!

قلت: وما فعل؟

قال: نهب المدينة!

قلت: فتذكر عنه الحديث؟

قال: لا،ولا كرامة، لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه الحديث.

وحكى جدّي أبو الفوج عن القاضي أبي يعلى الفرّاء في كتابه (المعتمد في الأصول) بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: إنّ قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد؟

فقلت: فلم لا تلعنه؟

فقال: فمتىرأيتني لعنت شيئاً! يا بنيّ لم لا يلعن من لعنه الله فّي كتابه؟

فقلت: وأين لعن اللّه يزيد في كتابه؟

فقال: في قوله تعالى: (فَهلْ عسَيتمَ إنْ توليتم أنَ تفُسدُوا في الْأرضِ وتقطعوا أرحامكمَ * أولئك الذّينَ لعَنهُمْ الله فأصَمهَم وَأعَمْىَ أبصَارهَم) مُحمّد: 22 – 23 فهل يكون فساد أعظم من القتل؟

وفي رواية لما سأله صالح فقال: يا بنيّ ما أقول فيرجل لعنه اللّه في كتابه؟ وذكره.

قال جدّي: وصنفّ القاضي أبو يعلى الفرّاء كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللّعنّ، وذكر منهم يزيد، وقال في الكتاب المذكور: الممتنع من جواز لعن يزيد إمّا أن يكون غير عالم بذلك، أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك، وربمّا استفزّ الجهالّ بقوله (عليه السلام): " المؤمن لا يكون لعّاناً ".

قال القاضي أبو الحسن: وهذا محمول على من لا يستحقّ اللّعن.

فإن قيل: فقوله تعالى: (فَهلْ عسَيتمَ إنْ توليتم أنَ تفُسدُوا في الْأرضِ) محمد: 22) نزلتّ في منافقي اليهود؟

قلت: فقد أجاب جدّي عن هذا في كتابه (الرد على المتعصب العنيد) وقال في الجواب: إنّ الذي نقل هذا مقاتل بن سليمان، ذكره في تفسيره، وقد أجمع عامّة المحدثّين على كذبه ; كالبخاري، ووكيع، والساجي، والسعدي والرازي، والنسائي، وغيرهم. وقال: فسرّها أحمد بأنهّا في المسلمين، فكيف يقبل قول أحد إنهّا نزلت في المنافقين؟

فإن قيل: فقد قال النبيّ ـ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلمّ ـ: " أولّ جيش يغزو القسطنطينية مغفور له "، ويزيد أول مّن غزاها؟

قلنا: فقد قال النبيّ ـ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلمّ ـ: "لعن الله مّن أخاف مدينتي" والآخر ينسخ الأول..

وأما قوله ـ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلمّ ـ: "أولّ جيش يغزو القسطنطينية"، فإنماّ يعني أبا أيوبّ الأنصاري، لإنه كان فيهم.

ولا خلاف أنّ يزيد أخاف أهل المدينة، وسبى أهلها، ونهبها، وأباحها وتسمى وقعة الحرةّ...

وقال جدىّ في كتاب (الردّ على المتعصب العنيد): ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين، وتسليطه عمر بن سعد على قتله

والشّمر، وحمل الرؤوس إليه، وإنّما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب ثناياه، وحمل آل رسول اللهّ . صلىّ الله ّعليه [وآله] وسلّم . سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على ان يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاد أبيات ابن الزبعوي: ليت أشياخي ببدر شهدوا..

وردّه الرأس إلى المدينة . وقد تغيرّ ريحه . وما كان مقصوده إلا الفضيحة واظهار رائحته للناس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أليس إجماع المسلمين أنّ الخوارج والبغاة يكفنون ويصلّى عليهم ويدفنون؟!

وكذا قول يزيد: لي أنّ أسبيكم . لمّا طلب الرجل فاطمة بنت الحسين . قول لا يقنع لقائله وفاعله اللعّنة.

ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهليّة، وأضغان بدريّة لاحترم الرأس لماّ وصل إليه، ولم يضربه بالقضيب، وكفنهّ ودفنه، وأحسن إلى آل رسول اللّه . صلىّ اللهّ عليه [وآله] ..

قلت: والدليل على صحة هذا أنّه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً عظيمة، وتحفاً كثيرة، وقرّبه مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على نسائه، وجعله نديمه، وسكر ليلة فقال للمغنّي: غنّ، ثمّ قال يزيد بديها ً:

اسقني شربة تروّي فؤادي ... ثُمّ مل فاسقِ مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ... ومبيد الأعداد والحسّادِ

وقال ابن عقيل: وممّا يدلّ على كفره وزندقته . فضلا ً عن جواز سبهّ ولعنته . أشعاره التي أفصح فيها بالإلحاد، وأبان عن خبث الضمير وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أوّلها:

عُليّة هاتي واعلني وترنمي ... بذلك إنّي لا أحبّ التناجيا
حديث أبا سفيان قدماً سما بها ... إلى أحد حتّى أقام البواكيا
إلا هاتِ فاسقيني على ذاك قهوة ... تخيّرها العنسي كرماً شآميا
إذا ما نظرنا في أُمور قديمة ... وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متُ ـ يا أُم الاحيمر ـ فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حُدّثت عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا

إلى غير ذلك ممّا نقلته من ديوانه، ولهذا تطرّق إلى هذه الأمُة العار ولايته عليها، حتىّ قال أبو العلاء المعريّ يشير بالشّنار إليها:

أرى الأيّام تفعل كُلّ نكر ... فما أنا في العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسيناً ... وكان على خلافتكم يزيد

قلت: ولمّا لعنه جدّي أبو الفوج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء، قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا، فقال جدّي: (أَلَا بَعدًا لِّمَدينَ كَمَا بَعدَتَ ثَمُودِ) هُود: 95.

وحكي لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم أنّ جماعة سألوا جدّي عن يزيد؟

فقال: ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين: في السنة الأُولى قتل الحسين، وفي السنة الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدّمها وحرّمها؟

فقالوا: يلعن؟

فقال: فالعنوه " تذكرة الخواص 2 – 265 – 280 ، وراجع لكلام ابن الجوزي – الجدّ – في كتاب الردّ على المتعصب العنيد: 13 – 17.

(2) وفيات الأعيان 3: 287 ، فوات الوفيات 2: 641 ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي: 302 ، السيرة الحلبية 1: 367.

الصفحة 287

الصفحة 288

الصفحة 289

التفتزاني [1] ، وسبط ابن الجوزي [2] .

وقال الجاحظ: " إنّ المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وإخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة، وحمل بنات رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) سبايا، وقرعه ثنايا الحسين (عليه السلام) بالعود، هل تدلّ هذه القسوة والغلظة على نصب وسوء، وأيّ حقد و بغضاء ونفاق ويقين مدخول؟

أم تدلّ على الإخلاص وحب النبيّ والحفظ له وصحة السيرة؟

وعلى هذا فلا يعدو الفسق والضلال، وذلك أدنى منالة، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن شتم الملعون فملعون " [3] .

وقال العلاّمة الآلوسي: " لا توقّف في لعن يزيد، لكثرة أوصافه الخبيثة، وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكاليفه، ويكفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكّة، والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت، ورضاه بقتل الحسين على جدّه وعليه أفضل الصلاة والسلام، واستبشاره بذلك وإهانته بأهل بيته ممّا تواتر معناه.

والذي يغلب على ظنّي أنّ الخبيث لم يكن مصدقاً بالرسالة، وأن مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وأهل نبيه وعترته الطيّبين

(1) السيرة الحلبية 1: 267.

(2) تذكرة الخواص 2: 265 – 280.

(3) رسائل الجاحظ: 298، الحادية عشر في بني أُمية.

الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما ورد منه من المخازي، ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقائه ورقة من المصحف الشريف في قذر،ولا أظنّ أمره خافياً على أجلةّ المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، لم يسعهم إلا الصبر، ليقضِ اللّه أمراً كان مفعولا.ً

ولو سلّم أنّ الخبيث كان مسلماً،ً فهو مسلم ّجمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان،وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين،والظاهر أنّه لم يتب،واحتمال توبته أضعف من إيمانه.

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة، فلعنة اللّه عليهم أجمعين،وعلى أنصارهم وشيعتهم ومن مال ميلهم إلى يوم الدّين، ما دمعت عين على أبي عبد اللّه الحسين (عليه السلام)، ويعجبني قول شاعر العصر عبد الباقي أفندي العمري:

يزيد على لعن عريض جناية فأغدو به طول المدى العن اللعنا

ومن يخشى القيل والقال بلعن ذلك الضليل فليقل: لعن اللّه من رضي بقتل الحسين، ومن آذى عترة النبيّ بغير حق،ّ ومن غصبهم حقّهم، فإنّه يكون لاعنا لًه، لدخوله تحت العموم دخولا أوًليا فيً نفس الأمر.

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ سوى ابن العربي المالكي وموافقيه، فإنّهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوّزون لعن من رضي بقتل الحسين، وذلك لعمري هو الضلال البعيد الذي كاد

يزيد على ضلال يزيد... إلى آخره "[1].

وبعد هذا فهل يتوقّف أحد من لعن يزيد والواءة منه؟ وإن كان فليس هؤلاء إلا الضلال والعناد أعاذ اللّه أولياءه من شرّ الحقد.

لمّا كثرت اللائمة على يزيد خشي الفتنة وانقلاب الأمر، فتداركه بإرجاع السجاد والعيال إلى وطنهم، ومكنّهم مما يريدون وأس الحسين إلى كربلاء ودفنه مع الجسد، ولم يختلف في ذلك إثنان من علماء الإمامية المعروفين بالبحث والتنقيب، ومن هنا نسبه المجلسي في البحار إلى المشهور بين العلماء[2].

وفي روضة الواعظين ص165[3] قال: ردّ الرأس إلى الجسد.

وقال ابن نما في مثير الأحزان ص58: إنّه المعول عليه[4].

وفي اللهوف لابن طاووس ص112[5]: عليه عمل الإمامية.

وقال ابن شهراشوب في المناقب ج2 ص200: ذكر المرتضى في بعض رسائله أنّ رأس الحسين أُعيد إلى بدنه في كربلاء[6].

وقال الطوسي: ومنه زيارة الأربعين[7].

وفي مقتل العوالم ص154: إنّه المشهور بين علمائنا[8].

---

(1) روح المعاني للآلوسي 26: 74، في تفسير قوله تعالى (فهل عسيتم أن توليتم) الآية.

(2) بحار الأنوار 45: 144.

(3) روضة الواعظين: 192.

(4) مثير الأحزان: 85.

(5) اللهوف في قتلى الطفوف: 114.

(6) مناقب آل أبي طالب 3: 231.

(7) تهذيب الأحكام 6: 114.

(8) العوالم: 327 والعبارة: "وذكر المرتضى في بعض مسائله: أنّ رأس الحسين (عليه السلام) ردّ إلى بدنه (عليه السلام) بكربلاء من الشام وضمّ إليه".

وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الورى ص151[1]، والسيّد في رياض المصائب.

وأما باقي الرؤوس فلم يتعرّض لها أرباب المقاتل، ولكن في نفس المهموم ص253، ورياض الأحزان ص155 عن حبيب السير: أنّ يزيد سلّم جميع الرؤوس إلى علي بن الحسين فألحقها بالأبدان الطاهرة في العشرين من صفر، ثمّ توجه إلى

المدينة[2].

ولعلّ الاعتبار يساعده، فإنّ يزيد لماّ نقم عليه الناس وكثر الاضطراب، لم ير بَدا ُمنً موافقة الإمام السجاد على كل مُا يّريد وإخراجهم من الشام عاجلاً.

نعم، ذكر العلاّمة السيدّ محسن الأمين في أعيان الشيعة ج4 ص290 القسم الأوّل: أنهّرأى في سنة 1321 هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع على بابه صخرة مكتوب عليها: " هذا مدفنرأس العبّاس ابن علي، ورأس علىّ الأكبر بن الحسين، ورأس حبيب بن مظاهر ".

قال: " ثُمّ إنهّ انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد، وأعيُد بناؤه، وزُيلُت هذه الصخرة، وبني ُضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكن الحقيقة أنّه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدّم ذكرها بحسب ما كان موضوعا ًعلى بابه كما مرّ، وهذا المشهد الظنّ القوي بصحة نسبته، لأنّ الرؤوس بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إشهار

(1) إعلام الورى 1: 476.

(2) معالي السبطين 2: 191.

الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفّي، لابدّ أن تدفن في إحدى المقابر، فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير، وحفظ محلّ دفنها واللّه أعلم... إلى آخره "[1].

هذا ما ذكره السيّد أيده اللّه، ولو اطلع على حبيب السير لاعتقد عدم صحة الدفن هناك، على أنّ التغيير الذي ذكره يدلناّ على أنّ الحفظة لذلك المشهد لهم غرض آخر، وليس بالمستبعد أن ذلك المشهد محلّ صلب الرؤوس.

وحقيق أن يقال في كُلّ منها:

هامة في الحياة طاولت الشهب ... وما نالها هبوب الرياح

أنفت بعد موتها التربَ فاختار ت لها مسكناً رؤوس الرماح

(1) أعيان الشيعة 1: 627.

مشهد الكفين

لم يفتأ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) كما أنّهم يقتصوّن آثارهم في معارفهم وتعاليمهم، يتبركون بتعيين كلُ مّا يتعلق بّهم من مشهد أو معبد أو مقام، فيتبعونها بالحفاوة والتبجيل، ويرون ذلك من متممّات الولاء ولوازم الاتباع والمشايعة.

وهو كما يرون لأنّه إمّا مشهد زوار، أو معبد يقصد للعبادة، أو محل ّمسوة ّقيسوهمّ ذلك، أو موقف مأساة فيستلؤون لهم، وهذا هو التشيّع المحض، والاقتداء الصحيح.

ومن ذلك ما نشاهده في كربلاء المشرّفة من المقام (لكفّي أبي الفضل) اللذين تناقلتهما الألسن، وأخذ حديثهما الخلف عن السلف والسوة المستمرة بين الإمامية كافية في القطع بثبوت (المقامين)، ولولاها لانتقض الأمر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات.

يقع مقام (الكفّ اليمنى) في جهة الشمال الشرقي على حدّ محلةّ باب بغداد ومحلة ّباب الخان، قريبا منً باب الصحن المطهر ّ الواقعة في الجهة الشرقية، وعلى جدار المقام شباك صغير، وعلى جبهته بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمهما، ولا تاريخ البناء، ولا وضع الشباك، والبيتان:

أُفتاد دست راست خدايا زبيكوم بَر دامنَ ِحسين برسان دستَ ديكوم

الصفحة 295

دست جبم بجاست اكر نيست دست راست

اما زوار حيف كه يك دست بيصداست

ويقع مقام (الكفّ اليسرى) في السوق الصغير القريب من الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي، ويعرف بسوق باب العبّاس الصغير، وعلى الجدار شباك، وكتب بالقاشاني عليه: " هذا نظم الشيخ محمدّ المعروف بالسواج ".

سل إذا ما شئت واسمع واعلم ثمّ خذ منّي جواب المفهم

إنّ في هذا المقام انقطعت يسوة العبّاس بحر الكرم

هاهنا يا صاح طاحت بعدما طاحت اليمنى بجنب العلقم

الزيارة

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الزيارة من المأثور عن الإمام الصادق (عليه السلام)، ولكمال فضله وعلمه الجمّ، وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حدّ الإحصاء، كان في المثول حول مرقده الأقدس بداعي الزلفى إلى المولى تعالى مزيد لرسوخ العقيدة بأمر الدّين، وتعريف للأُمّة بما وجب من حقّ الله تعالى على خلقه، وان العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاة الله عزّ وجلّ.

ثُمّ إنّ الزيارة وان كانت مجرد الحضور عند المزور والسلام عليه بأي لفظ جاء به المسلم، كما يؤيده حديث مسلم ابن ظبيان عن الصادق (عليه السلام): " إذا أتيت القبر يعني قبر الحسين فقل: صلّى اللّه عليك يا أبا عبد اللّه، فقد تمتّ زيارتك "[1].

ولكنّ الألفاظ الواردة عن أهل البيت يلزم الاحتفاظ بها، لأنّها اشتملت على ما يناسب مقام المزور من الخواص، وما له من جهاد نافع في سبيل الدّين، مضافاً إلى ما فيها من التأدّب عند أداء السلام عليه.

فالقول المأثور من أهل البيت (عليهم السلام) في السلام عليهم أو على أحد أولادهم أو أصحابهم راجح، ومن هنا أفتى صاحب الوسائل فيها وخاتمة المحدّثين النوري في المستدرك باستحباب زيارة

(1) كامل الزيارات: 244، تهذيب الأحكام 6: 115.

الحسين بالزيارة المأثورة وآدابها، ولا خصوصية له على غيره من أئمة الهدى (عليهم السلام)، وبذلك المناط يتسرى إلى غيرهم.

ومن يقرأ ما ورد عن الإمام الصادق في زيارة أبي الفضل بتدبّر وإمعان يعرف رجحان الأخذ بقوله (عليه السلام)، وانّ الزائر مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل، وما يليق بجليل قدره، وعظيم منزلته.

ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العبّاس أن يقف مواجهاً له مستدبراً القبلة، كما هو الشأن في زيارة المعصومين، وهو مقتضى التأدّب أمام "قمر بني هاشم"، فإنّ زيارته ميتاً كزيارته حياً والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون)، ولا شكّ أنه لو كان حياً ودخل عليه الزائر يسلّم عليه إلا مواجهاً له.

ويشهد لذلك ما في مزار البحار ص165 عن المفيد وابن المشهدي والشهيد الأوّل أنهم قالوا: إنّ الزائر للعباسّ يقف أولاً على باب السقيفة ويستأذن للدخول فيقول: سلام اللّه وسلام ملائكته... إلى آخره، ثُمّ يدخل وينكب على القبر ويقول: السلام

عليك أيها العبد الصالح... إلى آخره، ثُمّ ينحرف إلى عند الرأس فيصلّي ويدعو، ويعود إلى الضريح ويقف عند الرجلين ويقول: السلام عليك يا أبا الفضل العبّاس... إلى آخره "[1].

وقد يدّعى أنّ هذه العبارة وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة الثمالي يقتضي الوقوف على قبر العباّس من دون تخصيص بجهة من الجهات، فإنّ العبارة: " ثُمّ ادخل وانكب على القبر وقل،... إلى

(1) المزار للشيخ المفيد: 120، المزار للمشهدي: 389، وعنهما بحار الأنوار 98: 217.

آخره "[1]، ولم يبيّن كيفيّة الانكباب هل أنّه من جهة القبلة، كما هو شأن زيارة الإمام المعصوم، أو من جهة عكسها، أو من جهة الرجلين أو الرأس؟

إلا أنّ المنصرف من الإطلاق إرادة جهة القبلة، خصوصاً لو كان الباب التي يدخل منها إلى الروضة المطهرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم، وحينئذ تكون زيارة أبي الفضل على حدّ زيارة المعصوم مواجهاً له مستدبراً القبلة.

فالتوقّف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محلّه، واستظهار المجلسي تخيير الوقوف في زيارته محلّ المناقشة، فإنّه لم يرد عن الأئمة خبر التفصيل بين المعصوم وغيره باستحباب المواجهة له في الأول واستقبال القبلة في الثاني.

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه (عليهما السلام) مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه، وهناك أخبار مطلقة بالوقوف على قبريهما كإطلاقها على قبري الجوادين والعسكريين والرضا (عليهم السلام)، فلا تخصيص للمعصوم على غيره.

وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة، ووضع اليد على القبر، والتوقيع المروي في الإقبال عن صاحب الزمان عجّل اللّه فرجه: " إذا أردت زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين فاستقبل القبلة بوجهك، فإن هناك حومة الشهداء، وقم وأشر إلى علي بن الحسين وقل: السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل... إلى آخره "[2].

(1) كامل الزيارات: 440.

(2) المزار للمشهدي: 486، إقبال الأعمال لابن طاووس 3: 73، وعنه البحار 45: 64.

أخصّ من المدّعى، على أن الاعتبار يشهد بأن السلام والثناء على المزور يستدعي مواجهته لا استدباره.

وكيف يكون الحال، فأبو الفضل ممتاز عن سائر المؤمنين بخواصّ لا يأتي البيان على حصرها، كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغبطه عليها جميع الشهداء والصديقين، وقد أعلمنا الإمام الصادق بالزيارة التي علّمها أبا حمزة الثمالي بأنّ لأبي الفضل مكانة سامية ودرجات عالية لا ينالها إلا أُولوا العزم من الرسل.

فرجحان مواجهته عند السلام عليه متعيّن، كما هو الحال في أئمة الهدى، (عليهم السلام) وبذلك أفتى شيخنا الحجّة الشيخ عبد الحسين مبارك (قدس سره) في بشارة الزائرين ثُمّ قال:

"ولعمر أبيه الطاهر صلوات اللّه وسلامه عليهما أنّه بذلك لحقيق جدير، فإنّه ابن سيد الوصيين، والمواسي ريحانة خير الخلق أجمعين (صلى الله عليه وآله وسلم) ".

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يقدّم زيارة العبّاس على زيارة الحسين، لأنّه بابه في الحوائج، وهو في محلّه، وعليه العمل منذ عهد قديم، وفي هذا يقول الأديب السيّد مهدي الأعرجي (رحمه الله):

قصدتكَ قبل ابن النبيّ محمدّ وأدمع عيني كالحيا في انسكابها

لأنّك في كلّ الحوائج بابه وهل يقصدون الدار من غير بابها

صلاة الزيارة

إنّ من الواجب المؤكّد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل (عليه السلام)، ويشهد له ما في مزار البحار ص165 عن مزار المفيد وابن المشهدي من الرواية عن الأئمة (عليهم السلام) في كيفية زيارته وبعدها قال: " ثُمّ انحرف إلى عند الرأس فصلّ ركعتين، ثُمّ صل بعدهما ما بدا لك "[1].

وذكر السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة.

كما أنّ الشيخ المفيد وابن المشهدي وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العبّاس يوم عيد الفطر والأضحى وليلة عرفة ويومها، الأمر بركعتي الزيارة بعد الفراغ منها[2].

وجاء في زيارة الأربعين: أن جابر الأنصاري زار العبّاس بن أمير المؤمنين ثُمّ صلّى ركعتين، ومن البعيد جدا أنّ يكون الحكم ممنوعاً منه عند الأئمة، ولا يعلمه مثل جابر المتخرّج من مدرستهم الكبرى، أو أنّه كان يغضّ الطرف عن هذا المنع، بل ظاهر الفعل أنّهما ركعتي الزيارة، وأنّه لما علمهِ من أئمته فسار على نهجهم.

(1) المزار للشيخ المفيد: 123، المزار للمشهدي: 179، المزار للشهيد الأوّل: 280، بحار الأنوار 97: 428.

(2) المصادر السابقة.

وإنّ من المستبعد جداً أن يثبت هؤلاء الأعاظم، وهم عمد المذهب المنقبوّن في الآثار، مثل هذه الوظائف من دون تخريج عن أئمتهم، بحيث يتورّطون في التشريع المحرّم والبدعة التي لا تقال عثرتها، (كلا وحاشا)، بل لم يودعوا في كتبهم ومزاراتهم إلا ما وقفوا عليه عن أئمتهم وإن لم نحط به خبراً ككثير مما وقفوا عليه.

وقد ذكر السيّد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر أنّ ما وقع اختياره عليه في هذا الكتاب، قد وصل على الوجه الذي استحسنه واعتمد عليه من جهة الرواية.

وذكر ابن المشهدي في أوّل مزاره أنّ ما أودعه في الكتاب ما حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدى[1].

إذن، فكيف يسعنا نسبة ما أودعوه في كتبهم إلى محض آرائهم من دون تخريج عن أهل البيت؟!

ولقد أفادنا بصورة في تأكيد هذا شيخ المحقّقين الشيخ أسد اللّه الكاظمي (قدس سره) في كشف القناع ص230، وحاصل ما ذكره:

إنّ من الجائز أن يحصل لبعض حملة أسوار الأئمة العلم بقول الإمام الغائب عن الأبصار، إمّا بنقل أحد سفرائه سواء على وجه يفيد اليقين، وإمّا بتوقيعه ومكاتبته كذلك، وإمّا بالسماع منه (عليه السلام) مشافهة على وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة، فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه، ولم يجد في الأدلة ما يدلّ عليه ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم، وممنوعاً عن إظهاره لسائر الناس، فلا مندوحة حينئذ من إظهار هذا الذي أطلع عليه بصورة

(1) المزار للمشهدي: 27.

الاتفاق عليه والتسالم، وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية، ولا مستند ظاهر من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة وأسرارهم.

ومن ذلك ما رواه والد العلاّمة الحلّي والسيّد ابن طاووس عن السيّد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الأزدي الحسيني المجاور بالمشهد الأقدّس الغروي، عن صاحب الزمان في طريق الاستخارة بالسبحة، وكما سمعه منه صلوات اللّه عليه ابن طاووس في السرداب، وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علّمه محمّد بن علي العلوي الحسني المصري في حائر الحسين وقد أتاه في خمس ليال حتّى تعلّمه[1].

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل، فيكون المطّلع على قول الإمام لمّا وجده مخالفا لِما عليه الإمامية أو معظمهم ولم يتمكّن من إظهاره على وجهه، وخشي أن يضيع الحقّ جعله قولا، ومن أقوالهم، واعتمد عليه، وأفتى به من دون تصريح بدليله.

فتحصّل من ذلك: أنّ العلماء لم يدعّوا في كتبهم حكما مِن الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم، وقد يكون بطريق المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء، فما ذكره المشايخ المتقدّمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت، إذ لعلّه وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم.

(1) بحار الأنوار 51: 307، معجم أحاديث المهدي: 487.

ولو تنزلنا عن ذلك لدلّنا حديث أبي حمزة الثمالي المروي في كامل الزيارة ص240 عن الإمام الصادق الواردة في زيارة الحسين المشتملة على المقدّمات والمقارنات الكثيرة وفيه قال الصادق (عليه السلام): " فإذا فرغت فصلّ ما أحببت، إلا أنّ ركعتي الزيارة لا بدّ منهما عند كلّ قبر "[1] ; فإنّه أثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كلّ مزور، وليس له مخصّص يدفع العموم.

وخلوّ بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين من التعرّض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم، فالعامّ محكم في موارده حتّى يجيء المخصص المخرّج.

كما أنّ خلوّ رواية أبي حمزة الثمالي الواردة في زيارة العباّس (عليه السلام) عن ذكر صلاة الزيارة لا يدل على عدم المشروعية.

والتنصيص في زيارة المعصومين لا يدلّ على عدم المشروعية في غيرهم.

فهذا العموم، وما ذكر في مزارات من تقدّم ذكرهم من النصّ عليها، كاف في المشروعية والرجحان.

فما حُكي عن بعض معاصري العلاّمة المجلسي من منع صلاة الزيارة لغير المعصومين[2] ، مستدلاّ بخلو الأخبار الواردة في زياراتهم عنها، في غير محلّه ; لما عرفت من الدليل عليه.

مضافاً إلى ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص180 ، عن مؤلّف المزار الكبير، عن صفوان الجمال، عن الصادق (عليه السلام)، من

---

(1) كامل الزيارات: 417، بحار الأنوار 97: 133.

(2) بحار الأنوار 98: 378.

الأمر بصلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر[1] ، ويتمّ في أبي الفضل بعدم القول بالفصل.

وفيه عن المزار الكبير[2] ، ومزار الشهيد[3] بعد ذكر زيارة مسلم بن عقيل قال: " ثُمّ انحرف إلى عند الرأس فصلّ ركعتين، ثُم صلّ بعدهما ما بدا لك "، وظاهره أن الركعتين للزيارة، ولكنّه نقل عن مزار السيدّ ابن طاووس التصريح بذلك، فإنّه بعد الفراغ من الزيارة قال: " ثُمّ تقبلّ الضريح وتصلي صلاة الزيارة، وتهدي ثوابها له، ثم تودّعه وتنصرف "[4] .

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة قال: " ثُمّ صلّ صلاة الزيارة واهدها له، وادع لنفسك بما شئت، وودعه وانصرف "[5] .

وعلى ما تقدّم من أنّ هؤلاء الأعلام لم يدعوا في مزاراتهم إلا ّما رووه عن أئمتهم أو وجدوه مرويا واًعتمدوا عليه.

ويتضح لنا رجحان ركعتّي الزيارة لمسلم وهانئ، على أنّ الإطلاق المذكور يشملهما.

فإذن في أبي الفضل (عليه السلام) بطريق أولى.

---

(1) بحار الأنوار 98: 98.

(2) المزار للمشهدي: 179.

(3) المزار للشهيد الأوّل: 280.

(4) بحار الأنوار 97: 428.

(5) بحار الأنوار 97: 429.

تقبيل القبر

ممّا يدلّ على رجحان تقبيل قبر العباّس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) ما رواه في مزار البحار ص180 ، عن مؤلّف المزار الكبير، عن صفوان الجمال، عن الصادق... وساق الزيارة للحسين إلى أنّ قال:

" ثُمّ تأتي إلى قبر العباّس بن علي وتقول: السلام عليك أيها الولي . إلى أن قال . ثم تُنكب على القبر وتقبله وتقول: بأبي وأُمّي يا ناصر دين اللهّ، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا ناصر الحسين الصديقّ، السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد، السلام عليك منّي أبداً ما بقيت، وصلىّ اللهّ على محمد وآل وسلم " [1] .

وفيه كفاية لمن يتطلب النصّ على المشروعية والرجحان، ويضاف إليه ما ذكره المفيد وابن المشهدي وابن طاووس في مزاراتهم فإنّهم قالوا بعد الاستئذان: " ثُمّ ادخل وانكب على القبر وقل: السلام عليك أيها العبد الصالح... إلى آخره ".

ولهذا وأمثاله كان شيخ المحقّقين ونخبة المرتاضين مجددّ المذهب في المائة الثانية عشر محمدّ باقر البهبهاني إذا دخل إلى

(1) المزار للمشهدي: 433، بحار الأنوار 98: 261.

حرم أبي الفضل (عليه السلام) يقبّل عتبة الباب كما يفعل في حرم سيدّ الشهداء (عليه السلام) [1] ، وفعل هذا المتبحّر حجّة، وعمله أكبر برهان لمن يتبع الحقّ: { أَفَمَن يَهدِيْ إِلى الحَق أَحَقّ أَنْ يَتبعُ } [2] .

(1) أسرار الشهادة: 66.

(2) يونس: 35.

أولاده وأحفاده

كان للعباس من الأولاد خمسة: عبيد اللّه [1]، والفضل [2]، والحسن [3]، والقاسم [4]، وبنتان.

وعدّ ابن شهرآشوب من الشهداء في الطفّ ولد العباس محمداً [5].

فأمّا عبيد اللّه والفضل فأمُهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب، وأمها أُمّ حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية.

كانت من أجمل النساء وأوفرهنّ عقلا، ولمّا قتل بسر بن أرطأة ولديها عبد الرحمن وقثم، وكانا صبيين صغيرين، وهي تنظر إليهما، فقدت الصبر وأخذها الوجد، فكانت تدور في البيت ناشرة شعرها وتقول في رثائهما [6]:

يا من أحسّ بابنيَّ اللذين هما كالرّتين تشظّى عنهما الصدف

(1) مستدركات علم الرجال للنمازي 6: 216.

(2) الجوهرة في نسب الإمام علي: 57.

(3) الجوهرة في نسب الإمام علي: 57.

(4) الجوهرة في نسب الإمام علي: 57.

(5) الجوهرة في نسب الإمام علي: 57.

(6) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 13، تاريخ مدينة دمشق 10: 153، بلاغات النساء لابن طيفور: 202، الكامل في التاريخ 3: 384.

يا من أحسّ يا بنيّ اللذين هما سمعي وقلبي فمخي اليوم مختطف

نُبئّت بسوا وًما صدقتّ ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي اقتوفوا

أنحي على ودجي ابنيّ مرهفة مشحوذة وكذاك الإفك يقترف

حتّى لقيت رجالا من رُومته شمّ الانُوف لهم في قولهم شرف

فالآن ألعن بسواً حقّ لعنته هذا لعمر أبي بسر هو السرف

مَن ذلّ والهة حوىّ مولهةّ على صبيّين ضلا إذ غدا السلف

فسمع قولها هذا رجل من أهل اليمن فوق لها واتصل ببسر حتّى وثق به، ثمُ احتال لقتل ابني بسر، فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب، وقال [1] :

يا بسر بسر بني أرطأة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين هم عين الهدى وسمام الأسوق القاسي

ماذا أردت إلى طفلي مولّهة تبكي وتنشد من اثكلت في الناس

(1) الأغاني 15: 45.

أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت من صاحبيك قناتي يوم أوطاس

فاشرب بكأسهما ثكلى كما شربت أمّ الصبيينّ أو ذاق ابن عباس

ولمّا بلغ قتلهما أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا على بسر فقال: " اللّهم اسلبه دينه وعقله " [1] ، فخرف بسر حتّى كان يلعب بخرئه ويقول لمن حضر: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد اللّه هذا الخرء، فشدّوا يديه إلى ورائه ليمُنع من ذلك، فانجا يوماً في مكانه وأهوى بفمه ليتناول منه، فمنع منه، فقال: أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني؟! وبقي على هذا حتّى مات في سنة 86 هجرية أيام الوليد بن عبد الملك [2] .

خلف على لبابة بعد أبي الفضل (عليه السلام) زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين، فأولدها نفيسة، تزوّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان [3] .

فولدت له ولداً، فكان زيد بن الحسن يفد إلى الوليد ويجلس معه على السرير ويكرمه، لمكان ابنته عنده، ووهب له ثلاثين

ألف دينار دفعة واحدة[4].

وخلف عليها بعد زيد بن الحسن الوليد بن عبتة بن أبي سفيان فولدت له القاسم[5].

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 18، أنساب الأشراف: 460، الكامل في التاريخ 3: 385.

(2) مروج الذهب 2: 155.

(3) تذكرة الخواص 2: 71.

(4) سرّ السلسلة العلوية للبخلي: 29.

(5) المجدي في أنساب الطالبين: 231.

واتفق أرباب النسب على انحصار عقب العبّاس ابن أمير المؤمنين في ولده عبيد اللّه، وزاد الشيخ الفتوني العقب للحسن بن العبّاس، وكان عبيد اللّه من كبار العلماء موصوفا بالجمال والكمال والمروءة مات سنة 155 هجرية[1].

تزوّج من ثلاث عقائل كرام: رقية بنت الحسن بن علي، وبنت معبد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، وبنت المسورّ بن مخرمة الزبيري[2].

ولعبيد اللّه هذا مقولة كبيرة عند السّجاد كرامة لموقف أبيه (قمر بن هاشم)، وكان إذا رأى عبيد اللهّ رق واستعبر باكيا، فإذا سُئل عنه قال: " إنّي اذكُر موقف أبيه يوم الطف فما أملك نفسي ".

وانحصر عقب عبيد اللّه في ولده الحسن، وكان لأُم ولد، عاش سبعا وستينّ سنة، أولد الحسن بن عبيد الله بّن العباسّ خمسة:

1 . الفضل.

2 . حمزة.

3 . إبراهيم.

4 . العبّاس.

5 . عبيد اللّه.

وكُلّهم أجلاءّ فضلاء أدباُء[3].

(1) المجدي في أنساب الطالبين: 231.

(2) سرّ السلسلة العلوية: 90 وذكر أنهنّ أربعة بإضافة أم علي بن الحسين بن علي.

(3) المجدي في أنساب الطالبين: 231.

(1)

فأمّا الفضل فكان لسناً متكلمّاً فَصيحا، شَديد الدين، عظيم الشجاعة، محتشما عندً الخلفاء ، ويقال له: (ابن الهاشمية).

أعقب من ثلاثة: جعفر، والعبّاس الأكبر، ومحمدّ، ولكلُ مّنهم أولاد الأدباُء.

فمنهم أبو العبّاس الفضل بن محمدّ بن الفضل بن الحسن بن عبيد اللهّ بن العباسّ، كان خطيبا شاًعوا، وقًع عقبه إلى قم وطبرستان، وله أبيات في موقف جدّه العباّس يوم الطف نذكرها في فضل المديح [2].

وأمّا حمزة فيشبه جدّه أمير المؤمنين، خرج توقيع المأمون بخطهّ وفيه: يعطُي لحمزة بن الحسن بن عبيد الله بّن العباسّ ابن أمير المؤمنين مائه ألف درهم، لشبهه بجدّه أمير المؤمنين.

تزوّج [3] زينب بنت الحسين بن علي بن عبد اللّه بن جعفر الطيار المعروف بـ (الزينبي)، نسبة إلى أُمهزينب بنت أمير المؤمنين، وكان حفيده محمّد بن علي بن حمزة متوجاّ شًاعوا، نًزل البصرة، وروى الحديث عن الرضا وغيره، مات سنة 286 هـ [4].

وسيأتي في ترجمة ابن أخيه الحمزة صاحب المشهد بقرب الحلّة: " إنّ أمُ صّاحب الزمان التجأت إلى بيته ".

وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج2 ص63 وقال: " كانراوية للأخبار، وهو صدوق، وله الرواية عن جماعة كثير * [5].

---

(1) سرّ السلسلة العلوية: 90، المجدي في أنساب الطالبيين: 232.

(2) المجدي في أنساب الطالبين.

(3) سرّ السلسلة العلوية: 91.

(4) عمدة الطالب: 358.

(5) تاريخ بغداد 3: 328.

وفي تهذيب التهذيب ج9 ص352 وصفه بالعلوي البغدادي، ونقل عن ابن أبي حاتم: أنّه صدوق ثقة [1].

وأمّا إبراهيم ويعُرف بـ (جردقة) كان من الفقهاء الأدبُاء والزهاد، وابنه علي أحد الأجواد، له جاه وشرف، مات سنة 264 هـ، أولد تسعة عشر ولداً، ومن أحفاده: أبو الحسن علي بن يحيى بن علي بن إبراهيم جردقة، كان خليفة أبي عبد اللّه بن الداعي على النقابة ببغداد [2].

وعبد اللّه بن علي بن إبراهيم جردقة جاء إلى بغداد، ثمُ سّكن مصر، وكان يمتنع من التحدثّ بها، ثم حُدّث، وّعنده كتب تسمّى (الجعفرية)، فيها فقه على مذهب الشيعة، توفي في مصر في رجب سنة ثلاثمائة واثني عشر [3].

وقال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة في العباّس بن الحسن ابن عبيد اللهّ بن العباسّ السقا: " ما رؤي هاشمي أعضب لساناً منهولا أجوأ " [4].

قدم بغداد في أيام الرشيد، وأقام في صحبته، ثُمّ صحب المأمون بعده، وكان من رجال بني هاشم فصاحة وشعرا [5]،

ولجلالته وفضله وبلاغته وفصاحته يكنّى عند الرشيد [6] ومن شعره في أخاء أبي طالب لعبد اللّه والد الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم):

(1) تهذيب التهذيب 9: 314.

(2) عمدة الطالب: 324.

(3) تاريخ بغداد: 10: 345.

(4) سر السلسلة العلوية: 90، عمدة الطالب: 359.

(5) تاريخ الإسلام للذهبي 13: 246 ، الوافي بالوفيات 16: 370.

(6) عمدة الطالب: 359.

انا وإن رسول اللّه يجمعنا ... أب وأُمّ وجد غير موصوم

جاءت بنا ربة من غير أُسرته ... غواء من نسل عمران بن مخزوم

حزناً يهادون مَن يسعى ليدركها ... قرابة من حواها غير مسهوم

رزقاً من اللّه أعطانا فضيلته ... والناس من بين مرزوق ومحروم [1]

وفي المجدي ممّا رثى به أخاه محمداً:

ولى البقيع محمّد ... للّه ما ولى البقيع

من نائل وندى ومعـ ... ـروف إذا ظنّ المنوع

وحبّاً لأيتام وأرملة ... إذا جفّ الربيع

ولى فولى الجود والمعـ ... ـروف والحسب الرفيع [2]

وقال وله أيضاً:

وقالت قويش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر

(1) تاريخ بغداد 12: 126، أعيان الشيعة 7: 413.

(2) المجدي في أنساب الطالبين: 236.

بنا تفخرون على غيرنا فأما علينا فلا تفخروا[1]

أولد العبّاس عشرة ذكور منهم عبد اللّه، وأمُه أفطسية، كان أديبا شاعرا، فمن شعره ما في المجدي:

إنّي لا ستحي أخي أن أرى قريباً وإن أجفوه وهو بعيد

عليّ لإخواني رقيب من تبيد الليالي وهو ليس

الهوى يبيد[2]

وفي سرّ السلسلة: " قدم على المأمون، فتقدّم عنده، ولما سمع بموته قال: اسقوا الناس بعدك يابن عباس، ومشى في جنازته، وكان يسميه الشيخ ابن الشيخ "[3].

وفي العمدة: " كان من أحفاد العبّاس السقا أبو الطيّب محمدّ ابن حمزة بن عبد الله بن العباسّ بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس السقا، من أكمل الناس مروءة وسماحة، وصلة رحم، وكثرة معروف، مع فضل كثير، وجاه واسع، اتخذ بمدينة الأردن . وهي طبرية . ضياعاً وأموالا، فحسده طغج بن جف الوغاني، فدسّ إليه جندا قتلوه في بستان له بطبرية في صفر سنة 291 هـ، ورثته الشعراء، فمن ذلك ما في المجدي:

أيّ رزء جنى على الإسلام أي خطب من الخطوب الجسام[4]

(1) المجدي في أنساب الطالبين: 236.

(2) المجدي في أنساب الطالبين: 237، عمدة الطالب لابن عنبة: 359.

(3) عمدة الطالب: 359.

(4) المجدي في أنساب الطالبين: 237.

ويقال لعقبه: بنو الشهيد.

وترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص435 وقال: " شاعر الافتخار بآبائه، وكان في أيام المتوكّل وبعده، وهو القائل:

وإنّي كريم من أكارم سادة أكفّهم تندى بجزل المواهب

هم خير من يخفى وأفضل ناعل وذروة هضب العرب من آل غالب

هم المَنّ والسلوى لدان بوده وكالسمّ في حلق العدوّ المجانب[1]

وترجم له شيخنا الجليل العلاّمة ميرزا عبد الحسين الأميني في شعراء الغدير ج3 ص3 طبع النجف.

وأمّا عبيد اللّه بن الحسن بن عبيد اللّه بن العباسّ السقا (عليه السلام)، ففيه يقول محمد بّن يوسف الجعفوي: " مارأيت أحداً أهيب، ولا أهيأ، ولا أمرأ من عبيد اللّه بن الحسن، تولىّ إمارة الحرمين مكة والمدينة والقضاء بهما أيامّ المأمون سنة 204 هجرية "[2].

وفي سنة 204 هـ، وسنة 206 هولاّه إمارة الحاج[3]، مات ببغداد في زمن المأمون، وكانت أُمّه وأمُ أخيه العباسّ أم ولد[4] وقع عقب علي بن عبيد اللّه قاضي الحرمين إلى دمياط، ويقال: لهم بنو هارون، وإلى فسا ويقال: لهم بنو الهدهد، وإلى اليمن.

وأمّا الحسن بن عبيد اللّه الأمير القاضي فأولد عبد اللّه، كان له

(1) الوافي بالوفيات 2: 220 ; الغدير 3: 2.

(2) تاريخ بغداد 10: 313.

(3) تاريخ الطوي 7: 156.

(4) تاريخ بغداد 10: 313.

إحدى عشر ذكراً، لهم أعقاب، منهم: القاسم بن عبد اللّه بن الحسن بن عبيد اللّه قاضي الحرمين بن الحسن بن عبيد اللّه بن العبّاس الشهيد السقا، له خطر بالمدينة، وأحد أصحاب الرأي، لسناً، متكلماً، سعى بالصلح بين بني علي وجعفر، وهو صاحب أبي محمّد الحسن العسكري (عليه السلام)[1].

فأحفاد العبّاس كلُهّم أجلاء، لهم المكانة العالية بين الناس ; لأنهمّ بين فقهاء ومحدثينّ ونسابينّ وأمراء وأدباء، ولا بدع بعد

أن عوق فيهم (أبو الفضل)، فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات الجميلة، فكانت ملامح الشوف والسؤدد تلوح على أسارير جبهاتهم، وملء أهابهم علم وعمل وحشو الردى هيبة ومنعة.

ومنهم السيّد الجليل صاحب الحوم المنيع والقبة السامية (الحمزة)، المدفون بالمدحتية قرب الحلّة.

---

(1) عمدة الطالب: 349.

الحمزة

من أحفاد أبي الفضل السيّد الجليل أبو يعلى الحمزة ابن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد اللّه بن العباّس ابن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد كتب الشيخ الجليل العلاّمة ميرزا محمدّ علي الأُردبادي صحائف غرُ في حياته نذكرها بنصها، قال:

" كان أبو يعلى أحد علماء العترة الطاهرة، وفذّاً من أفذاذ بيت الوحي، وأوحدي من سروات المجد من هاشم.

روى الحديث فأكثر، واختلف إليه العلماء للأخذ منه، منهم: الشيخ الأجل أبو محمدّ هارون بن موسى التلعكبري، وأحد أعاظم الشيعة، ومن حملة علومهم، توفي سنّة 385 هـ.

والحسين بن هاشم المؤدّب، وعلي بن أحمد بن محمدّ بن عمران الدقاق، وكلاهما من مشايخ الصدوق ابن بابويه القميّ.

وعلي بن محمدّ القلانسي، من مشايخ الشيخ المبجل أبي عبد اللّه الحسين بن عبيد اللّه الغضائري.

وأبو عبد اللّه الحسين بن علي الحوّاز القميّ "[1].

ويظهر من هذا أنّه كان في طبقة ثقة الإسلام الكليني، قد أدرك القرنين آخر الثالث وأواخر الرابع، ولأجله عقد له الشيخ العلاّمة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه (نابغة الرواة في رابعة المئات) ترجمة ضافية، فهو من علماء الغيبة الصغرى.

(1) رجال النجاشي: 140، نقد الرجال للتفرشي 2: 167، رجال العلاّمة: 121، رجال ابن داود: 85.

وله من الآثار والمآثر: كتاب التوحيد، وكتاب الزيارات والمناسك، وكتاب الرّد على محمدّ بن جعفر الأسدي، وكتاب من روى عن جعفر بن محمدّ (عليهما السلام) من الرجال، استحسنه النجاشي والعلاّمة، ولهذا ترجمه شيخنا الطهراني في مصفىّ المقال في مصنفي علماء الرجال، وأسند النجاشي إلى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلانسي عن سيّدنا المترجم.

وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه:

قال النجاشي والعلاّمة: " إنّه ثقة جليل القدر من أصحابنا، كثير الحديث "[1].

وقال المجلسي في الوجيزة: " ثقة "[2].

وفي تنقيح المقال للعلاّمة المامقاني: " السيدّ جليل حمزة، ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة "[3].

وفي الكنى والألقاب لشيخنا المحدّث الشيخ عباس القميّ: " إنّه أحد علماء الإجازة، وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع "[4].

إنّ دون مقام سيدّنا المترجم أن نقول فيه: إنّه من مشايخ الإجازة الذين هم في غنى عن أي تزكية وتوثيق، كما نص بّه

الشهيد الثاني، وتلقّاه من بعده بالقبول، فإنّ ذلك شأن من لا يعرف وجهُلت شخصيته، وانٍ مّكانة سيدناً أبي يعلى فوق ذلك كله ُ ّ على ما عرفته من نصوص علماء الرجال.

(1) رجال النجاشي: 140/364.

(2) بحار الأنوار 53: 287.

(3) تنقيح المقال 1: 376.

(4) الكنى والالقاب للقمي 1: 187.

ومن كراماته المريبة على حدّ الإحصاء، المشهودة من مرقده المطهّر، فهو من رجالات أهل البيت المعدودين من أعيان علمائهم بكُلّ فضيلة ظاهرة ومأثرة باهرة:

والشمس معروفة بالعين والأثر ....

فليس هو ممّن نتحرّى إثبات ثقته حتىّ نتشبثّ بأمثال ذلك. نعم، كثرة روايته للحديث تنم عّن فضل كثار من غزارة علمه، ومن قولهم (عليهم السلام): " اعرفوا منازل الرجال منّا بقدر رواياتهم عنا "، فإن ّذلك يشف ّعن التصلب ّفي أمرهم، والتضلع ّ بعلومهم، والبث لمعارفهم، وبطبع الحال إن كُلا من هذه يقرّب العبد إلى اللهّ تعالى واليهم (عليهم السلام) زلفى، فكيف بمن له الحظوة بها جمعاء، كسيّدنا المترجم على نسبه المتألق المتصل بروحهم القدسي اليانع؟!

أمّا مشايخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المعاجم وكتب الحديث، كرجال الطوسي، وفهرست النجاشي، وإكمال الدّين للصدوق، منهم:

1 . الشيخ الثّقة الجليل سعد بن عبد اللهّ الأشعري.

2 . محمّد بن سهل بن ذارويه القمّي.

3 . الحسن بن ميثل.

4 . علي بن عبد بن يحيى.

5 . جعفر بن مالك الفزاري الكوفي.

6 . أبو الحسن علي بن الجنيد الرازي.

7 .وأجلّ مشيخته عمهّ مستودع ناموس الإمامة، والمؤتمن على وديعة المهيمن سبحانه، أبو عبد اللهّ أو عبيد اللهّ محمد بّن علي بن حمزة الحسن بن عبيد اللّه بن العباّس (عليه السلام).

ومن جلالته أنّه لمّا وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمدّ العسكري (عليه السلام)، وكثر الفحص والطلب من زبانية الإلحاد وطواغيت الوقت على بيت الإمامة ونسائه وحواريه وإمائه، حذار وجود البقية منه أو وجود حامل منهم تلده، لمّا بلغ الطاغية أنّ الخلف بعد أبي محمّد العسكري يدمرّ دولة الباطل، فحسبه في العاجل وهو آجل، فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة أمُ الإمام المنتظر عجّل اللّه فرجه (نرجس) سلامّ اللهّ عليه وعليها إلى بيت أبي عبد الله هّذا، كما نص بهّ النجاشي للحفظ من عادية الموجفين[1].

وإنّ الاعتبار لا يدعنا إلاّ أن نقول بأنّ بيتا يحوي أم الإمام لابد أنّ يكون مختلف ولي الدّهر، وصاحب العصر، الناهض بعبء خلافة اللّه الكبرى، ومحطّ أسراره، ومرتكز أمره، ومجرى علومه، ومصبّ معارفه، ليتعاهد الحرةّ الطيبة أمهُ نرجس، ويكون (عليه السلام) هو المجتبى في صدر ذلك الدست والمتربع على منصّه غرّه.

ولا شكّ أنّ أبا عبد اللهّ هذا يقتبس من علومه، ويستضيء بأنواره، وحينئذ فدون مقامه إطراء العلماء له كقول النجاشي والعلاّمة: " ثقة جليل "، وكقول ابن داوود: " عين في الحديث، صحيح الاعتماد "[2]، كتوثيقات الوجزة، والبلغة، والمشتركات، وحلوي الأقوال.

---

(1) رجال النجاشي: 347 ، ولكن في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: 459، ح7 ، قال: " فماتت [يعني أم الامام الحجة] ـ في حياة أبي محمّد (عليه السلام) ".

(2) رجال النجاشي: 347/938 ، وهذه عبارته وليست عبارة ابن داود، وارجع إلى رجال الحلّي: 360/106، ونقد الرجال 4: 274/4926/570 ، وغيرها.

وقال ابن عنبة في العمدة: " نزل البصرة، وروى الحديث عن علي بن موسى الكاظم (عليه السلام) وغيره بها وبغيرها، وكان متوجّهاً عالماً شاعراً "، وقال النجاشي: " له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد (عليهما السلام)، وان له مكاتبة، وله مقاتل الطالبين "[1].

فحسب سيّدنا المترجم أبو يعلى من الشرف أن يكون معماً بمثله، وناهيه من الفضيلة أن يكون خريجا لمدرسته.

ووالد أبي عبد اللّه هذا فهو علي بن حمزة بن الحسن، نصّ النجاشي والعلاّمة الحليّ وفي الوجزة والبلغة على ثقته.

وأبو حمزة الشبيه بجدّه أمير المؤمنين جليل القدر عظيم المنزلة، خرج توقيع المأمون بخطه: " يُعطى لحمزة ابن الحسن لشبهه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مائة ألف درهم "، قاله ابن عنبة في العمدة[2].

وأبو حمزة هذا الحسن بن عبيد اللّه، فذكر النسّابة العمري في المجدي أنهّ كان لأم وُلد، روى الحديث، وعاش سبعا وسّتين سنة[3].

ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة، وذكر أنّ العدد والثروة في ولده، وأنّ أمهُ وأم شُقيقه عبد الله بنتّ عبد اللّه بن معبد بن العباّس بن عبد المطلب[4].

قلت: والظاهر أنّ في النسخة غلط نسياني، فإنّ أبا نصر نفسه

(1) معجم رجال الحديث للخوئي 17: 351، 11321 ت.

(2) عمدة الطالب لابن عنبة: 358.

(3) المجدي في أنساب الطالبين: 231.

(4) سرّ السلسلة العلوية للبخاري: 90.

ذكر أنّ التي كانت تحت عبيد اللّه بن العباّس (عليه السلام) هي أم أُبيّها بنت معبد بن العباسّ لا ابنة ابنه.

وعبيد اللّه بن العباّس أبو الحسن ذكر الشيخ العلامّة علي بن يوسف ابن المطهرّ أخو آية الله ّالعلامة ّالحلي في العدد القوية، عن الزبير بن بكار: أنّه من العلماء.

وقال أبو نصر البخارى: " تزوج أربع عقائل كرام: رقية بنت الإمام الحسن السبط، وأُم علي بنت السجاد لم تلد منه، وأُم أبيها بنت معبد بن العبّاس بن عبد المطلب، وابنة المسور بن مخزوم الزبيري "[1].

وأما سيّدنا أبو الفضل العباّس قمر بني هاشم الذي هو بمنقطع الفضل، ومنتهى الشرف، وغاية الجلالّة، وقصارى السؤدد، فالبيان يتقاعس أنّه جاء ممدوحاً بلسان أئمة الدين كابن أخيه الإمام السجاد، ثم ُالإمام الصادق.

ولسيّدنا المترجم أبي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلّة السيفية مشهد معروف في قرية تعرف باسمه (قرية الحمزة)، بالقرب من قرية " المزيدية " يقصد بالزيارة، وتُساق إليه النذور، ويترك به، وتؤوى إليه الكرامات، تتناقلها الألسن، ويتسالم عليها المشاهدون، وتخبت بها النفوس، وكان في ذي قبل يعرف بمشهد (حمزة بن الإمام موسى الكاظم).

وبما أنّ الثابت في التاريخ والرجال أنّ قبر حمزة المذكور في الري، إلى جنب مشهد السيدّ الأجل عبد العظيم الحسني سلام اللّه عليهما.

(1) سرّ السلسلة العلوية للبخاري: 90.

كان سيّد العلماء والفقهاء المجاهدين سيدّنا المهدي القزويني بعد أن هبط الحلةّ الفيحاء، وأقام فيها دعامة الدينّ، وشيد أركان المذهب، يمرّ بهذا المشهد حين وفوده إلى بني زبيد للإرشاد والهداية، ولا يزوره، ولذلك قلّت رغبة الناس في زمانه، فصادف أن مرّ به مرّة، فطلب منه أهل القرية زيارة المرقد المطهرّ، فاعتذر بما قدمنّاه، وقال: " لا أزور من لا أعرفه.

فبات ليلة وغادر القرية من غدا إلى المزيدية وبات بها، حتّى إذا قام للتهجدّ في آخر الليل وفرغ من عمله طفق يراقب طلوع الفجر، إذ دخل عليه رجل في زي علوي شريف من سادة تلك القرية، يعرفه المهدي بالصلاح والتقوى، فسلّم وجلس

وقال له: استضعفت أهل الحفرة، وما زرت مشهده؟

قال: نعم.

قال: ولم ذلك؟

فأجابه بما قدّمناه من جوابه لأهل القرية.

فقال العلوي المذكور "ربَّ مشهور لا أصل له" وليس هذا قبر حفرة بن موسى الكاظم كما اشتهر، وإنّما هو قبر أبي يعلى حفرة ابن القاسم العلوي العباسي، أحد علماء الإجازة وأهل الحديث، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع.

فحسب سيّدنا الحجّة المهدي أنّه أخذ هذا من أحد العلماء ; لأنه كان من عوام السادة، وأين هو من الاطلاّع على الرجال والحديث؟! فاغفل عنه ونهض لفحص الفجر، وخرج العلوي من عنده.

ثمّ أدى السيّد الفريضة وجلس للتعقيب حتىّ مطلع الشمس، وراجع كتب الرجال التي كانت معه، فوجد الأمر كما وصفه الشريف العلوي الداخل عليه قبيل الفجر، ثُمّ ارتدلف أهل القرية إليه مسلمّين عليه، وفيهم العلوي المشار إليه، فسأله عن دخوله عليه قبيل الفجر وإخباره إيّاه عن المشهد وصاحبه عمنّ أخذه؟ ومن أين له ذلك؟ فحلف العلوي باللهّ أنه لم يأته قبل الفجر، وأنه كان بائتاً خارج القرية في مكان سماّه، وأنهّ سمع بقدوم السيد فأتاه زائرا فيَ وقته هذا، وأنه لمّ يره قبل ساعته تلك.

فنهض السيّد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد وقال: الآن وجب علي زيارته .وإنّي لا أشك أن الداخل عليه الإمام هو الحجّة .وركب الطريق معه أهل المزيدية[1].

ومن يومئذ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت، وارتدلفت الشيعة إلى زيارته والتبرك والاستشفاع إلى اللّه تعالى به.

وبعد ذلك نص سيّدنا المهدي عليه في فلك النجاة، وتبعه على ذلك من بعده العلاّمة النوري في تحية الزائر، والعلامّة المامقاني في تنقيح المقال، وشيخنا المحدّث القمّي في الكنى والألقاب[2].

أخذنا هذا النبأ العظيم من جنة المؤى للعلاّمة النوري.

هذا ما كتبه شيخنا العلاّمة ميرزا محمدّ علي الأُردبادي أيده اللهّ.

(1) الكنى والألقاب 1: 186.

(2) شجرة طوبى للحائري: 173.

عمارة المشهد

تمهيد:

لا شكّ في رجحان عمارة قبور الأولياء المقرّبين، لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النوري الطاهر الذي هو معدود من أكبر الفضائل ; لأنّه لا زال بمجرّده متواصل الوى، يحدو بصاحبه إلى أوج العظمة، وكلُ سّبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ نسبه وسببه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو مشرف من تحلّى به في الدنيا والآخرة، فكيف به إذا كان مشفوعا بعلم وتقى ومآثر ومفاخر؟!

1 . لأنّه من تعظيم شعائر اللّه: {وَمَن يُعظِّمَ شَعَائرَ اللهِ فإنها مِنَ تقوَى القلوبَ }[1] ، ومن موارد حرماته المعيّنة بقوله تعالى: {وَمَن يُعظِّمَ حُرُماتُ اللهِ فهو خيرَ لهُ }[2].

وإذا كانت البُدن من الشعائر له سبحانه: {وَالبُدْنَ جَعلناها لكم مِنَ شَعائرِ اللهَ }[3] ، وليست البُدن إلاّ بهيمة تنحر في مرضات اللّه سبحانه وفي سبيل طاعته والشعار فيها نحوها.

فلماذا لا يكون عمل الولي المقرّب الشهيد الصديق المنحور على الدعوة الإلهية، والمراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة، من مستوى القدس، من جملة الشعائر والحرمات التي يجب تعظيمها،

---

(1) الحج: 32.

(2) الحج: 30.

(3) الحج: 36.

بتعاهد مرقده الأطهر، وقصده بالزيارة، والعبادة فيه، وعمارته عند الانهدام، ليأوى إليه الزائر، ويتفيّأ بظلّه المتعبدّ، كما أن الأمر بطواف البيت يستدعي عمارته كُلّما أوشك أن يتضعضع بنيانه؟!

2 . على أنّ رجالات بيت النبوة هم: { فِي بيُوت أذنَ اللهُ أنْ تُرفَعْ ويُذكرَ فيهَا اسمَه }[1] ، والمراد من البيت: ما كان مسقوفاً، ولذلك أطلقه في الكتاب المجيد على الكعبة المعظمة حيث يقول: { الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ }[2] ، لكونها مسقوفة ; ولم يرد من البيوت مطلق المساجد أو المساجد الأربعة وهي: المسجّد الحرام، ومسجد النبيّ، ومسجد الكوفة، والبصرة ; فالمساجد كلُماّ ذكر في القرآن أُطلق عليها المسجّد دون البيت، مثل قوله تعالى:

{ لَمسجِدٌ أسّسُ على التقوَى }[3].

{ عِندَ كلُ مَسجِدَ }[4].

{وَالذَّين اتخذُوا مُسجدا }[5].

{ لَنتَخَّذنَ عَليهمَ مَسجِدا }[6].

{ شَطرَ المسجدَ الحرامَ }[7].

{وَلا تقُاتلُوهمُ عُندَ المسجدَ الحرامَ }[8].

(1) النور: 36.

(2) المائدة: 97.

(3) التوبة: 108.

(4) الأعراف: 29.

(5) التوبة: 107.

(6) الكهف: 21.

(7) البقرة: 144.

(8) البقرة: 191.

والمساجد بمقتضى تشريعها مكشوفة، والسقف الموجودة فيها حادثة، لقصد أن يأوي إليها الوفود من الأمم السحيقة الذين لا مأوى لهم، لتكنّهم من قائض الحرّ وقارص البرد، فلا يناسب إطلاق البيت عليها ; لأنّه عبارة عن المحل المسقوف، ولا يطلق على غير المسقوف، ولذلك تجد إطلاق بيوت الأعراب على أخبيتهم دون الصحراي التي يسكنونها، ومن ذلك أطلق البيت على الكعبة لكونها مسقوفة.

وكما لا يراد من تلك البيوت . التي يجب أن ترفع ويذكر فيها اسمه . المساجد، لا يراد منها خصوص الكعبة المشرّفة ; لأنّ لفظ البيوت في الآية جمع، وحينئذ فمن المتعيّن أن يراد منها بيوتات تكون مستوى لذكر اللّه والدعوة إلية، إمّا بألسنة ساكنيها أو بأعمالهم وجهادهم، فتكون تلك البيوت منبثق أنوار اللّه.

وإذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولى بصدق هذه البيوت عليهم، إلاّ بيوت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذين أنفقوا طاقاتهم في رفع كَلمة اللّه العليا، وتوحيده، والذكير بوعده ووعيده، فكانت مقصورة على ذلك دعوتهم، منحصرا بِه هتافهم، حتّى أثبتوه على جبهة الدهر، وكتبوا بدمائهم الزاكية على صحيفة الزمان، مع ما لهم من الدؤوب على العبادة والتلاوة في آناء الليل وأطراف النهار، وأُناس بهم أُسوة حسنة.

وليس من الرأي السديد قصرها على بيوتهم التي يسكنونها أيام حياتهم، بل تعمّها ومشاهدهم المقدّسة، فإنهّم { أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ }[1]، وإذا ثبت في الشهداء .وهم دونهم بمراتب . أنّهم

(1) آل عمران: 169.

أحياء، فإنّ أهل البيت أولى بذلك ; لأنهّم الدعاة إلى سبيل ربهّم بالحكمة والموعظة الحسنة، أحياء وأمواتا، وشهداء فيً سبيل تلك الدعوة المقدّسة، وشهداء على أعمال الأُمة المرحومة.

وعليه فلا يخلو إمّا أن يراد من الرفع في الآية خصوص العمارة، وتشيدها، كما هو الظاهر على حدّ قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ}[1]، أو يراد مطلق التعظيم، وممّا لا شكّ فيه أنّ من أظهر مصاديقه عمارتها وتجديدها عند أولها إلى الخراب، لتتمّ بقيّة أقسام التعظيم من تفيء المتعبدين، وانتجاع المزدلفين إليها، واختلاف الزوار اليها، وذكر الله سبحانه، والصلاة والترحّم على أولياء اللّه المتبوئين هاتيك المشاهد المطهرة، وتكون تلك القباب والأبنية الشاهقة كنار تدل الوافدين على ما هناك من ضالتهم المنشودة.

3. ثُمّ إنّ في الكتاب العزيز شيء آخر دلناّ على مشروعية البناء على مراقد الصالحين واتخاذ خصوص المساجد عليها، وهو قوله جلّ شأنه: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا}[2]، وذلك أنّ المؤمنين مع ملكهم بيدروس وكان موحّداً، لما وصلوا إلى أصحاب الكهف واطلعوا على موتهم في مكانهم، أمر الملك أن يتركوا في مكانهم، ويبنى على باب الكهف مسجد يتعبّد فيه الناس ويتركون بمكانهم[3].

---

(1) البقرة: 127.

(2) الكهف: 21.

(3) تفسير البغوي 3: 152، الكشاف عن حقائق التنزيل 2: 478، تفسير النسفي 3: 9، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي 2: 185، تفسير أبي السعود 5: 215، تفسير الآلوسي 15: 234، الكامل في التاريخ 1: 359، قصص الأنبياء للرواندي: 261، قصص الانبياء للجزائري: 52.

وهذا منه سبحانه وإن كان إخباراً عن عمل أُمّة سابقة على الإسلام، لكنه مقرون بالتقرير من الله عزّ ذكره، وعدم الإنكار عليهم، وكُلّما كان الحكم غير منكر من الإسلام فهو مستصحب البقاء، والنسخ وإن وقع في الشريعة لكنّ لمجموع هاتيك الشرائع لا لجميعها، فهو كالعشرة الإبراهيمية[1] التي لم تنسخ ولا تنسخ أبداً كغيرها من الأحكام المستصحبة.

وإذا أجازت الشريعة الإلهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فتية الكهف للعبادة والتبرّك بهم، فالحكم شرع سواء فيهم وفي من هو أفضل منهم، الأوهم الحجج المعصومون والأولياء المقرّبون من هذه الأمة المرحومة.

وعلى هذا النهج اللاحب جاءت سنّة الرسول الأعظم فإنّه صلىّ الله عليه وآله لما دفن عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه، معلّلا بأنّه يعلم منه قبر أخيه ليدفن إليه من مات من أهل بيته، وهذا الحجر أخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان، فكلّمته بنو أُمية وقالوا: كيف تأخذ حجراً وضعه رسول الله؟ فلم يعبأ بهم[2].

---

(1) خمسة من هذه العشرة في الرأس وهي: أخذ الشارب، واعفاء اللحى، وطمّ الشعر، والسواك، والخلال وخمسة في البدن: الختان، وتقليم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطهور بالماء، وحلق الشعر من البدن، تفسير القمّي 1: 59، التفسير الصافي للفيض الكاشاني 1: 186، مجمع البحرين للطريحي 1: 247.

(2) وفاء الوفاء للسمهودي 2: 85، وبعضها في نيل الأوطار للشوكاني 4: 132، بحار الأنوار 48: 297، السنن الكبرى للبيهقي 3: 412، السيرة الحلبية 2: 290.

وإذا كان وضع الحجر للتعويف بالقبر، فلاريب أنّ البناء على القبر أوفى بهذه العلّة من وضع الحجر، فيكون راجحاً بالأولوية.

على أنّ اهتمام النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعويف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلنّا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم والورع والمعرفة، وحينئذ يكون البناء على قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء والأمثل فالأمثل امتيازاً عن غيرهم، وإعلاماً لهم لما من شأن ورفعة أولى وأرجح.

وكانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) تزور قبر حمزة وترمّه وتُصلحه وقد علمّته بحجر [1]، فدلّ على أنّ إصلاح القبر وتعاهده كي لا تندرس آثاره معروف في زمن الشارع المقدّس، وإلاّ لما فعلت ذلك سيدّة نساء العالمين، والوحي يترل في بيتها.

وإصلاح القبر يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة، فقد تقتضي الحالة والوقت إصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه، وقد تقتضي بناء قبّة عليه أو وضع جدار حوله.

ومن أجل ذلك دفنوا النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجرة عائشة، وكانت مسقفّة بجريد النخل، وأوّل من بناها باللبن عمر بن الخطّاب [2].

ثُمّ إنّ عبد اللهّ بن الزبير شيد جّدران قبر النبي وجّعلها مرتفعة، وفي سنة 193 هـ أمر الرشيد وإليه على المدينة أبا البختري أن يبني سقف الحجرة، ثُمّ المتوكلّ أمر واليه على

(1) السيدة فاطمة الزهراء للبيومي: 134.

(2) وفاء الوفاء للسمهودي 1: 383 ، الشامي السيرة النبوية لابن كثير 4: 541 ، سبل الهدى والرشاد للصالحي.

الحرمين إسحاق بن سلمة أن يشيّد حجرة النبيّ بحجارة الرخام ففعل ذلك سنة 242 هـ.

وفي الأوراق البغدادية للسيّد إبراهيم الوائي أن المسلمين لمّا فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس ورأوا على قبور الأنبياء المباني لم يهدموها، ومن أشهرها البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وقد رأى ذلك عمر بن الخطّاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه.

وغير خفيّ أنّ تقرير الصحابة . وفيهم الخلفاء . ذلك العمل دليل قوي ّعلى تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم.

وحدّث محمدّ بن الحنفية المتوفى سنة 81 أنّ رسول اللّه دفن فاطمة بنت أسد في موضع المسجد الذي يقال له اليوم: (قبر فاطمة)، وفيه دلالة كما عند السمهودي على أنّ قبرها كان عليه مسجد يعُرف به ذلك الزمان [1]، وهو في المائة الأُولى من الهجرة، كما كان على قبر حمزة بن عبد المطلب مسجداً يومئذ [2].

وكما بني على قبر العبّاس بن عبد المطلب قبّة دفن فيها الحسن والسجاد (عليهما السلام) [3]، والباقر [4]، والصادق [5]، ففي

المائة الأُولى والثانية كانت القبة على قبر العبّاس موجودة.

وإن الخطيب البغدادي المولود سنة 392 هـ حكى في ترجمة الإمام الكاظم أنّه دفن في مقام الشونيزية (مقابر قريش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار... إلى آخره.

(1) تاريخ المدينة لابن شبة النميري 1: 123.

(2) المصدر السابق 1: 126.

(3) وفيات الأعيان 3: 369.

(4) وفيات الأعيان 4: 174 ، الوافي بالوفيات 4: 77.

(5) وفيات الأعيان 1: 327.

فدلّ على أنّه كان يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قبةٌ في مقابر قريش [1].

وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارف بين المسلمين لم تنكره علماء تلك العصور مع تبصّرهم بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم، فهذا الرشيد بنى قبّة على قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [2]، وبنى المأمون على قبر الرشيد قبّة [3] مع أنّ عصره كان حافلا بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم، فلم ينكر عليه أحد.

ولمّا توفي المعزّ البويهي سنة 356 هـ دفن في داره، ثُمّ نقل إلى مشهد بنُي له في مقابر قريش [4]، وابن وكيع الشاعر المتوفّي 393 هـ دفن في المقبرة الكبرى في القبّة التي بنيت له بها [5]، وأبو تمام المتوفّي سنة 271 هـ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة [6].

(1) في تاريخ بغداد 13: 29 ، " فقدم هارون منصرفاً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وتسعين.فحمل موسى معه الى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفّي في محبسه ".

نعم في الارشاد للمفيد 2: 243 : " ثم حمل فدفن في مقابر قريش " وكذلك في غيره، ومقابر قريش معروفة أنها في بغداد ".

(2) عمدة الطالب: 62.

(3) بحار الأنوار 48: 323.

(4) وفيات الأعيان 1: 174.

(5) وفيات الأعيان 2: 106.

(6) وفيات الأعيان 2: 17.

فما قيل من أنّ هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس، فهي من البدع غير المعروفة في زمن الشارع المقدّس وما بعده من الأكاذيب الفاضحة.

فتحصّل من جميع ما ذكرناه أنّ البناء على القبور وعمارتها وتجديدها وتعاهدها أمر راجح وعليه الأمة الأسُلاميّة من دون نكير بينها، ويتأكّد في قبور الأولياء المقرّبين، والشهداء الصديقّين، والعلماء الصالحين، وذوي المآثر والفضائل ; لأن فيه تعريفاً بالميت وتنويهاً بمقامه، ليزوره الزائر، ويستريح إليه المتعبدّ، لكونه من الأمكنة المحبوبة لله ّتعالى، فيها الذكر والطاعة وتحصيل المصالح الدينية.

وبذلك اتفقت كلمة العلماء الذين هم أعرف الأُمة بموارد الأمر والنهي، بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلقّات والفرش والستائر، وكُلّ ما فيه احترامهم وتعظيمهم.

مدّعين على ذلك . بعد الإجماع والاتفاق . أنّه من الشعائر، وعدم إنكار الأئمة في عهود كانوا ظاهرين فيها، والأخبار الكثيرة الدالة على ميلهم ورضاهم به، وقد أمرت بالوقوف على باب الروضة أو القبّة أو الناحية المقدسّة ;والاستئذان وتقبيل القبّة والدعاء عند زوائي القبّة الشريفة وغيرها، ممّا يتوقفّ على وجود الباب والقبة وّالعتبة، المتوقف ّكله عُلّى البناء، فلولا البناء أين تكون القبّة؟ وأين الباب؟ وأين العتبة؟ وأين الاستئذان عندها؟

مع صراحة خبر أبي عامر .واعظ أهل الحجاز . عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه: " إن اللّه سبحانه جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل الأذى

والمذلّة، فيزورون قبوركم، ويكثرون زيارتهم، تقرّبا ًمنهم إلى الله ّتعالى، ومودة مّنهم لرسوله، أولئك المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوارى غداً في الجنّة.

يا علي، مَن عمرّ قبوركم وتعاهدها فكأنمّا أعان سليمان على بناء بيت المقدس . الى أن قال .: ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوارهم كما تعيرّ الزانية بزناها، أولُئك شرار أمتُي، لا نالتهم شفاعتي "[1] .

وحينئذ فلاريب في تخصيص العمومات المانعة من تجصيص القبر وتجديده، بل ادّعى صاحب الجواهر أعلى اللّه مقامه: " أنّ البناء على قبور الأئمة والصلحاء من ضروري المذهب، بل الدين "[2] .

على أنّ النهي عن التجصيص معارض بما هو أقوى منه سنداً ودلالة وأكثر عدداً، ومنه حديث صفوان:زار الصادق (عليه السلام) قبر جدّه أمير المؤمنين وذكر فضل زيارته واستئذانه منه إعلام الشيعة بهذا الفضل إلى أنّ قال: "وأعطاني براهم فأصلحت القبر "[3] .

ويحدّث يونس بن يعقوب أنّ الإمام الكاظم عندرجوعه من بغداد ماتت ابنة له بـ (فيد)، فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصّص

(1) تهذيب الأحكام 6: 22، المزار للشيخ المفيد: 228، وغيرها من المصادر باختلاف في بعض الالفاظ.

(2) جواهر الكلام 4: 341 وعبارته بعد الكلام عن القبور كالنالي: "وحاصل الكلام أن استحباب ذلك كاستحباب المقام عندها وزيارتها وتعاهدها كاديكون من ضرورات المذهب إن لم يكن الدين ".

(3) الغرات للثقفي 2: 856 ، فوحة الغري لابن طاووس: 132 ، بحار الأنوار 97: 280.

قوها، ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر[1].

وماتت أُمّ الإمام الحجة صاحب الزمان عجلّ الله فرجه في أيام أبي محمد الحسن العسكري، فدفنت في الدار وكتب على لوح: " هذا قبر أُمّ محمدّ (عليه السلام) "ووضع في القبر[2].

وليس هو من خصائص أولادهم، وإنّما جرى الأمر على العادة المألوفة من التعريف بالميت والتنويه بذكره، فيكون الفعل في غيرها من الأنبياء (عليهم السلام) والعلماء الصالحين أولى وأرجح وآكد.

والمراد من البناء المكروه. كما نصّ عليه الأردبيلي وكاشف الغطاء[3]. هو ما كان فوق القبر بحيث يصير القبر تحت الحائط، فإنّه غير مناسب لحرمة الميت، وأمّا البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبة فلا يشمله النهي، كما لا يشمل عملية القبة وتجصيصها وتزيينها، ولا وضع الصناديق المزينة والأقمشة النفيسة على القبور والوقف لها.

وإليكَ أسماء مَن تعرض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة تجصيص القبور من أحكام الأموات وغيرها، مرتبيّن على سنة الوفاة:

السيّد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة، المتوفّي سنة 693 هـ[4].

---

(1) الكافي 3: 202، ح3، التهذيب 1: 461، ح146، الاستبصار 1: 217، ح2، وغيرها من المصادر.

(2) كمال الدين للصدوق: 431، وفي الإكمال: 459 أنّها ماتت في زمن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وقد تقدّم ذكر ذلك في الهامش.

(3) كشف الغطاء 1: 208.

(4) فرحة الغري: 60

الشهيد الأوّل في الذكرى والدروس، المتوفّي سنة 786 هـ[1].

المحقّق الكركي في جامع المقاصد، المتوفّي سنة 933 هـ[2].

الشهيد الثاني في روض الجنان، المتوفّي سنة 966 هـ[3].

الأردبيلي في شرح الإرشاد المتوفّي سنة 993 هـ[4].

السبزواري في الذخيرة، المتوفّي سنة 1090 هـ[5].

الحر العاملي في الوسائل، المتوفّي سنة 1104 هـ[6].

المجلسي في بحار الأنوار ومرآة العقول، المتوفّي سنة 1110 هـ[7].

السيّد جواد العاملي في مفتاح الكرامة، المتوفّي سنة 1226 هـ[8].

كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص71، المتوفّي سنة 1228 هـ[9].

السيّد علي في الرياض، المتوفّي سنة 1231 هـ [10].

(1) الذكرى 2: 37، الدروس الشرعية 1: 318.

(2) جامع المقاصد 1: 449 . علماً بأنّ وفاة المحقّق الكركي كانت سنة 940 هـ.

(3) روض الجنان: 317.

(4) مجمع الفائدة والبرهان 2: 499.

(5) ذخيرة المعاد 1: القسم الثاني: 343.

(6) وسائل الشيعة 3: 211.

(7) بحار الأنوار 99: 300.

(8) مفتاح الكرامة 4: 480.

(9) كشف الغطاء 1: 157.

(10) رياض المسائل 2: 221.

الميرزا القمّي في الغنائم، المتوفّي سنة 1231 هـ [1].

الزاقي في المستند، المتوفّي سنة 1244 هـ [2].

الكرباسي في منهاج الهداية، المتوفّي سنة 1262 هـ.

صاحب الجواهر فيها، المتوفّي سنة 1266 هـ [3].

النوري في المستدرك، المتوفّي سنة 1330 هـ [4].

(1) غنائم الأيام 3: 535.

(2) مستند الشيعة 3: 373.

(3) جواهر الكلام 4: 332.

(4) مستدرك الوسائل 2: 379.

عمارة مرقد العبّاس

إذا تمهّد ما ذكرناه، فمشهد سيّدنا أبي الفضل (عليه السلام) من أظهر مصاديق تلك البيوت التي أذن اللهّ أن ترفُع ويذكر

فيها اسمه، كما أنّه في الرعيل الأول من أولئك الصديقّين والشهداء الصالحين، وفي تشييد قبتهّ السامية إبقاء لما أوعزنا إليه من السرّفي إنحياز قبره عن مجتمع الشهداء.

وإذا أعلمنا الإمام الصادق (عليه السلام) فيزيارته بما له من المقام الرفيع في ملأ القدس وعند مجتمع الأنبياء والرسل، وقد حاز بذلك إكباراً منهم وتبجيلا حتىّ غبطه على ما حباه اللهّ جميع الشهداء والصديقّين، لتفردهّ بتلك المنعة والخطر ; كان الاحتفاء بمشهده القدسي من العمارة والتعاهد من أوّليات فرائض عالم الشهود.

ثُمّ إنهّ سبحانه قيضّ لعمارة هذا المشهد الكريم أناسًا قدرً لهّم الخير والسعادة، وأجرى على أيديهم الموات،ّففازوا بالباقيات الصالحات، وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين، والسعادة في النشأتين، من ملوك، وأُمراء، وعلماء، ووجهاء، فتعاقب عليه العمران، وفي كُلّ يوم يزداد بهجة وبهاء حتىّ تجلىَّ . كما هو اليوم . في أبهج المناظر بقبتهّ التي تحاك السماء رفعة، وان شئت النجوم بهجة، وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة، وأروقته المغشاة بالقرارير التي تفوق الأفلاك بذخاً، وذلك الصحن

الذي هو ساحة القدس وباحة الجلال، والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش الملك ومناط الأُبهة، فحاكى غرف الجنان وصروحها.

ويتحدّث المؤرّخون أنّ الشاه طهماسب في سنة 1032 هجرية زيّن القبة السامية بالكاشاني، وبنى شبّاكا ًعلى الصندوق، ونظّم الرواق والصحن، وبنى البهو أمام الباب الأول للحرم، وأرسل الفرش الثمينة من صنع إيران.

وفي سنة 1155 هـ أهدى نادر شاه إلى الحرم المطهّر تحُفا كًثيرة، وزينّ بعض تلك المباني بالقرارير.

وفي سنة 1117 هزار الحسين وزيره الشهم، فجدّد صندوق القبر، وعمرّ الرواق، وأهدى ثريا يوضع فيها الشمع لإنارة الحرم الشريف.

وبعد حادثة الوهابية بكربلاء سنة 1216 هـ، ونهب ما في الحرم من الأعلاق النفيسة والذخائر المثمنة، نهض الشاه فتح علي وجدّد ما نهب من الحسين وأخيه أبي الفضل، وعمرّ قبةّ العباسّ بالكاشاني، كما أنه ذهبّ قبة سيّد الشّهداء وصدر الأيوان الذي أمام الباب الأُولى للحرم من جهة القبلة، وأنشأ صندوق ساج على قبر أبي الضيم أبي عبد اللهّ (عليه السلام)، وفضّض الشباك المطهّر.

وفي كتاب طاقة ريحان ص91 للعلاّمة الحاج ميرزا عبد الكريم المقدّس الارومي: أنّ خال جدتهّ لأمهُ الحاج شكر الله بنّ بدل بك الأفشاري ذهّب الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل، وأنفق على ذلك كُلّ ماله، وذلك بإيعاز زين الفقهاء والمجتهدين الشيخ زين العابدين المازندراني المتوفّي 12 ذي العقدة سنة 1309 هـ، وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الأيوان على

صفائح الذهب بخطّ ذهبي موجود إلى الآن وتاريخ الكتابة سنةّ 1309 هـ.

وفي الكتاب المذكور أن نصير الدولة ذهّب منارة أبي الفضل، وكان الصائغ يغش في تطلية الطاقات الصفوية بالذهب،

فعرف منه ذلك، وجيء به من بغداد إلى كربلاء، فلمّا دخل الصحن اضطرب وأسود وجهة سوادا شديدا ومات من الغد.

وحدّثني العلاّمة الحجة السيد حسن مؤلف كتاب (فدك) وغيره من المؤلفات القيمة: أن الإيوان الصغير الذهبي الذي هو أمام الباب الأُولى أنشأه ملك لكنهو محمد شاه الهندي، وأما الطارمة المسقفة بالخشب فبأمر السلطان عبد الحميد خان، وجدد بناء القبّة بالكاشاني محمد صادق الأصفهاني الشيرازي الأصل، وهو الذي اشترى الدور الملاصقة للصحن الشريف وزادها في الصحن وبناه بما هو المشاهد، وكانت الزيادة من جهة القبلة أكثر من سائر الجهات قدر إيوانين أو ثلاث، ودفن في حجرة عند باب القبلة تعرف باسمه، وبنى الصحن بالكاشاني (رحمه الله) وجزاه لخدمته لأبي الفضل أفضل جزاء المحسنين.

وجدّد السيّد المبجّل سادن الروضة المقدسة السيد مرتضى الباب الفضي التي هي في الأيوان الذهبي أمام حضرة العباس (عليه السلام) سنة 1355 هـ، وكتب على المصراعين قصيدة الخطيب الأُستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي، وتفضل حفظه الله بها، ولطرس الإنشاء الذي ذكرناه فيما تقدّم، وهذه القصيدة:

لذ بأعتاب مرقد قد تمنّت أن تكون النجوم من حصباه

وانتشق من ثرى أبي الفضل نشراً ليس يحكي العبير نفح شذاه

غاب فيه من هاشم أيّ بدر فيه ليل الضلال يمحي دجاه

هو يوم الطفوف ساقي العُطاشى فاسق من فيض مقلتيك ثراه

وأطل عنده البكاء ففيه قد أطال الحسين شجواً بكاه

لا يُضاهيه ذو الجناحين لمّا قطعت في شبا الحسام يداه

هو باب الحسين ما خاب يوماً وافد جاء لائذاً في حماه

قام دون الهدى يناضل عنه وكفّاه ذاك المقام كفاه

فادياً سبط أحمد كأبيه حيدر مذ فدى النبيّ أخاه

جدّد المرتضى له باب قدس من لجين يغشى العيون سناه

إنّه باب حطة ليس يخشى كلّ هول مستمسك في عراه

قف به داعياً وفيه توسل فبه المرء يستجاب دعاه

السدانة

السدانة: هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه وتحوّي كلاءته عن أي عادية، وقد اتّخذت العرب بيوتا ًتعظمّها كتعظيم الكعبة وجعلوا لها حجاباً وسدنة، وكانوا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة، ويطوفون كما يطوفون بالكعبة، وينحرون بها مثلها. كلّ ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة ; لأنّها بناء الخليل [1].

فالبيت المعظّم الذي يتخذ معبداً ومأوى للوفود والزائرين ومحلا ًللدعاء والابتهال لا بدّ وان يجعل له حجبة وسدنة، يرعون حرمته، فنصب السادن من لوازم جلالة المحلّ ووجود المثمنات فيه، فلن تجد محلاً ًله شأن إلا ورأيت له خدمة.

وبمناسبة منعة المحلّ لا يقيضّ له من سوقة الناس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة ; لأن ّفيه حطا ّمن كرامته، وتحطيما لمكانته، فمن حقّ المقام أن يكون السادن شريف قومه، وكريم بيته، لا يسبق بمجد،ولا يلحق بشرف.

ومن هنا نشاهد السدانة في حرم أبي الفضل (عليه السلام) يتولاّها شريف بعد شريف، حتّى انتهى الأمر إلى الهاشمي المبجّل السيّد

(1) البداية والنهاية لابن كثير 2: 243، السيرة النبوية لابن هشام 1: 54، تفسير ابن كثير 4: 271.

مصطفى، ومنه إلى خلفه الشهم الهمام السيّد مرتضى الذي لا تعدّ مآثره،ولا آثاره وأياديه الجميلة، ومساعيه المشكورة حول خدمة الحرم وعمارته وتنويره وتزيينه، وكان كما يهواه السؤدد والخطر، وتختاره طهارة العنصر، ونزاهة الأعراق، ويرتئيه المجد الهاشمي، والمولد العلوي.

وقام نجله الزكي السيّد محمّد حسن بكلُ مّا يستطيعه من خدمة الحرم.

حامي الجوار

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند اللّه سبحانه وتعالى وما حباه به وأعدّه له من جزيل الفضل، تقديرا ًلأعماله، وما قاساه من فوادح وآلام، فكان ملجأ الخائف، ولهف اللاجيء، وغوث الصريخ، وحمى المستجير، فلاذوا بجنابه عند المهمّات، وجاوروا مرقده الأطهر، والتجؤا إلى كهفه المنيع، ليمنحهم الشفاعة، فيفوزوا بالخلد، ويتقلّبوا على أسرّة النعيم الدائم، وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عمّن عقل ناقته بفنائه.

ومن هؤلاء الأعلام ما في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ج3 ص199 : أنّ الحاج السيّد محمدّ بن محسن الزنجاني توفيّ بزنجان سنة 1355 هـ وحُمل إلى جوار أبي الفضل العبّاس بوصيةّ منه.

وفيه ص323 : أنّ الشيخ علي بن زين العابدين البلاجيتي اليزدي الحائري صاحب كتاب (إلزام الناصب في أحوال الحجّة الغائب) دفن في صحن العبّاس (عليه السلام).

والعلاّمة الشيخ علي اليزدي البقروئي، من أجلاء تلامذة الأردكاني، دفن في البهو أمام حضرة العبّاس.

والسيّد كاظم البهبهاني، من تلامذة المرحوم آية اللّه السيدّ هاشم القزويني، دفن في الرواق.

والعلاّمة السيدّ عبد اللّه الكشميري، من تلامذة الأردكاني، دفن في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي.

الصفحة 345

الشيخ ملاّ عباس المعروف باليزدي المشهور بسيبويه، وأخوه ملاّ علي المعروف بالأخفش، لهما مكانة عالية في التدريس، دفنا في الحجرة المختصّة بهم الملاصقة للباب المعروفة بباب صاحب الزمان.

والشيخ كاظم الهرّ، له فضل في العلم والأدب، تلمذّ على الشيخ صادق ابن العلامّة الشيخ خلف عسكر، دفن في الحجرة الأخيرة من الشرق الشمالي.

الصفحة 346

المديح والرثاء

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أنّ نظم الشعر في أيّ رجل تعريف به وإحياء لذكره وإقامة لأمره، فإنّ آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يهمل ذكرها بمرور الزمن، وتباعد العهد، فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى مالها من أهميّة كبرى.

ولمّا كان القول المنظوم أسرع تأثيراً من الأصاخة، لرغبة الطباع إليه، فتسير به الركبان، وتلوكه الأشداق، وتتحفظّ به القلوب، وتتلقّاه جيلا بعد جيل، وتأخذه أُمةٌ بعد أمةٌ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فتلتفت إلى ذلك الفضل المتقادم، وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيراً من قضايا الأُمم وسيرها وحروبها في الجاهلية والإسلام.

وبما أنّ ذكرى أهل البيت قوام الدّين، وروح الأصلاح، وبها تدرس تعاليمهم، ويقتفي آثارهم ; طفق أدباء هذه الأمة يذكرون مالهم من فضل كثار، وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل إحياء الدّين من كوارث ومحن ; لأنّ في ذلك إحياء أمرهم، ورحم اللّه من أحيى أمرهم ودعا إلى ذكرهم، وقد تواتر الحثّ من الأئمة المعصومين على نظم الشعر فيهم، مدحاً ورثاءً ; بحيث عدّ من أفضل الطاعات.

ولم يعهد من الأئمة الطاهرين . مع تحفّظهم على التقية والإلزام شيعتهم بها . تثبيط الشعراء عن المكاشفة في حقهّم وإظهار باطل

المناوئين، مع أنّ في الشعراء من لا يقرّ له قرار، ولا يأويه مكان، فرقاً من أعداء أهل البيت، لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة إلى طريقة أبناء الرسول صلوات اللّه عليه، كالكميت ودعبل الخزاعي ونظرائهما.

بل كان الأئمة يؤكّدون ذلك بالتحبيذ وإيثار المال عليهم، وإجزال الهبات لهم، وذكر المثوبات، وليس ذلك إلاّ لأنّ المكاشفة أدخل في توطيد أُسس الولاية، وعامل قويّ لنشر الخلافة الحقّة، حتىّ لا يبقى سمع إلا وقد طرقه الحق الصّراح، ثم تتلقّاه الأجيال الآتية، كُلّ ذلك حفظا لِلدينّ عن الانطماس، ولئلا تذهب تضحية آل الله فّي سبيله أدراج التمويهات.

ولولا نهضة أولئك الأفذاذ من رجالات الشيعة للذبّ عن قدس الشريعة بتعريض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، ورشيد، وميثم التمار، وأمثالهم، ومجاهرة الشعراء بما قدّم به الأطهار من أهل البيت النبويّ، لما عرفت الأجيال المتعاقبة صراح الحقّ.

وممّا ورد من الحثّ على نظم الشعر مدحاً ورثاء قولهم (عليهم السلام): " من قال فينا بيتا من الشعر بنى الله لّه بيتا في الجنّة "، وفي آخر: " حتىَّ يؤيدّ بروح القدس "[1].

وفي ثالث: " ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا إلاّ بنى اللهّ له في الجنة مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات، يزوره فيها كل مُلّك مقرب ونبيّ مرسل "[2].

(1) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق 2: 15، وسائل الشيعة 1: 467، بحار الأنوار 26: 231، وورد بلفظ: " ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتّى يؤيّد بروح القدس ".

(2) عيون أخبار الرضا 2: 15، وسائل الشيعة 14: 597.

وقال أبو جعفر الباقر للكميت لما أنشده:

من لقلب متيّم مستهام.

القصيدة: " لا زال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا "[1].

وأذن الإمام الجواد (عليه السلام) لعبد اللّه بن الصلت أنّ يندبه ويندب أباه الرضا (عليه السلام).

وكتب إليه أبو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا، فقطع أبو جعفر الأبيات وكتب إليه: " أحسنت وجزاك اللّه خيراً "[2].

وتقدّم في ص172 مدح الصادق لمن يرثي لهم ويمدحهم.

وحسب الشاعر أن يترتّب على عمله البار هاتيك المثوبات الجزيلة التي تشفّ عن أنّ ما يصفه بعين اللهّ سبحانه حتىّ يبوأه الجليل عزّ شأنه من الخلد حيث يشاء، وتردان به غرف الجنان، ولا بدع فإنّه بهتافه ذلك معدود من أهل الدعوة الإلهية، المعلنين لكلمة الحقّ وتأييد الدّين، فهو بقوله الحق يرفع دعامة الإصلاح، وتشييد مبانية، ويطأ زعة الباطل بأخمص الهدى،

ويقم أشواكه المتكدّسة أمام سير المذهب، ويلحب طريقه الواضح، فحيّاهم اللهّ من دعاة إلى مواضيه.

وبما أنّ أبا الفضل العبّاس من أولُئك الأطهار الذين بهم تمتّ الدعوة الإلهية، وعلت كلمة الله الّعليا، بإهاق نفوسهم المقدسةّ حتّى قضوا كواماً طيبيّن، مضافا إلّى ما حواه من صفات الجلال والجمال مما أوجب أن يغبطه الصديقون على ما منحه البلي

(1) وسائل الشيعة 14: 598، بحار الأنوار 47: 324.

(2) وسائل الشيعة 14: 598، بحار الأنوار 26: 232.

سبحانه عوض شهادته ; بادر من كهوبه الإلاء الخالص طلباً لذلك الأجر الجزيل بنظم مديحه ورثائه، وأول من رثاه أمُه ّأم ُ ّ البنين كما في مقاتل الطالبيين، فإنّها كانت تخوج إلى البقيع تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس لسماع ندبتها، وكان مروان يجيء لذلك فلا نزال يبكي [1]، فمن رثائها فيهم:

لا تدعوني وَيكَ أم البنين تذكّروني بليوث العرين

كانت بنون لي أُدعى بهم واليوم أصبحتُ ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموتَ بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم فكلّهم أمسى صريعاً طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا بأنّ عباسا قُطيع الوتين

وقولها الآخر:

يا مَن رأى العبّاس كرّ على جماهير النقد

ورواه من أبناء حيدر كلّ ليث ذي لبد

(1) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: 56، وعنه بحار الأنوار 45: 40، والعوالم للبحراني: 281.

نُبِّئت أن ّابني أصُيب وأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أمال وأسه ضوب العمد
لو كان سيفك في يدِ يكُ لما دنا منه أحد

ورثاه حفيده الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن ابن عبيد اللّه بن العباّس بن أمير المؤمنين على ما في المجدي.

إنّي لأذكر للعباّس موقفه بكوبلاء وهام القوم يختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولّي ولا يثني فمختلف
ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشوف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته وما أضاع له أفعاله خلف

وحكى الشيخ الجليل العلاّمة ميرزا عبد الحسين الأميني في كتاب (الغدير) ج3 ص5 عن روض الجنان في نيل مشتهى الجنان، المطوع للمؤرّخ الهندي أشوف علي، أنّ الفضل بن الحسن المذكور قال في جدةّ العباّس (عليه السلام):

أحقّ الناس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكوبلاء

أخوه وابن والده عليّ أبو الفضل المضوّج بالدماء
ومَن واساه لا يثنيه شيء وجاد له على عطش بماء

وهذه الأبيات نسبها أبو الفوج في المقاتل إلى الشاعر، ونسبها السيّد الحجّة المتتبعّ السيد ّعبد الله شّبر (قدس سره) في جلاء العيون إلى الحسين (عليه السلام).

وقد رثى أبا الفضل العبّاس جماعةٌ كثرة من الفضلاء الأدباء والعلماء البارعين، لو جمُعت لكانت مجلداّ ضًخما، ولًعل فيض أبي الفضل يشملنا فنخرجها إلى القرّاء بالقريب العاجل، وفي هذا الكتاب نذكر ما يتحمله منها.

ومن جيّد ما رثي به قصيدة الشاعر الشهير الحاجّ هاشم ابن حردان الكعبي الدروقي المتوفىّ سنة 1231 هـ، وهي مثبتة في

ديوانه المطوع في النجف، وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق في الفقه ج2 ص392 ، وفي الدرّ النضيد للعلاّمة السيدّ محسن الأمين ومطلعها:

هل أم طوق كذات الطوق في السلم نحن شوقاً إلى أيامنا القدم

إلى أن يقول:

يومٌ أبو الفضل تدعوا الظاميات به والماء تحت شبا الهندية الخذم

والخيل تصطكّ والزعف الدلاص على فوسانها قد غدت نزلاً على علم

وأقبل الليث لا يلويه خوف ردى بادي البشاشة كالمدعوّ للنعم
يبدو فيغدر صميم الجمع منصدعاً نصفين ما بين مطروح ومنهزم

ورثاه العلاّمة الشيخ محسن آل الشيخ خضر المتوفّى حوالي سنة 1303 هـ:

فللّه زينب إذ تستغيث أبا الفضل يا كهف عزّي المهابا
ويا ليث قومي إذا الخطب ناب وكثّرت الحرب سناً ونابا
أتتركني نصب عين العدو تنتهب القوم رحلي انتهابا
وللّه مقولها إذ تقول ينشعب القلب منه انشعاباً
عذرتك يا ابن أبي فالحميم بكفّيه يحمي إذا الخطب نابا
فشلّت أكفّ عوج بوت يمينك إذ يسلبوني النقابا
وذاب عمود حديد رماك وأخطأ سهم حشاك أصابا

ورثاه شاعر أهل البيت في عصره السيّد حيدر الحلّي المتوفّى سنة 1304 هـ، وهي مثبتة في ديوانه مطلعها:

حلولك في محلّ الضيم داما وحدّ السيف يأبى أن نضاما

ورثاه العلاّمة السيّد جعفر الحلّي المتوفّى سنة 1315 هـ، وقد أبدع فيها وهي مثبتة في ديوانه المطوع في صيدا وفي منير الأخوان والدرّ النضيد مطلعها:

وجه الصباح عليَّ ليل مظلم وربيع أيّامي عليَّ محرّم

وفي ص99 وص153 وص150 ذكرنا أبياتاً منها.

ورثاه الحاجّ محمدّ رضا الأزري ومطلعها:

أوما أتاك حديث وقعة كربلاء إنّي وقد بلغ السماء قتامها

طبعت في منير الأحزان للعلاّمة الشيخ شريف الجواهري، وفي الدرّ النضيد.

ورثاه الإمام الحجّة الشيخ محمدّ حسن كاشف الغطاء أدام اللهّ ظله[1]:

أبا صالح إنّ الرزا لمحرّم ومنكم بنو الزهراء استحلّ به الدم

لكم بين أضلاعي مواقد لوعة بذكر رزاياكم تشبّ وتضرم

تراحم في فكري إذا رمت عدّها رزاياكم الجلى فأبكى وأوجم

وما أنس من شيء فلا أنس وقعة تهدّ لها السبع الطباق وتهدم

(1) نقلتها من كتاب سوانح الأفكار في منتخب الأشعار تأليف الفاضل المهذّب الخطيب السيّد محمّد جواد شبّر.

وقد جدّدت حزني ولم يك مخلقاً غداة استهلت أدمعي والمحرم

أصاب بها من كربلا قلب أحمد وقلب عليّ والبتولة أسهم

غداة بنوه الغرّ في نصر دينه سرت ونهار العدل بالجور مظلم

بفتيان صدق في الحفيظة يممت ركاب العلى في ظعنهم حيث يمموا

تطالع أقماراً بهم وأهلة إذا أسفروا في موكب وتلثّموا

وإن صرت الهيجاء ناباً تراهم أسوداً فأفياء الضبا تتأجّم

وإن فلّ حدّ السيف أمضاه بأمضى شبا منهم فلا يتكتّم

عزمهم

وتهوي المنايا للهوان كأنّما المنايا لها دون الدنيّة مغنم

ميامين يوم السلم لكن يومهم على من دنا بالشؤم منهم لأشأم

قد أوعوا وعاً جديداً وأخرّوا من الصبر أقوى منه نسجاً وأحكم

وماراع جيش الكفر إلاّ عصابة حداها من الإيمان جيش عرمرم

حجريّة نحو العراق ومنجد ثناها باجواز الفيافي ومتّهم

بأجسامها في عرصة الطفّ عرّست وأرواحها في عالم القدس عوم

تضاحك بشراً بالمنون كأنّما الحياة عذاب والمنون تنعم

وترقص شوقاً للقّاء قلوبها إذا أخذت في ذكرها تترنّم

وإن زغ النور الإلهي بينها ترى البدر حفّت فيه بالسعد أنجم

لقد ثبتوا للذبّ عنه بموقف يشيب به طفل القضاء ويهرم

وتذهل أملاك السماء لوقعه وبذبل منه يذبل ويلملم

ولمّا قضوا في حلبة المجد حقّها وحقّ لها نحو الجنان التقدّم

تهاووا فقل زهر النجوم وتهافتت وأهووا فقل شمّ الرواسي تهدّم

بحرب على أعوان حرب قد انكفى صواعق من قرع الأسنّة تضرم

تعثر فيه بالجماجم خيلهم وأجسامهم للطير والوحش مطعم

وتعبس من خوف وجوه أميّة إذا كرّ (عباس) الوغى يتبسّم

أبو الفضل تأبى غره الفضل والإبا أباً فهو أما عنه أو فيه يرسم

عليم بتأويل المنيّة سيفه نزول على من بالكريهة معلم

ويمضي إلى الهيجاء مستقبل العدى بماضي به أمر المنيّة مبرم

وإن عاد ليل الحرب بالنقع أليلا فيوم عداه منه بالشرّ أيوم

وإن سمع الأطفال تصرخ للظما تصارخ منه الجحفل المتضمّم

وصال عليهم صولة الليث مغضباً يحمحم من طول الطوى ويدمدم

وراح لورد المستقى حامل السقا وأصدر عنه وهو بالماء مفهم

ومذ خاض نهر العلقمي تذكّر الحسين فولّى عنه والريق علقم

وأضحى ابن ساقي الحوض سقا ابن أحمد يروي عطاشا المصطفى الطهر إن ظموا

ولمّا أبى منك الإباء تأخّراً وأنّ أبا الفضل الذي يتقدّم

بهم حسمت يمناك ظلما ولم أخل يمين القضا في صرم الشرك تحسم

وإنّ عمود الفضل يخسف هامه عمود حديد للضلالة يدعم

وحين هوى أهوى إليه شقيقه يشقّ صفوف المخلدي ويحطّم

فألفاه مقطوع اليدين معوّراً يفور من مخسوف هامته الدم

فقال: أخي قد كنت كبش كتيبتي وجنّة بأس حين أدهى وأدهم

فمن ناقع حرّ القلوب من الظما ومن دافع شرّ العدى يوم تهجم

ومن يكشف البلوى ومن يحمل اللوا ومن يدفع اللأوي ومن يتقحّم

رحلت وقد خلّفتني يا بن والدي أغاض بأيدي الظالمين وأهضم

أحاطت بي الأعداء من كلّ جانب ولا ناصر إلاّ سنان ولهذم

فمازال ينعاه ويندب عنده إلى أن أفاض البقعة الدمع والدم

وأقبل محنيّ الضلوع إلى النسا يكفكف عنها الدمع والدمع يسجم

ولاحت عليه للرزايا دلائل تبين لها لكنّه يتكتمّ

وأقدم فوداً للكويهة ليثها وسبعون ألفاً عنه في الكرّ أحجموا

فتحسب عزرائيل صاح بسيفه عليهم ففرّوا من يديه وأُهزموا

وقل غضب الجبّار دمدم صاعقاً بمنحوس ذياك الوجود وأُعدموا

ولمّا أعاد البرّ بحواً جواده السفين به لكنّما الموج عندم

نمت عزمه البقيا عليه فما انثنوا ورقّ على من لا يرقّ ويرحم

وقام لسان اللّه يخطب واعظاً فصمّوا لمّا عن قدس أنواره عموا

وقال انسبوني من أنا اليوم حلالا لكم منّي دمي أم محرّم وانظروا

فما وجدوا إلاّ السهام بنحوه تواش جواباً والعوالي تقوم

ومذ أيقن السبط انمحى دين جدّه ولم يبق بين الناس في الأرض مسلم

فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً عن المسلمين الغامرات ليسلموا

وقال خذيني يا حتوف وهاك يا سيوف فأوصالي لك اليوم مغنم
وهيهات أن أغدوا على الضيم حائماً ولولي على جمر الأسنّة مجثم
وكرّ وقد ضاق الفضا وهوى القضا وسال بوادي الكفر سيل عرمرم
ومذ خرّ بالتعظيم للّه ساجداً له كبّروا بين السيوف وعظّموا
وجاء إليه الشمر يرفع رأسه فقام به عنه السنان المقوم
وزعزع عرش اللّه وانحط نوره فأشرق وجه الأرض والكون مظلم
ومذمال قطب الكون مال وأوشك انقلاباً يميل الكائنات ويعدم
وحين ثوى في الأرض قرّ قرارها وعادت ومن أوج السما وهي أعظم
فلهفي له فرداً عليه تواحمت جموع العدى تزداد جهلا فيحلم
لهفي له ضام يجود وحوله الفوات هوى طام وعنه يحوم
ولهفي له ملقى وللخيل حافر يجول على تلك الضلوع وينسم

ولهفي على أعضاك يا بن محمّد تزعّ في أسيافهم وتسهم
فجسمك ما بين السيوف موزّع ورحلك ما بين الأعادي مقسّم
فلهفي على ريحانة الطُهر جسمه لكلّ رجيم بالحجارة يرجم

وللعلاّمة الشيخ محمّد حسين الإصفهاني (قدس سره) المتوفىّ سنة 1361 هـ ذي الحجّة:

أبو الإباء وابن بجدة اللقا رقى من العلياء خير مرتقى
ذاك أبو الفضل أخو المعالي سلالة الجلال والجمال
شبل علي ليث غابة القدم ومن يشابه أبه فما ظلم

صنو الكويمين سليلي الهدى علماً وحلماً شرفاً وسؤددا

وهو الزكي في مدارج الكرم هو الشهيد في معارج الهمم

وارث من حاز مواريث الرسل أبو العقول والنفوس والمثل

وكيف لا وذاته القدسيّة مجموعة الفضائل النفسيّة

الصفحة 361

عليه أفلاك المعالي دائرة فإنّه قطب محيط الدائرة

له من العلياء والمآثر ما جلّ أن يخطر في الخواطر

وكيف وهو في علوّ المنزلة كالروح من نقطة باء البسملة

وهو قوام مصحف الشهادة تمّت به دائرة السعادة

وهو لكلّ شدّة ملمةٌ فإنّه عنقاء قاف الهمّة

وهو حليف الحقّ والحقيقة والفرد في الخلقة والخليقة

وقد تجلّى بالجمال الباهر حتّى بدا سرّ الوجود الزاهر

غُرّته الغرّاء في الظهور تكاد أن تغلب نور الطور

رقى سماء المجد والفخار بالحقّ يدعى قمر الأقمار

بل في سماء عالم الأسماء كالقمر البازغ في السماء

بل عالم التكوين من شعاعه جلّ جلال اللّه في إبداعه

الصفحة 362

سرّ أبيه وهو سرّ البارئ مليك عرش عالم الأسرار

أبوه عين اللّه وهو نورها به الهداية استناء طورها

فإنّه إنسان عين المعرفة مرآتها لكلّ اسم وصفة

ليس يد اللّه سوى أبيه وقدرة اللّه تجلّت فيه

فهو يد اللّه وهذا ساعده تغنيك عن إثباته مشاهده

فلا سوى أبيه للّه يد ولا سواه لأبيه عضد

له اليد البيضاء في الكفاح وكيف وهو مالك الأرواح

يمثّل الكوّار في كواته بل في المعاني الغرّ من صفاته

صولته عند النزال صولته لولا الغلوّ قلت جلّت قدرته

هو المحيط في تجوّلاته ونقطة المركز في ثباته

سطوته لولا القضاء الجاري تقضي على العالم بالبوار

الصفحة 363

وواسم المنون حدّ مفوده والفوق بين الجمع من ضرب يده

برقة صاعقة العذاب برقة تذهب باللباب

برقة تحصد في الرؤوس توهق بالأرواح والنفوس

واسى أخاه حين لا مواسي في موقف يزلزل الرواسي

بعزمة تكاد تسبق القضا وسطوة تملأ بالرعب الفضا

دافع عن سبط نبيّ الرحمة بهمّة ما فوقها من همّة

بهمّة من فوق هامة الفلك ولا ينالها نبيّ أو ملك

واستعرض الصفوف واستطالا على العدا ونكّس الأبطالا

لفّ جيوشَ البغي والفساد بنشر روح العدل والرشاد

كرّ عليهم كرّة الكوارّ أوردهم بالسيف ورد النار

آثر بالماء أخاه الضامي حتّى غدا معترض السهام

ولا يهمّه السهام حاشا من همّه سقاية العطاشى

فجاد باليمين والشمال لنصوة الدين وحفظ الآل

قام بحمل راية التوحيد حتّى هوى من عمد الحديد

والدين لمّا قطعت يداه تقطّعت من بعده عواه

وانطمست من بعده أعلامه مذ فقدت عميدها قوامه

وانصدعت مهجة سيّد البشر لقتله وظهر سبطه انكسر

وبان الإنكسار في جبينه فانكدت الجبال من حنينه

وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محياه سرور مهجته

كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همّته

واحدة لكنّه كلّ القوى وليث غابة بطفّ نيوى

ناح على أخيه نوح الثكلى بل النبيّ في الرفيق الأعلى

وانشقّت السما وأمطرت دما فما أجلّ رزأه وأعظما

بكاه كالهطال حزناً والده وكيف لا وبان منه ساعده

بكاه صنوه الزكي المجتبى وكيف لا ونور عينه خبا

ناحت بنات الوحي والتنزيل عليه مذ أمست بلا كفيل

ناحت عليه الحور في قصورها لنوح آل البيت في خدورها

ناحت عليه زمر الأملاك مذ ناحت العقائل الزواكي

فمَن لتلك الخفرات الطاهرة مذ سبيت حسرى القناع سافرة

أين ربيب المجد أمّاً وأباً عن أخواته وهنّ في السبا

وأين عن ودائع النبوّة ممثّل الغيرة والفتوة

وأين عنها ربّ أرباب الإبا إذ هجم الخيل عنهن الخبا

فأصبحت نهباً لكلّ ملحق مسوّدة المتون والعواتق

فيها اشتفى العدوّ من ضغائنه فأين حامي الظعن عن ظعائنه

أين فتى الفتيان يوم الملحمة عن فتياته بأيدي الظلمة

فليته يرى بعين البلوي غوائز اللّه على الأكوار

يهدي بها من بلد إلى بلد وهنّ في أعظم كوب وكمد

وللعلاّمة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصبّح الحلّي[1] من قصيدة في الحسين (عليه السلام):

فهناك هبّ ابن الوصيّ إلى الوغى بهمّة ليث لم يرعه قتامها

أبو الفضل حامي ثغرة الدين جامع فوائده إن سلّ منها نظامها

نضى لقواع الشوس غضباً بحدّه ليوم التنادي يستكنّ حمامها

(1) آل مصبّح أُسرة في الحلّة اشتهرت بالعلم والأدب، منهم: شيخ حسين جدّ المترجم، وابنه الشيخ محسن والد المترجم، كان من العلماء الأفاضل، رثاه السيّد حيدر في قصيدة مثبتة في ديوانه، ومنهم المترجم ولد في الحلّة وهاجر إلى النجف لطلب العلم ولمّا يبلغ العشرين من عمره ورجع بعد استكمال الفضيلة، وحجّ مكّة المكرّمة خمساً وعشرين مرّة تطوعاً تارة، ونائباً ومعلّماً أخرى، جمع ديوانه في حياته وهو حسن جدّاً يناهز العشرة آلاف بيتاً، وجلّ شعره في أهل البيت مدحاً ورثاءً، توفّي عن عمر تجاوز السبعين سنة 1317 هـ، وحمل إلى النجف (البابليّات للخطيب الأستاذ الشيخ محمّد علي اليعقوبي).

عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى عليه الفضا منه وضاق مقامها

وخاض بها جوّاً يرفّ عبابه ضباً ويد الأقدار جالت سهامها

فحلأها عن جانب النهر عنوة وولّت عواديها يصل لجامها

ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة إلى الماء لم يكبر عليه لزحامها

ثنى رجله عن صهوة المهر قوى النهر واحتلّ السقاء وامتطى همامها

وهبّ إلى نحو الخيام مشمرّاً لوي عطاشا قد طواها أوامها

ألّمت به سوداء يخطف برقها البصائر من رعب ويعلو قتامها

جلاها بمشحوذ الغرارين أبلج يدبّ به لدار عين حمامها

فلولا قضاء اللّه لم يبق منهم حسيس ولم يكبر عليه اتّصامها

بماضية الأقدار جدّت يسراه وثنت بيمنى منه طاب التئامها

وفي عمد حتم القضا شجّ رأسه ترجّل وانثالت عليه لئامها

به انتظمت سمر القنا وتشاكلت وكم فيه يوم الروع حلّ نظامها

دعا يا حمى الإسلام يا بن الذي دعائم دين اللّه شدّ قوامها به

جوى نافذ الأقدار في من تحمه سواعاً فإنّ النفس حان حمامها

فشدّ مجيباً دعوة الليث طالباً ثواب به الأعداء طال اجترامها

طواها ضواباً سلّ فيه نفوسها وحلّق فيها للبوار اختزامها

وأحنى عليه قائلا هتك العدى حجاب المعالي واستحلّ حرامها

أخي بمن أسطو وإنّكَ ساعدي وعضبي إذا ما ضاق يوماً مقامها

أخي فمَن يُعطي المكارم حقهّا ومَن فيه إغراراً تطاول هامها

أخي فمن للمحصنات إذا غدت بملساء يذكي الحائمات رغامها

أخي لمن أُعطي اللواء ومَن به يشقّ عباب الحرب إن جاش سامها

أخي فمن يحمي الذمار حفيظة إذا ما كبا بالضاريات اعتزامها

كفى أسفاً أنّي فقدت حشاشتي بفقدكَ والأرزاء جدّ احتدامها

فوالهفتا والدهر غدر صروفه عليكَ وعفواً ناضلتني سهامها

إلى اللّه أشكو لوعة لو أبثّها على شامخات الأرض ساخ شمامها

على أنّني والحكم للّه لاحق بأثرك والدنيا قليل دوامها

فقام وقد أحنى الضلوع على جوى يئنّ كما في الروح أنّ حمامها

حسبتك للأيتام تبقى ولم أخل تجرّ عليّ الداهيات طغامها

للعلاّمة الحجّة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي[1] :

بكر الردى فاجتاح في نكبائه نور الهدى ومحاسنا سيمائه

ودهى الرشاد بناسف لأشمّه وبخاسف أواه بدر سمائه

ورمى فأصمى الدين في نفاذه ورحمتاه لمنتهى أحشائه

(1) ولد في النجف الأشرف في شهر صفر سنة 1279 هـ وتوفّى 12 ذي الحجّة سنة 1361 ، ودفن في مقبرة بجنب الحسينيّة التي أسّسها في (النبطيّة).

يوماً به قمر الغطارف هاشم صكّت يد الجلى جبين بهائه

سيم الهوان بكربلاء فطار الرفيع به جناح آبائه للعزّ

أنّى يلين إلى الدنيّة ملمساً أو تنحت الأقدار من ملسائه

هو ذلك البسام في الهيجاء (والعبّاس) نازلة على أعدائه

من حيدر هو بضعة من عزمه مشحوذة بمضائه وصفيحة

واسى أخاه بموقف العزّ وقفت سواري الشهب دون الذي علائه

ملك الفوات على ظماه بأخيه مات ولم يذق من مائه وأُسوة

لم أنسه مذكّر منعطفاً وقد عطف الوكاء على معين سقائه

ولوى عنان جواده سوعان مخيّم يطفي أوار ظمائه نحو

فاعتاقه السدان من بيض سمر وكلّ سدّرحب فضائه ومن

فانصاع يخترق الصوارم لا يرعوي كالسهم في غلوائه والقنا

يفري الطلا ويخيط أفلاذ بشباة أبيضه وفي سمرائه الكلا

ويجول جولة حيدر بكتائب ملأ الفضا كالليل في ظلمائه

حتّى إذا ما حان حين شهادة رقمت له في لوح فضل قضائه

حسمت مذربة الحسام مقلة لسقائه ومجيلة للوائه

أمن العدى فتكاته فدنا له من كان هياباً مهيب لقائه

وعلاه في عمد فخر لوجهه ويمينه ويسراه بأرائه

نادى أخاه فكان عند ندائه كالكوكب المنقضّ في جوزائه

وافى عليه مفرّقاً عنه العدى ومجمعاً ما أنبثّ من أشلائه

وهوى يقبّله وما من موضع للثم إلاّ غارق بدمائه

ويميط عن حرّ المحيا حمرة علقية صبغت لجين صفائه

يا مبكياً عين الإمام عليك فلتبك الأنام تأسّيساً ببكائه

ومقوّساً منه القوام وحانياً منه الضلوع على جوى برحائه

فلننحني حزناً عليك تأسّيا بالسبط في تقويسه وحنائه

أنتَ الحريّ بأن تقيم بنو الورى طرى ليوم الحشر سوق غوائه

هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة قمر الهاشميّين، واللّه ولي التوفيق، والحمد للّه ربّ العالمين، وصلى اللّه على محمد وآله الهداة الميامين، ونسأله سبحانه الهداية لما يرضيه والزلفى لديه تعالت آلاؤه.

فهرس المصادر

القرآن الكريم:

كتاب اللّه سبحانه وتعالى المنزل.

1 . الرد على المتعصب العنيد،

الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ت 597 ، تحقيق الشيخ محمّد كاظم المحمودي، طبع سنة 1403 . 1983.

2 . الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

يوسف بن عبد اللّه بن محمّد ابن عبداللهّ القرطبي ت 463 ، تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأُولى 1415 هـ . 1995 م دار الكتب العلمية . بيروت.

3 . الجامع لأحكام القرآن،

محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت 67 هـ، تحقيق ابراهيم أصفيش، طبع سنة 1405 هـ . 1985 م، دار لحياة التراث العربي . بيروت.

4 . الخرائج والجرائح،

قطب الدين الراوندي، ت 573، تحقيق محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأُولى 1409 هـ، مؤسسه الامام المهدي . قم.

5 . الاحتجاج،

أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق محمّد باقر الخرساني، سنة الطبع 1386 هـ . 1966 م، دار النعمان . النجف الأشرف.

6 . إحقاق الحق وإزهاق الباطل،

نور اللّه الحسيني التستري،

ت 1019 ، تعليق السيّد شهاب الدين المرعشي، منشورات مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي . قم . إيران.

7 . الأخبار الطوال،

أحمد بن داود الدينوري، ت 282 هـ، تحقيق عبد المنعم عامر الطبقه الأُولى 1960 م، دار احياء الكتاب العربي . القاهرة.

8 . الاختصاص،

الشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، الطبعة الثانية 1414 هـ . 1993 م دار المفيد . بيروت.

9 . الإرشاد،

محمّد بن النعمان العكوي البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) . الطبعة الثانية 1414 هـ . 1993 م، دار المفيد . بيروت . لبنان.

10 . الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

أحمد بن عبداللّه بن أحمد ابن عبد البر، ت 463 ، تحقيق علي محمّد البجاوي، الطبقة الأُولى 1412 هـ . دار الجبل . بيروت.

11 . أُسد الغابة في معرفة الصحابة،

عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي . بيروت.

12 . الإصابة في تمييز الصحابة،

أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد عوض، الطبعة الأُولى 1415 هـ . دار الكتب العلميه . بيروت.

13 . الإصابة في تمييز الصحابة،

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود علي

محمّد معوض، الطبعة الثانية 1423 هـ، 2002 م، دار الكتب العلمية . بيروت.

14 . الأُصول الستة عشر من الأصول الأولية،

تحقيق ضياء الدين المحمودي، الطبعة الأُولى 1423 هـ . 1381 ش، دار الحديث قم.

15 . الأغاني،

علي بن الحسين أبو الفوج الاصفهاني، ت 356 ، الطبعة الأُولى، دار احياء التراث العربى . بيروت.

16 . الأمالي،

علي بن الطاهر المعروف بالمرتضى، تحقيق محمّد بدر الدين الحلبي، الطبعة الأُولى 1325 . 1907 م، منشورات مكتبة

آية اللّه الموعشي.

17 . الأمالي،

محمّد علي بن الحسن بن بابويه القمّي، تحقيق قسم الدراسات السلامية، الطبعة الأُولى 1417 هـ . مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

18 . إمتاع الأسماع،

تقي الدين أحمد بن علي بن القاد المقوزي، ت 845 هـ . تحقيق محمّد عبد الحميد النميسي الطبعة الأُولى 1420 هـ 1999 م، دار الكتب العلمية . بيروت.

19 . أوائل المقالات،

محمّد العكوي البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، ت 413 ، تحقيق إبراهيم الانصاري الطبعة الثانية 1414 هـ . 1993 م، دار المفيد . بيروت.

20 . إيمان أبي طالب،

محمّد بن محمّد بن النعمان العكوي البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة البعثة، الطبعة الثانية 1414 هـ . 1993 م، دار المفيد . بيروت . لبنان.

21 . بحار الأنوار،

محمّد باقر المجلسي، تحقيق محمّد باقر البهبودي، الطبعة الثانية 1403 هـ . 1983 م، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

22 . البداية والنهاية،

إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شوي، الطبعة الأُولى 1408 هـ . 1988 م، دار التراث العربي . بيروت.

23 . بشارة المصطفى،

محمّد بن علي الطوي، ت 525 ، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة الأُولى 1420 هـ . مؤسسة النشر الاسلامي التابعة جماعة المدرسين بقم.

24 . بصائر الدرجات،

محمّد بن الحسن الصفار، ت 290 ، تحقيق ميرزا حسن باغي طبع سنة 1404 هـ . الأحمدي . طهران.

25 . تاريخ الإسلام،

محمّد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأُولى 1407 هـ . 1987 م، دار

الكتاب العربي . بيروت.

26 . تاريخ الأُمم والملوك،

محمّد بن جرير الطوي، ت 310 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، مقابلة على النسخة المطبوعة في لندن 1879.

27 . تاريخ الأُمم والملوك،

محمّد بن جرير الطوي ت 310 ، تحقيق نخبه من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان.

28 . تاريخ بغداد،

أحمد بن علي البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأُولى 1417 هـ . دار الكتب

العلمية . بيروت.

29 . تاريخ مدينة دمشق،

علي بن الحسن بن هبة اللّه المعروف بابن عساكر، تحقيق علي شوي، سنة الطبع 1415 ، دار الكتب العلمية . بيروت.

30 . تاريخ اليعقوبي،

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، ت 284 ، نشر مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت (عليهم السلام) . قم . إيران.

31 . تخريج الأحاديث والآثار،

جمال الدين الزيلعي، ت 762 ، تحقيق عبداللّه بن عبدالرحمان السعد، الطبعة الأُولى 1414 هـ الرياض دار ابن خزيمة.

32 . تذكرة الخواص،

يوسف بن قزغلي، سبط ابن الجوزي، ت 654 ، تحقيق حسن تقيزاده، الطبعة الأُولى 1426 هـ، مجمع أهل بيت (عليهم السلام).

33 . تذكرة الموضوعات،

محمّد طاهر بن علي الهندي الفتني، ت 986 هـ.

34 . تفسير ابن أبي حاتم،

ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمّد الطيب، المكتبة العصرية . صيدا.

35 . تفسير ابن كثير،

إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت 774 هـ، تحقيق يوسف عبدالرحمان المرعشلي، طبع سنة 1412 هـ . 1992 م، دار المعرفة . بيروت . لبنان.

36 . تفسير الآلوسي،

الآلوسي، ت 1270 هـ.

37 . تفسير البغوي،

ت 510 ، خالد عبد الرحمن الملك، دار

المعرفة . بيروت.

38 . تفسير الثعلبي،

ت 437 ، تحقيق الإمام علي عاشور ، الطبعة الأُولى 1422 هـ 2002 م، بيروت . لبنان.

39 . التفسير الكبير،

الفخر الرازي، تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية 1417 هـ . 1997 م، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

40 . تاريخ اليعقوبي،

أحمد بن أبي يعقوب بن وهب، طبعة دار صادر . بيروت، نشر مؤسسة ونشر فرهنگ أهل بيت (عليهم السلام) . قم.

41 . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة،

محمّد بن الحسن الطوسي، ت 460 هـ، تحقيق السيّد حسن الخرساني، الطبعة الرابعة 1356 ش، دار الكتب الاسلامية . طهران.

42 . تهذيب الكمال،

جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، ت 654 . 742 ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الثانية 1407 هـ . 1987 م، مؤسسة الرسالة . بيروت.

43 . جامع البيان عن تأويل آي القرآن،

محمّد بن جرير الطوي، تحقيق الشيخ خليل الميس، طبع سنة 1415 هـ . 1995 م، دار الفكر . بيروت.

44 . جمال الاسبوع،

السيّد ابن طاوس، ت 664 ، تحقيق جواد قيومي الجنائي الاصفهاني، الطبعة الأُولى، 1371.

45 . حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار (عليهم السلام)،

السيّد هاشم البحراني، تحقيق غلام‌رضا مولانا البروجردي، الطبعة الأُولى 1414 هـ . مؤسسة المعارف الإسلامية . قم.

46 . الدرجات الرفيعة،

السيّد علي خان مدني، ت 1120 هـ، طبع سنة 1397 ، بصيرتي . قم.

47 . الدرر في اختصار المغازي،

أحمد بن عبد اللّه بن أحمد ابن عبد البر، ت 463.

48 . الدرّ النظيم،

جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز العاملي، ت 664 ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم.

49 . الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور،

جلال الدين السيوطي، ت 911 ، دار المعرفه للطباعة والنشر بيروت . لبنان.

50 . الدمعة الساكبة في أحوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة الطاهرة،

محمّد باقر البهبهاني، ت 285، الطبعة الأُولى 1409 هـ . 1989 م، مؤسسة الأعلمي . بيروت.

51 . الذرية الطاهرة،

محمّد بن أحمد بن حماد الدولابي، ت 310 هـ، تحقيق السيّد محمود الجلالي، الطبعة الأُولى 1407 هـ، مؤسسة النشر الإسلامي . قم.

52 . رياض الصالحين،

يحيى بن شرف النووي الدمشقي، ت 676، الطبعة الثانية 1411 هـ . 1991 م، دار الفكر المعاصر، بيروت . لبنان.

53 . روضة الواعظين،

محمّد بن الفتال النيسابوري، ت 508 ، تحقيق السيّد محمّد مهدي الخرساني، منشورات الشريف . قم.

54 . زاد المسير،

عبد الرحمن بن علي بن محمّد الجوزي، تحقيق محمّد بن عبد الرحمن، الطبعة الأُولى 1407 هـ . 1987 م،

دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.

55 . سنن ابن ماجة،

محمّد بن يزيد القزويني، تحقيق محمدّ فؤاد عبد الباقي، دار الفكر . بيروت.

56 . سرّ السلسلة العلوية،

أبي نصر البخاري، ت 341، تقديم محمّد صادق بحر العلوم، الطبعة الأُولى 1413 هـ، انتشارات الشريف الرضي.

57 . سنن الترمذي،

محمّد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمدّ عثمان، الطبعة الثانية 1403 هـ . 1983 م دار الفكر . بيروت.

58 . السياسة الشرعية،

محمّد بن عبد الحليم الحراني، سي دي مؤلفات الشيخ والتلميذ.

59 . السنن الكبرى،

أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيّد كسروي حسن، الطبعة الأُولى 1411 هـ . 1991 م، دار الكتب العلمية . بيروت.

60 . السيرة الحلبية،

برهان الدين الحلبي الشافعي، ت 1044، طبع سنة 1400 هـ . دار المعرفة . بيروت.

61 . سبل الهدى والرشاد،

محمّد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود وعلي محمدّ معوض، الطبعة الأُولى 1414 هـ . 1993 م دار الكتب العلمية . بيروت.

62 . السنة،

عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني، تحقيق الشيخ محمدّ ناصر الدين الالباني، الطبعة الثالثة 1413 هـ . 1993 م،

المكتب الإسلامي . بيروت.

63 . سيرة ابن إسحاق،

محمّد بن إسحاق بن يسار، ت 151 ، تحقيق محمّد حميد اللّه، معهد الدراسات والأبحاث.

64 . السيّرة النبوية،

عبد الملك بن هشام بن أيوب، ت 288، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، طبع سنة 1383 هـ . 1963 م، القاهرة.

65 . السيّرة النبوية،

تأليف محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي، ت 151 ، وهذبها عبد الملك بن هشام بن أيوب الحموي، ت 218، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، طبع سنة 1383 . 1963 ، المدني . القاهرة.

66 . السيّرة النبوية،

إسماعيل بن كثير، ت 774 هـ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبع سنة 1396 هـ . 1976 م، دار المعرفة . بيروت.

67 . شواهد التنزيل،

عبيد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأُولى 1411 هـ . 1990 م، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

68 . شوح نهج البلاغة،

ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت . لبنان.

69 . شوح نهج البلاغة،

ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر . قم.

70 . شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم،

عبيد اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمدّ باقر المحمودي، الطبعة الأُولى 1411 هـ . 1990 م، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية . قم.

71 . صحيح مسلم،

مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر . بيروت.

72 . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بليان،

علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، طبع سنة 1414 هـ . 1993 م، مؤسسة الرسالة.

73 . صحيح البخاري،

محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، طبعة سنة 1401 هـ . 1981 م، دار الفكر . بيروت.

74 . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف،

علي بن موسى بن طاووس الحلّي، ت 664، طبع سنة 1399 هـ . خيام . قم.

75 . الطبقات الكوى،

محمّد بن سعد، ت 230 ، دار صادر . بيروت.

76 . عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب،

أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه، ت 828 ، تصحيح محمّد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية، 1380 هـ . 1961 م، المطبعة الحيدرية . النجف الأشوف.

77 . عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب،

أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة، ت 828 هـ، طبع سنة 1417 هـ . 1996 م، الصدر . قم.

78 . عمدة القارئ في شوح صحيح البخاري،

العيني ت 855 ، طبع دار إحياء التواث العوبي . بيروت.

79 . عقيدة أبي طالب،

السيّد طالب الرفاعي، نشر موكز الأبحاث العقائدية.

80 . عوالي اللئالى العزيزة في الأحاديث الدينية،

محمّد بن علي بن إبراهيم الاحسائي، ت 880 ، تحقيق مجتبى العراقي، الطبعة الأُولى 1408 . 1985 م، سيد الشهداء . قم.

81 . الغدير،

الشيخ الأميني، الطبعة الثالثة 1387 هـ . 1967 م، دار الكتاب العوبي بيروت . لبنان.

82 . فتح القدير الجامع بين فن الرواية والواية من علم التفسير،

محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني، ت 1255، مطبعة عالم الكتب.

83 . فقه الوضا،

علي بن بابويه، ت 329 ، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأُولى 1406 هـ.

84 . فتوح البلدان،

أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذوي، ت 279 هـ، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبع سنة 1956م، مكتبة النهضة . مصر.

85 . فتح الباري شوح صحيح البخاري،

شهاب الدين بن حجر العسقلاني، ت 852 ، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان.

86 . الفتوح،

أحمد بن أعثم الكوفي، ت 314 هـ . 926 م، تحقيق علي شوي، الطبعة الأُولى 1411 هـ، دار الأضواء.

87 . فيض القدير في شرح الجامع الصغير،

محمّد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد عبد السلام الطبعة الأُولى 1415 هـ، دار الكتب العلمية . بيروت.

88 . القاموس المحيط،

الفيروزآبادي، ت 817 هـ.

89 . قرب الاسناد،

عبد اللّه بن جعفر الحميري، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأُولى 1413 هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث . قم.

90 . كامل الزيارات،

جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، ت 368 ، تحقيق الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأُولى 1417 هـ . مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

91 . الكامل في التاريخ،

علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، ت 630 ، طبع سنة 1386 . 1966 م، دار صادر . بيروت.

92 . كتاب الولاية،

أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقدة الكوفي، جمع وترتيب عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين، الطبعة الأُولى، 1421 هـ . انتشارات دليل.

93 . الكامل،

المبرد، طبع سنة 1355.

94 . كنز الفوائد،

محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي، ت 449 هـ، تحقيق عبد اللّه نعمة، طبع سنة 1405 هـ . 1985 م، دار الأضواء . بيروت.

95 . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،

جار اللّه الزمخشري، ت 538، طبع سنة 1385 . 1966 م، شركة مكتبة

الصفحة 385

مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر.

96 . كنز الفوائد،

محمّد بن علي الكراجكي، ت 449، الطبعة الثانية 1369 ، مطبعة الغدير، مكتبة المصطفوي . قم.

97 . كشف الغمة في معرفة الأئمة،

علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، الطبعة الثانية 1405 هـ . 1985 م، دار الأضواء، بيروت . لبنان.

98 . الكافي،

محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة 1267 ش، دار الكتب الإسلامية . طهران.

99 . مستدرك الوسائل،

حسين النوري الطبرسي، ت 1320 ، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الثانية 1408 هـ . 1989 م، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث الإسلامي بيروت . لبنان.

100 . المجدي في أنساب الطالبين،

علي بن محمّد بن علي بن محمّد العلوي العمري، تحقيق الدكتور أحمد المهدوي الدامغاني، الطبعة الأُولى 1409 هـ، سيد الشهداء . قم.

101 . المجدي في أنساب الطالبين،

علي بن محمّد العلوي، ت 709 هـ، تحقيق أحمد الدامغاني، الطبعة الأُولى 1409 هـ، مكتبة آية اللّه المرعشي.

102 . المناقب،

الموفق بن أحمد بن محمّد المكي، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية 1414 هـ . مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

103 . مصباح الفقاهة،

تقرير بحث السيّد أبو القاسم الخوئي،

الصفحة 386

بقلم محمّد علي التوحيدي التبريزي، الطبعة الأُولى المطبعة العلمية . قم، نشر مكتبة الداوري . قم.

104 . مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن فيه،

أحمد ابن موسى بن مردويه الاصفهاني، ت 410 ، عبد الرزاق محمّد حسين حرز الدين، الطبعة الثانية 1424 هـ . 1383 ش، دار الحديث . قم.

105 . مسند أحمد بن حنبل،

أحمد بن حنبل، ت 241 ، دار صادر . بيروت.

106 . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،

نور الدين الهيثمي، طبع سنة 1408 هـ . 1988 م، دار الكتب العلمية . بيروت.

107 . المصنف،

عبد اللّه بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق سعيد اللحام، طبع سنة 1409 هـ . 1989 م، دار الفكر، بيروت . لبنان.

108 . ميزان الاعتدال،

شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمّد البجلوي، الطبعة الأُولى 1382 هـ . 1963 م، دار المعرفة، بيروت . لبنان.

109 . مسند ابن‌راهويه،

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحقّ حسين برد البلوسي، الطبعة الأُولى 1412 هـ مكتب الإيمان . المدينة المنورة.

110 . مقاتل الطالبين،

أبي الفوج الأصفهاني، تحقيق كاظم المظفر . الطبعة الثانية، مؤسسة دار الكتاب . قم.

111 . مستدرك الوسائل،

الميرزا النوري، ت 1320 ، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الثانية 1408 هـ . 1988 م، مؤسسة

آل البيت (عليهم السلام).

112 . من لا يحضره الفقيه،

محمّد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، ت 381 هـ، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم.

113 . معجم البلدان،

ياقوت بن عبد اللّه الحموي الرومي البغدادي، ت 636 هـ، طبع سنة 1399 هـ . 1979 م، دار إحياء التراث العربي .

بيروت.

114 . منهج الرشاد لمن أراد السداد،

جعفر كاشف الغطاء، ت 1228 ، تحقيق جودت القزويني، الطبعة الأُولى 1418 هـ . 1998 م، مطوع ضمن الطبقات العنوية في الطبقات الجعفرية لمحمّد حسين كاشف الغطاء.

115 . المسترشد،

محمّد بن جرير الطوي (الشيعي)، القرن الرابع، تحقيق أحمد المحمودي، الطبعة الأُولى 1415 هـ، مؤسسة الثقافة الإسلامية.

116 . المحتضر،

حسن بن سليمان الحلّي، القرن الثامن، تحقيق علي أشرف، طبع سنة 1424 . انتشارات المكتبة الحيدرية.

117 . النزار،

محمّد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأوّل، ت 786 ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة الأُولى 1410 هـ، مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) . قم.

118 . النزار،

محمّد بن المشهدي، ت 610 ، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة الأُولى 1419، مؤسسة النشر الإسلامي . قم.

119 . النزار،

محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، ت 413 هـ، تحقيق محمّد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية 1414 . 1993 م، دار المفيد، بيروت . لبنان.

120 . مقتل الحسين المسمى باللهوف،

علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، ت 664 هـ، الطبعة الأُولى 1417 ، أنوار الهدى . قم.

121 . معجم ما استعجم،

عبد اللّه بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ت 487، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، 1403 هـ . 1983 م.

122 . لسان الميزان،

ابن حجر العسقلاني، ت 852، الطبعة الثانية 1390 . 1971 م، مؤسسة الأعلمي، بيروت . لبنان.

123 . المحاسن،

أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، تحقيق السيّد جلال الدين الحسيني، طبع سنة 1370 . 1330 ش، دار الكتب العلمية . طهران.

124 . المستدرك على الصحيحين،

الحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

125 . المعجم الكبير،

سليمان بن أحمد الطواني، تحقيق حميدي عبد المجيد سلفي، الطبعة الثانية 1405 . 1985 م، دار إحياء التراث العربي.

126 . المعجم الأوسط،

سليمان بن أحمد الطوي، تحقيق دار الحرمين، طبع سنة 1415 هـ . 1995 م، دار الحرمين للطباعة والنشر.

127 . المعجم الصغير،

سليمان بن أحمد الطواني، ت 390،

دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

128 . مسند أبي داود الطيالسي،

سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي، ت 404 ، دار المعرفة . بيروت.

129 . معجم البلدان،

ياقوت بن عبد اللّه الحموي، ت 626، طبع سنة 1399 . 1979 م، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

130 . مسند سعد بن أبي وقاص،

أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي البغدادي، تحقيق حسن صبري، الطبعة الأُولى 1407 هـ، دار البشائر الإسلامية . بيروت.

131 . المصنف،

عبد الرزاق بن همّام الصنعاني، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.

132 . مناقب آل أبي طالب،

مشير الدين أبي عبد اللّه محمّد بن علي ابن شهرآشوب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع سنة 1376 هـ 1956 م، المكتبة الحيدرية . النجف الأشرف.

133 . مثير الأحزان،

محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الدين نما الحلّي، ت 645 ، طبع سنة 1369 . 1950 م، المطبعة الحيدرية . النجف الأشرف.

134 . مسند أبي داود الطيالسي،

سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الشهير بأبي داود الطيالسي، ت 204 هـ، دار المعرفة . بيروت.

135 . مدينة المعاجز،

السيّد هاشم البحراني، ت 1107 هـ، دار الكتب العلمية . قم.

136 . معرفة الثقات،

أحمد بن عبد اللّه بن صالح العجلي الكوفي، ت 261، الطبعة الأُولى 1405 ، مكتبة الدار . المدينة المنورة.

137 . النوادر،

فضل اللّه الراوندي، ت 571 ، تحقيق سعيدرضا علي عسكري، الطبعة الأُولى، مؤسسة دار الحديث . قم.

138 . نظم المتناثر من الحديث المتواتر،

محمّد بن جعفر الكناني، ت 1345، الطبعة الثانية، دار الكتب السلفية . مصر.

139 . نهج السعادة،

الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان.

140 . نهج البلاغة،

الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق وتعليق الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة . بيروت.

141 . نوادر المعجزات،

محمّد بن جرير الطبري (الشيعي)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة الأُولى 1410 هـ . مؤسسة الإمام المهدي . قم.

142 . وفيات الأعيان،

ابن خلكان، ت 681، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة . بيروت.

143 . وسائل الشيعة،

محمّد بن الحسن بن الحر العاملي، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الخامسة 1403 هـ . 1983 م، دار إحياء

التراث العربي . بيروت.

144 . ينابيع المودة لذوي القربى،

سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق علي جمال أشرف الحسني، الطبعة الأُولى 1416 هـ . دار أسوة.